من أجمل ما قرأت

أحمد سليمان أبكر

من أجمل ما قرأت

أحمد سليمان أبكر

من أجمل ما قرأت

لقد كتبت هذا الكتاب وتخّيرت موضوعاته من أجمل ما قرأت. واختيار الكلام أصعب من تأليفه. فتطلّبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر القصص وقصص الأمثال وطرائف ونوادر ولطائف الألغاز،ثم قرّنت كل جنس منها إلى جنسه فجعلته بابا على حِدَته؛ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره في كلّ باب.

ISBN: 978-91-89273-89-4

دار نشر رقمنة الكتاب العربي-
Stockholm

Digitalisera den arabiska boken- Stockholm

من أجمل ما قرأت

أحمد سليمان أبكر أحمد

الكتاب: من أجمل ما قرأت

المؤلف: أحمد سليمان أبكر

الطبعة الأولى ٢٠٢٠

ISBN ٩٧٨-٩١-٨٩٢٧٣-٨٩-٤

الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية: ١٠-١٦ ٢٥-١٢-٢٠٢٠

الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم

السويد، فاستراء جوتالند

هاتف: ٠٠٤٦٧٩٠١٨٥٥١٨

البريد الإلكتروني:

com.hotmail@digitizethearabicbook

جميع الحقوق محفوظة لدى دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى

إهداء

إلى كل عُشاق الأدب وما يتولّد منه ويُنسب إليه من الحكم النادرة والفطن البارعة.

المؤلف

أكتوبر ٢٠٠٨م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، أحمده على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته؛فإن رضي الحمد ثمنا لجزيل نعمائه،وجليل آلائه؛وجعله مفتاح رحمته،وكفاء نعمته، وآخر دعوى أهل جنته، بقوله جل وعزّ (وآخِرُ دَعْواهُمْ أنِ اَلْحَمْد للهِ رَبَّ اَلْعَالَمين).و صلّى الله على سيدنا محمد النبيّ المكرّم، الشافع المقرّب، الذي بُعث آخِرا واُصطُفي أوّلا وجَلَعنا من أهل طاعته، وعتقاء شفاعته.

وبعد: لقد كتبت هذا الكتاب وتخّيرت موضوعاته من أجمل ما قرأت. واختيار الكلام أصعب من تأليفه. وقالوا: اختيار الرجل وافد عقله. وقال الشاعر:

قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلا على اللبيب اختياره

وقال أفلاطون: عقول الناس في أطارف أقلامهم، وظاهرة في حسن اختيارهم.

فتطلّبت نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر القصص وقصص الأمثال وطرائف ونوادر ولطائف الألغاز،ثم قرّنت كل جنس منها إلى جنسه فجعلته بابا على حِدَته؛ ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره في كلّ باب.

وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهرا، وأظهرها رونقا، وألطفها معنى، و أجزلها لفظا، وأحسنها ديباجة، وأكثرها طلاوة وحلاوة..وكما قال يحيي بن خالد: الناس يكتبون أحسن ما يسمعون، ويحفظون أحسن ما يكتبون، ويتحدّثون بأحسن ما يحفظون.وقال ابن سيرين: العلم أكثر من أن يحاط به فخذوا من كلّ شيء أحسنه. وفيما بين ذلك سقط الرأي، وزلل القول، ولكل عالم هفوة..وانفرد الله تعالى بالكمال، ولم يبرأ أحد من خلقه من النقصان. وقيل للعتّابي: هل تعلم أحدا لا عيب فيه؟ قال: إن الذي لا عيب فيه لا يموت أبدا (سبحانه)،ولا سبيل إلى السّلامة من ألسنة العامة. وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلبا للاستخفاف والإيجاز، وهربا من التثقيل والتّطويل؛ لأنها قصص ممتعة وأمثال ونوادر وألغاز،لاينفعها الإسناد باتّصاله، ولا يضرها ما حذف منها.

وسميت الكتاب (من أجمل ما قرأت) لما فيه من مختلف جواهر الكلام، وحسن النظام..ونحن قائلون فيه بعون الله وتوفيقه في القصص والأمثال التي هي وشيُ الكلام وجوهر اللفظ وحَلي المعاني والتي تخيّرتها العرب، وقدّمتها العجم، ونطق بها كلّ زمان وعلى كل لسان. فهي أبقى من الشّعر، وأشرف من الخطابة، ولم يسر شيء مسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قيل: أسْيَرُ من مَثَل...ويضم

الكتاب أيضا طائفة من الطرائف والنوادر والألغاز التي هي نزهة النفس، وربيع القلب، ومرتع السمع، ومجلب الراحة،ومعدن السرور.

أحمد سليمان

قلع النحل

الجمعة ١٧يناير٢٠٠٣م

الفصل الأول

جواهر القصص

بنات النعمان

أيقظني ابني الأصغر (كعب) في منتصف الليل وقال لي إن أربعة رجال، يبدو أنهم لصوص، اقتحموا البيت ودخلوا الإيوان .. أفزعني قوله وسألته لماذا أدخلتهم، فقال إنه سمع نقرهم على الباب، وما أن فتح حتى اندفعوا داخلين، ولم يستطيع التحقق من شخصياتهم لأنهم ملثمون.تناولت رمحي ودخلت الإيوان فرأيتهم وقوفا ،لأول وهلة أحسست بأنهم لصوص بسبب ثيابهم الخشنة السوداء الغارقة في التراب،تقدم مني أقصرهم قامة وأزاح اللثام عن وجهه وقال لي: أنا النعمان يا هانئ؛لو لم أكن رأيت النعمان بن المنذر أكثر من مرة ما صدقت أن الذي يخاطبني هو ملك الحيرة ،إذ من غير المعقول أن يدخل أشهر ملوك العرب وأقواهم متسللا هكذا في الخفاء،ظللت لوقت طويل أحدق في وجهه بنقاطه البيضاء الخفيفة ،وهو يكلمني وأنا لا أعي ما يقول،أشرت إلى الفراش وقلت؛اجلس أيها الملك أبيت اللعن، فقال لي: إذا عرفت بأنك ستجيرني جلست، وإلا دعني أبحث عن غيرك،لم يجلس حتى قلت له: أنت جاري،جئت أهلا ونزلت سهلا،ثم أرسلت في طلب أخي وابني الأكبر(عاصم) وطلبت منهما أن يجلسا معهم وتسللت أنا إلى بيت ابن عمي (قيس بن خالد) وأيقظته من النوم،وأفضيت إليه بما حدث فلم يصدق

حرفا مما أقول،وقرّب أنفه من فمي ، فحلفت له بأنني لم أذق خمرا حينئذ ارتاع (قيس) وقال لي: إن الذي أقدمت عليه يعني هلاك الرجال وسبي النساء وخراب الديار، فنحن لا طاقة لنا على قتال كسرى ، فقلت له: إن النعمان استجار بي وسوف أجيره حتى لو لم يقف معي من قومي رجل واحد،ثم قام قيس معي من ساعته ودخل على النعمان وعانقه وجلس بجواره وسأله عن السبب ، فروي القصة: حينما توفى الملك المنذر بن ماء السماء والد النعمان كان له ثلاثة عشر ولدا، كل منهم يستحق أن يجلس على عرش أبيه فطلبهم كسرى للمثول بين يديه ليختار منهم واحدا،وكان في بلاط كسرى رجلان من المترجمين العرب لهما نفوذ كبير،أحدهما (عدي) الذي كان صديقا للنعمان، والآخر(ابن مارينا)وكان صديقا لشقيق النعمان الأسود بن المنذر،تنافس المترجمان ، فأنتصر عدي ووضع كسرى التاج بيديه فوق رأس النعمان،وحينما أحس ابن مارينا بالمكانة التي وصل إليها عدي في بلاط النعمان، حسده،فتقرّب إلى النعمان بالهدايا والزيارات وحلو الحديث، ومضى ومعه أعوانه يفسدون مابين النعمان وعدي،يتصنعون البراءة وهم يمدحون عديا ثم يدسون كلمات يأخذون عليه فيها أنه يقول أن النعمان من صنعه ولولاه لما كان ذا شأن ، وتراكمت هذه الكلمات فتحول قلب النعمان

عن عدي، ثم نجحوا في أن يزيفوا رسالة باسم عدي موجهة إلى أحد كبار موظفي القصر، حينما قرأها النعمان دخل في روعه أن عديا يتآمر عليه، فلما جاء عدي لزيارة الحيرة،أمر بزجه في السجن، لكن النعمان ندم،وعندما أراد أن يخرج صديقه ويعتذر إليه،تواثب أعداء عدي وحذروه،وقالوا له لو أطلقته فسوف يكيد لك عند كسرى ونجح عدي في أن يسرب من سجنه رسالة إلى شقيقه الذي يعمل في البلاط الفارسي،وعرض شقيقه الرسالة على كسرى الذي كتب إلى النعمان يأمره بإطلاق سراح (عدي) ومرة أخرى وثب أعداء عدي يحذرون النعمان،لو خرج عدي بأمر كسرى لأهلكنا وأهلكك، ومازالوا به حتى وافق على قتله ،ولما جاء رسول كسرى قالوا له: إن عديا مات قبل وصولك بأيام،لكن شقيقه عند كسرى مضى يخطط لكي يثأر لشقيقه،في نفس الوقت كان النعمان قد تكدر صفوه بأن قتل صديقه الذي أحسن إليه بسبب وشايات لم يتحقق منها ، فمضى يبحث عن ذرية (عدي) حتى عرف بأن له ولدا يسمى (زيد) فتبناه وأحضر إليه المعلمين حتى أجاد العربية والفارسية وآدابهما ، ثم كتب إلى كسرى يطلب منه أن يلحقه بالوظيفة التي كان يشغلها أبوه،في البلاط،انضم زيد إلى عمه ومضيا يخططان للانتقام من النعمان حتى حانت الفرصة،كان من عادة الفرس أن يتزوجوا من الشعوب التي

تتبعهم، لكنهم لم يتزوجوا من العرب ولم يفكروا في هذا،وفي أيام كسرى أنوشروان كان ملك الحيرة المنذر الأكبر،قد أهدى جارية رومانية لأنوشروان وكتب معها رسالة يستعرض فيها فصاحته العربية(إني وجهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق، نقية اللون والثغر، بيضاء، قمراء، وطفاء، كحلاء، دعجاء، حوراء، عيناء قنواء،شماء،أسيلة الخد، عظيمة الهامة، بعيدة القرط، عيطاء عريضة الصدر، ركينة،كريمة الخال،رأيها رأى أهل الشرف وعملها عمل أهل الحاجة)وكلام آخر كثير مثل هذا، سر به أنو شروان وعني بإثباته في سجلات دواوينه وأمر بالعمل به إذا أرادوا نساء للأمراء ، وتوارث ذلك ملوك الفرس من بعده.وذات يوم أراد كسري الحالي(أبرويز بن هرمز)أن يبحث عن جواري جميلات له ولأبناء الأسرة المالكة، فطلب من كاتبه أن ينقل الصفات التي في السجل ويرسلها إلى جميع الملوك الذين يخضعون له.. هنا حانت الفرصة أمام زيد و عمه،فقالا لكسرى إن لدى النعمان أكثر من عشرين فتاة من بناته وبنات إخوته تنطبق عليهن هذه الصفات، وسوف يسعد إذا أرسلهن إليك!قالا هذا وهما يعرفان كعربيين أن العرب أيضا مثل الفرس لا يزوجون بناتهم ولا يهدونهم للأقوام الأخرى،كتب كسرى إلى النعمان يأمره بأن يرسل بناته وبنات إخوته لكي يتخذ لنفسه

جارية ويوزع الباقيات على الأمراء! وهنا طلب زيد من كسرى بخبث أن يذهب هو بالرسالة خوفا من أن يعرض النعمان فتيات غيرهن، لأنه يعرف بنات النعمان بحكم نشأته في بيته.. كما طلب أن يذهب معه رجل فارسي يجيد العربية لكي ينقل إلى كسرى كل كلمة يتفوه بها النعمان،حينما قرأ النعمان الرسالة ، ظهر الغضب على وجهه وقال لزيد: ألم يجد كسرى في(مها) فارس ما يرضيه حتى يطلب بناتي ليتخذهن جواري!.. لم يفهم الفارسي كلمة المها،فسأل زيد بالفارسية: ما المها؟ فقال زيد: هي البقرة!ولاذ الفارسي بالصمت. قال النعمان لزيد وهو لا يعرف أن الفارسي يجيد العربية حاول أن تجعل كسرى ينسى هذا الأمر، وقل له إن بنات النعمان تزوجن، وأن ذريته من الذكور واعتذر له عني. عاد زيد إلى كسرى وقال له إن هؤلاء العرب يتعالون عليك ويصفون عاصمتك بأنها سجن ويفضلون الحرية كما يقولون مع الجوع والعرى في الفيافي والقفار، وسوف أترك لك صاحبي ينقل إليك ما قاله النعمان لأنني لا أقوى على ذلك! سأل كسرى الفارسي، فقال هذا إن النعمان قال: لا بنات عندي لكسرى، وليبحث عمن ترضيه في بقر فارس! تقلص وجه كسرى وقال:رب رجل سعى إلى خراب ملكه بنفسه،وشاع هذا القول حتى وصل النعمان، فظل لفترة يترقب

الشر، حتى جاءته رسالة من كسرى يطلب منه المثول بين يديه،فترك الديار وهام على وجهه يبحث في أحياء العرب عمن يقبله لاجئا،عندما انتهى النعمان من سرد القصة، كان الصبح قد طلع علينا، قلت له : قد لزمني ذمامك ، سوف أمنعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه، ما بقي من عشيرتي الأدنين رجل واحد..مرحبا بملك العرب في دياره. لكنه قاطعني قائلا: يا هانئ بن مسعود إن ذلك سوف يهلكني ويهلككم يا معشر بني بكر ، فلا طاقة لكم على كسرى، وأنا لا أرضى أن أعرضكم للفناء ،سوف أكتب إلى كسرى أطلب منه العفو وأستأذنه في المثول بين يديه.قلت: لن تذهب إلى كسرى، ولن تبارح بيتي، أبيت اللعن، قال: أصغ إلي يا هانئ،ينبغي على الملك أن يعيش ملكا لا أن يتحول إلى سوقة،إن صفح كسرى، عدت ملكا عزيزا وإن أهلكني، مت كريما، هذا خير لي من أن أعيش لاجئا.. يهزأ بي السفهاء؛قلت: ما دمت تنوي هذا، فلماذا جئتني؟ قال: جئتك لتحمي بناتي،هن في مختبئات الآن في بيت رجل كنت قد أسديت إليه معروفا؛إن وعدتني بحمايتهن أرسلت في طلبهن،قلت: أنت تعرف إجابتي، أبيت اللعن،وكتب النعمان إلى كسرى يعتذر إليه بهدايا أكثرها من منسوجات اليمن المشهورة ذات الألوان المريحة وجاءت بنات النعمان

الثلاث كبراهن _هند_ في سن ابنتي زينب، ومعهن أربع بنات من بنات إخوته ، فضلا عن زوجته وواحدة من عماته أبت أن تفارق البنات،وقال لي: إن بقية نساء الأسرة فضلن الإقامة في الحيرة لأن بعضهن تزوج والبعض الآخر لا خوف عليه بحكم السن _ لكن الخوف على العذارى السبع اللاتي لا تتجاوز كبراهن العشرين فأدخلتهن بيتي، وخلطهن بزوجتي وبناتي،وأقام النعمان بيننا نعامله كأنه لا زال ملكا، ونعتذر له عن خشونة فرشنا، وكان سعيدا يقول إنه لم يكن يتوقع غير هذا، وجاء رسوله حاملا كتابا من كسرى يطلب منه المثول بين يديه، وكان في الكتاب كلاما مطمئنا وقال لنا حامل الكتاب إنه لم ير عند كسرى ما يسوء، فاستبشرنا خيرا.ارتدى النعمان ملابس الملوك، ووضع التاج على رأسه، وأسدل على كتفيه العباءة ذات القصب، وركبنا معه أنا وعشرة من أبناء عمومتي،وكان معنا الرجال الثلاثة الذين جاءوا معه وهم من بسطاء الناس، فظللنا نسير بجواره من مطلع الشمس حتى مغيبها، إلى أن أوصلناه إلى حدود أرضنا الشرقية،توقف ليودعنا فتوقفنا ،لكنه ظل ينظر إلى وجهي لفترة طويلة ثم قال لي بصوت خالطته رعشة: ماذا عن بناتي يا هانئ بن مسعود؟ قلت: لن يصل إليهن أحد حتى يصل إلى بناتي،تعانقنا ونحن فوق جوادينا، ثم ركض بجواده ووقفنا

لفترة ننظر في اتجاهه حتى تلاشى في الظلام..من عادتنا نحن بطون بني بكر أن نتبع الكلأ شتاءا في الجنوب فنوغل في سيرنا حتى نصل إلى حدود بني تغلب التي تبدأ من التقاء دجلة و الفرات ،وعندما يشتد القيظ نرتد شمالا فنقطع عشرات الفراسخ حتى نصل إلى مائنا الكبير(ذي قار) فنقيم على ضفافه طوال الصيف ،وماؤنا الحبيب هذا يقع في أقصى الشمال من أرضنا، وبعده بقليل تبدأ أرض واسعة تنبأ الكهنة بأنها تصبح مدينة ذات شأن باسم الكوفة! ،كنا قد وصلنا لتونا إلى ضفاف(ذي قار) عندما جاءنا نبأ مقتل النعمان ،قالوا أن كسرى لم يستقبله.. بل أمر جنوده أن يضعوا في يديه الأغلال أمام باب القصر، ثم بعث به إلى السجن، وهنالك خنقوه. سقط كسرى في عيني، فلو جاءني قاتل أبي مستسلما، لما استطعت أن أناله بأذى وإلا سقطت هيبتي في أحياء العرب،هذا الكسرى لا علم له بما يجب أن تكون عليه التقاليد، ولا يحمل في قلبه شجاعة الرجال، ولا أظنه يفقه شيئا فيما يجب أن يتحلى به زعيم القوم، ولقد أخطأت عندما سمحت للنعمان بالذهاب إلى رجل له مثل هذه الخصال،وقبل أن نفيق من هذه الصدمة، جاءني كتاب من ملك الحيرة الجديد(إياس بن قبيصة)وهو ليس من أسرة النعمان يقول لي إن كسرى بعث إليه بكتاب يأمره أن يرسل إليه بنات النعمان لأنه عرف بأنهن تنطبق

عليهن صفات الجمال المكتوبة في دواوينه، كذلك أن نرسل له الأموال الطائلة التي تركها النعمان عندنا، وختم كتابه بقوله: إن قبيلة بكر بن وائل لم تخترك زعيما عليها إلا لكبر عقلك، فلا تجبرني أن أرسل إليك الجنود لتقتل الرجال وتسبي النساء،بعثت بكتاب إلى الملك إياس قلت له: إن بنات النعمان في جواري ، وأنت كعربي ، تعرف بأن الجار لا يسلم، أما عن الأموال ،فان الذي بلغك باطل، فلم يترك النعمان درهما ولا دينارا، فإذا كان الأمر كما قيل فأنا أحد رجلين،إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يعيدها إلى من استودعه إياها، ولن يسلم الحر أمانة .. أو رجل مكذوب عليه، فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدو أو حاسد،ثم رجوت منه أن يجتهد في أن ينسي كسرى هذا الأمر، وهنأته بملك الحيرة ودعوت له برغد العيش ،لم تمض فترة وجيزة حتى فوجئنا بما تعجبنا له ،جيش كسرى الذي يرابط في ناحية (القطقاطة) زحف وعلى رأسه القائد الشهير (الهامرز)وأقام معسكره على مقربة من ضفاف ذي قار وجيش كسرى الذي يرابط في ناحية (بارق) زحف بقيادة (جلابزين) وانضم إليه،وفي نفس اليوم وصل الملك إياس بن قبيصة على رأس جيش الحيرة العربي النظامي وأقام معسكراته بجوارهما ، ثم جاءت قبيلة (إياد) التي توالي كسرى، وانضمت إلى جيش الملك إياس،حتى بعد

أن رأيت هذه الجيوش التي تتقدمها الأفيال المحاربة، لم أكن أظن أن كسرى الذي تخضع له الأمم يمكن أن يصل به الحمق إلى محاربة قبيلة صغيرة فقيرة مثل قبيلتنا،لم أصدق أنا وكل قومي ، إلا بعد أن جاءني رسول يحمل كتابا باسمي عليه خاتم كسرى.. هذه أول مرة يدخل فيها بيتي رجلا من حاشية كسرى ويخاطبني باسم ملك الملوك ،كان حامل الرسالة رجلا عليه ثياب من الديباج الأحمر وعلى رأسه قلنسوة طويلة معصوبة بشاش أبيض ،كان رجلا صالحا ينحدر من أسرة من عامة الناس، لكن رفعه علمه إلى مقام حاشية كسرى ،قال لي إنه يعطف على الفقراء ويعتقد أن الناس سواسية لا فرق بين فارسي أو تركي أو عربي فكلهم ميتون،وعرفت أنه من مذهب رجل يقال له(زرادشت) لكنه يخفي ذلك عن المجوس الذين يزعمون أنهم فوق الناس،ارتحت إليه وأحببته فدخل بيتي المصنوع من الطين، وجلس في تواضع على فراشي المؤلف من جلود الجمال وقال لي: يا هانئ.. جئتك بكتاب من هذا الطاغية (كسرى) وأنا حزين لما فيه فهو يعرض عليكم أن تختاروا واحدة من ثلاث _ قلت: ما الأولى؟ قال:أن تعطوا ما بأيديكم، فيحكم فيكم بما يشاء قلت:(معني أن نعطي ما بأيدينا) أن نلقي سلاحنا ونذهب إليه جميعا ، (كل قادر على حمل السلاح)، ونقف تحت قصره ،قد

يعفو عنا وقد يأمر بقتلنا،أليس كذلك؟ وما الثانية؟ قال: أن تعروا الأرض.قلت: و أين نذهب إذا هجرنا الأرض التي لا نعرف غيرها وتحتها عظام آبائنا؟ وما الثالثة؟ قال: أن تأذنوا بحرب. قلت: وكيف نستعد لحرب كسرى الذي تخضع له رقاب الملوك ونحن الأقلة الفقراء؟ قال: يا هانئ إن في قصر كسرى أعداء للنعمان يريدون إذلاله في بناته .. وما يحزنني أنهم من نفس جنسكم هكذا أنتم يا معشر العرب بعضكم يكيد للبعض، مع أنكم لو تصافقتم كما فعل الأتراك ، لما تجرأ كسرى أن يقول أريد استئصال بني بكر. قلت: يريد استئصالنا؟ قال: نعم.. فقد ثار حينما رفضتم أن ترسلوا إليه بنات النعمان ،فأشار عليه أناس من قومكم بأنكم لا تستطيعون مغادرة ذي قار في أيام القيظ، فقالوا له أن هذه فرصتك وإلا ذهب القيظ وانداحوا في أرضهم فلا تقدر عليهم بسهولة ،فقلت: وكيف يشغل كسرى نفسه بضعفاء الناس أمثالنا؟ قال: أنت تعلم يا هانئ أن كسرى هذا (أبرويز بن هرمز) قتل أباه وجلس مكانه. قلت: أعرف. قال: يبدو أنه أصابه بما يشبه الجنون .. فقد تمزقت المملكة على أيامه.. وثار عليه رعاياه الترك والأرمن وأهل السند،فاضطر إلى أن يستعين بجيش من عدوه (ماركوس) قيصر الروم، نظير أن يتنازل له عن ولايتي مصر والشام ،وأطفأ هذه الثورات الثلاث فعلا بجيش

الروم ،لكن ثار الأتراك ثانية في بخاري وسمرقند وانفصلوا تماما،إنه الآن ضيق الصدر لا يشغله غير وصول بنات النعمان ولك أن تتخيل ثورته حينما قالوا له أن تقاليد العرب تمنع قبيلة بني بكر من تسليمهن،فهو لا يفهم هذه التقاليد ولا يتصور وجودها ولا يرى لها أي معنى،سيما وإن بعض الملوك الذين يخضعون له يبعثون إليه ببناتهم ويعتبرون ذلك شرفا.. وأعداء النعمان في القصر يهمسون في أذنه بأن في بيتك أكثر من عشرين فتاة من بنات النعمان ، تنطبق عليهن صفات الجمال المحفوظة منذ أيام أنوشروان،والرجل مهزوم يا هانئ ومختل العقل وهنا مكمن الخطر،ساد بيننا الصمت فترة طويلة قبل أن أسأله: وما الذي تشير به علينا أيها الفارسي الطيب؟ قال: أنا حزين يا هانئ ،لا أستطيع أن أشير عليك بقبول واحدة من الثلاث ، أعطني ردك فما أنا إلا رسول. قلت له: أمهلني ساعة أستشير أهل الرأي من قومي، قال: لك ذلك ،اجتمعت بأهل الرأي من قومي في بيت(قيس بن خالد) ،كانوا حوالي عشرين رجلا يمثلون كل بطون بني بكر ،وبعد مناقشة لم تزد عن ربع الساعة ، اتفقنا على رفض(أن نعطي ما بأيدينا) .. لأن المتوقع أن يأمر كسرى بقتلنا جميعا إذا وقفنا تحت قصره عزلا من السلاح،كما اتفقنا على رفض (أن نعري الأرض) لأننا لا نعرف غيرها وحتما سنموت عطشا إن

فعلنا هذا في القيظ ،ثم ناقشنا الثالثة ..(أن نأذن بحرب)، قلنا لو قبلناها فسوف نفنى عن آخرنا ،لكنا قمنا بمقارنة بين موتنا ونحن تحت قصر كسرى ، وموتنا عطشا في الصحراء. أو موتنا ونحن نقاتل جيش كسرى، فوجدنا أن الميتة الأخيرة أعزها وأكرمها، فقبلناها. عدت للفارسي الطيب وأخبرته بقرارنا .. فعانقني وقال: كنت أتوقع هذا ،ثم ركب جواده وسار به قليلا لكنه عاد من جديد وهبط من فوقه وعانقني مرة أخرى في صمت .. كأنه يعتقد أن لقاؤنا هو الأول والأخير. لكن ما حدث في قبيلتنا بعد ذهابه، لا يطاق ،فما أن أعلنت على قومي نبأ الكتاب الذي جاءنا من كسرى ، حتى انتشر الذعر في ديارنا ،وكثر اللغط وتعالى الصياح وتخاذل الناس ،كلهم يدورون حولي ، باستثناء البطن الذي أنتمي إليه(بني ذهل بن شيبان) يطلبون مني ألا أحزن لأنهم سوف يرحلون ،فوافقتهم وقلت لهم لا طاقة لكم على قتال جيشين فيهما الخيل الكثيفة والأفيال المحاربة،ولا مقدرة لكم على حرب جيش مملكة الحيرة الذي تسانده قبيلة(إياد) الفلاة أمامكم فاركبوها وانجوا بأنفسكم وامتلأت الطرقات المؤدية إلى الصحراء بمئات الهوادج عليها النساء والأطفال يقودها الرجال،لم أعترض طريق أحد ،وأشهد بأنني كنت أشعر بالراحة في داخلي،قلت لنفسي يكفي أن يهلك بطن(ذهل بن شيبان)

وحده وتبقى بقية بطون بكر. وكما يحدث في كل زمان ،حيث يطرح كل موقف رجاله الذين يدخرهم الزمن إلى حين وقت ظهورهم. برز في هذه اللحظة (حنظلة بن ثعلبة).. شاب لم يبلغ الثلاثين بعد كان شاعرا وفارسا وفي داخله روح لها قوة ألف رجل ،جال بجواده وهو يهدر بالشعر ،ثم استل سوطه وضرب به وجوه الإبل التي تحمل الهوادج فردها جميعا،تقدم مني حتى وقف قبالتي وقال: أنت المقدم علينا يا هانئ بن مسعود،أشر علينا بما تراه ونحن نطيعك. لم يكن حنظلة من البطن الذي انتمي إليه ولم يكن في الرجال العشرين الذين استشرتهم ،لكنه بد لي أنه(نحن) جميعا الآن. فقلت له: ما أراه لا ألزم به أحدا ،لكني سأقاتل القوم ولو وقفت وحدي،وعلى كل رجل أن يفكر مليا قبل أن يسوق جواده ويقف بجواري ، لأنه الموت. قلت ذلك وتحركت بجوادي حتى وقفت وحدي على مبعدة ،فجاء ولدي الأكبر(عاصم) يحمل رايتنا ذات الألوان الأربعة (الأبيض والأسود والأحمر والأخضر)ووقف بجواده على يميني ،ساق حنظلة بن ثعلبة جواده ووقف عن يساري وخطب في الناس،لم أعرف إن كان يخطب أو يقول شعرا،كانت الكلمات تخفق من فمه مثل خفق النبال لحظة مفارقتها للقوس،كان يتكلم والجياد تتحرك لتقف بفرسانها عن يميننا ويسارنا،في البداية

جاء (بنو همام) أولادي وإخوتي وأبناء عمي وأبناء أعمام أبي،ثم جاء بطننا الأصغر(بنو ذهل) ثم جاء فرسان بطننا الأكبر (بنو شيبان) وما هي إلا لحظات حتى كانت بقية بطون بكر تتدافع من حولنا ، فلم يبق فيهم شيخ أو شاب أو صبي إلا و كان ممسكا بعنان جواده ، أو مرتكزا على سيفه أو منشغلا في إصلاح وتر قوسه أو جاثيا على ركبتيه يتهيأ للوثبة برمحه ،الحرب في ذاتها لا تخيفنا،لقد رضعناها مع لبن أمهاتنا ،عمري الآن فوق الستين، فخضت فيها ما يقرب الثلاثين معركة،لكن هذه المعركة القادمة ألقت على كاهلنا ما لا عهد لنا به،كيف نقاتل الأفيال المدربة على القتال وهي تتحرك أمام الخيل، تنسدل عليها صفائح الفولاذ فلا تؤثر فيها السهام ولا السيوف؟ ثم كيف نتقيها كيلا تبعثر المشاة وتدوسهم بأقدامها الثقيلة؟وما الذي نفعله أمام النشاب، تحمله فرقة كاملة تتقدم الجميع فتطلقه كالمطر قبل أن تنسحب إلى ما وراء الصفوف؟ وما العمل إزاء كثرة عددهم وكثافة خيلهم ومشاتهم؟ ونحن لا نعتب على الملك إياس الذي يقاتل حتى أولاده من أجل إرضاء كسرى ، ولا نعتب على جيشه العربي الذي لا تهمه غير رواتبه لكن كيف ارتضت (إياد) لنفسها أن تنحاز إلى كسرى؟ هل نسيت قبيلة خطيب العرب(قيس بن ساعدة الايادي) أيامها الماضية؟ ثم أين قبائل

العرب؟ لماذا تركونا وحدنا،إن زعيمنا الأكبر (قيس بن مسعود) زعيم قبائل ربيعة التي تضم أكثر من عشر قبائل ونحن واحدة منها، لم يحرك ساكنا حينما أخبرناه ،لو أشار بأصبعه لانسحبت هذه الجيوش التي جاءت تهددنا بالفناء،لكنه تغاضى لأن كسرى أقطعه ثغر(الأبله) الذي يقع بالقرب من الخليج ويستقبله في قصره كما تستقبل الملوك،ما العمل الآن وقد ألقت هذه المعركة القادمة على كواهلنا ما تنوء به! اتفقنا أن نبدأ نحن الهجوم،وقلنا لبعضنا لو انتظرناهم فسوف نغرق تحت نشابهم، ثم تزحف الأفيال فتقضي على من نجا من النشاب ،أوقفنا صفا من الخيل في المقدمة .. ثم نظمنا أنفسنا على شكل كراديس،كل كردوس يضم عشرة من الفرسان أما في الجناحين فقد جعلنا الخيل في شكل قوسين لنوهم القوم بأننا سنحاصرهم ،وقف حنظلة في الميسرة وقيس بن خالد في الميمنة وكنت أنا في القلب،وفي المؤخرة وقفت النساء على الهوادج يضربن على الدفوف ويغنن ، تقدم حنظلة من النساء وقطع بسيفه كل وضن (حزام يربط الهودج بالبعير)، وقال لو أراد أحدنا الفرار بنسائه لما استطاع لأن الهودج سوف يسقط ، فأطلق عليه الناس منذ تلك اللحظة(مقطع الوضن)، كانت بنات النعمان يقفن مع بناتي يضربن على الدفوف كبراهن هند لو رآها كسرى لقال هذه تنطبق عليها

صفات السجلات،كانت تغني وتبكي في آن ،بجوارها ابنتي زينب تغني هي الأخرى وتبكي معها.. بناتنا يشعرن بأنها آخر معاركنا على كل حال الموت ينتظر كل حي،وخير لنا أن يشير الناس إلى أرضنا ويقولون ، ها هنا كانت تعيش بكر التي فنيت لأنها رفضت اللؤم .. خير من أن يقولوا هاهم بنو بكر الذين أسلموا بنات النعمان و عاشوا لئاما،أعطيت الإشارة للصف الأول فانطلق وتحركت الكراديس وراءه،كانت خطتنا ألا نعطي لضاربي النشاب الفرصة وأن تصل الكراديس قبل أن تتحرك الأفيال، وأن تلتف أطراف القوسين على أجنابهم بعد أن ضممنا إليهم المشاة وحاملي النبل لنوهمهم بالحصار ثم كان لنا ما أردناه بصورة لم نكن نتوقعها حتى أننا طمعنا في النصر منذ الجولة الأولى ،فاجأنا ضاربي النشاب قبل أن يطلقوا نبالهم فشغلناهم في أنفسهم ، وتجنبنا الأفيال فكنا وراءها قبل أن تتحرك ، واشتبكنا مع الفرسان على طريقة الكر والفر .. كلما هجموا على كردوس ، فر من وجوههم وشد عليهم كردوس أخر ،والفرار عندنا معشر العرب لا يعني الهزيمة ، لكنه حركة من حركات الحرب نهجم بسرعة وننسحب بسرعة، ثم نكر من جديد فيظن خصمنا أننا أضعاف عددنا فيرتبك أو يهرب،ضغط طرفا كل قوس على مجنبتي العدو يتخطفان فرسانهما بنفس طريقة الكر والفر،فظنوا

أننا سوف نحاصرهم حقيقة، فارتبكت ميمنتهم وتراجعت فتداخلت في القلب وضاقت الأرض بخيل القلب فلم تتمكن من المناورة ، كنت أقاتل وحولي أربعة من أولادي وعشرة من أبناء إخوتي ، وعاصم بجواري يحمل رايتنا ،تلفت حولي وقدرت الموقف .. ونحن الآن جردناهم من أكبر قوتين ،الأفيال وفرقة النشاب و هاهو حنظلة بن ثعلبة نجح في أن يجعل ميمنتهم تتداخل في قلبهم ،إذن الآن لا نقاتل إلا ميسرتهم وحدها صحت بأعلى صوتي و ساعدني أولادي في الصياح ، إن الخطة تغيرت،فما دمنا أصبحنا الأغلبية في الميدان الآن فعلينا أن نحاصر القوم حقيقة لا وهما،وعلى الميسرة بقيادة حنظلة أن تقوم بهذا وعلى نصف كراديسنا التي تواجه قلب العدو المرتبك أن تنضم إلى حنظلة،وفرساننا معشر العرب تستطيع أن تغير اتجاهها في أي لحظة مهما كان القتال شديد،فما بالكم ونحن الآن بأيدينا الزمام! في دقائق معدودة كان حنظلة يقود الميسرة فضلا عن الكراديس التي انضمت إليه ويدور وراء القوم ،وقد ندمت فيما بعد على تغير خطتي،فقد تنبه القوم لخطة حنظلة وقاوموه مقاومة لم نكن نوقعها،في نفس الوقت انتعش قلب العدو بسبب انسحاب كراديسنا من أمامه،على أننا رغم ذلك، كانت لنا السيطرة إلى أن فصل الظلام بيننا،عدنا إلى ضفاف ذي قار وقسمنا أنفسنا جماعة

تغفو وجماعة تداوي الجرحى وتدفن الموتى وتعلف الخيل وجماعة تحرس ، في ظلام الليل تسلل إلينا رجل من قبيلة (إياد) وقال لنا اختاروا بين أمرين : إما أن نهرب من ليلتنا وليحدث ما يحدث وإما أن نهرب من الميدان. فقلنا له بل أهربوا أثناء اشتداد القتال لأن ذلك يوهن العدو ، قبل انصرافه قال لنا إن الميسرة التي قادها حنظلة قتلت بأمس قائد كسرى (جلابزين) أثناء محاولتها حصار القوم وهم يخفون ذلك الآن؛فاستبشرنا ، اقترح (يزيد السكوني) أن يكمن بشطر من الفرسان وراء تلال(الجب) الجنوبية ، ولا يدخل بهم المعركة لا في اللحظة التي تفر فيها قبيلة إياد فوافقته. في منتصف الليل اتفقنا أنا وحنظلة و قيس بن خالد وكل أصحاب الرأي،أن نفاجئ القوم بالهجوم في العتمة التي تسبق الفجر ، لأنهم لن يمكنوننا من أن نبدأ الهجوم لو انتظرنا للصباح بعد أن فطنوا إلى ما فعلناه بالأمس،كانت خطة ميمونة وأيم الحق،فقد فزعت الأفيال وهي ترى خيلنا تهبط عليها كالطيور الجارحة، وسيوفنا تهوى على خراطيمها،فعلت بهم الأفيال في فرارها ، ما لم نكن نقدر على فعله بعثرت صفوف القوم فأفزعت خيلهم وحطمت خيام السلاح والطعام وأسالت قرب الماء في الرمال ، وهربت قبيلة (إياد) من الميدان في نفس اللحظة التي اندفع فيها يزيد السكوني بفرسان الكمين ، فصرع

في اندفاعه القائد الشهير (الهامرز) فأعطانا القوم ظهورهم فطاردناهم حتى آخر حدود أرضنا الشرقية، وفي نهاية ذلك اليوم، أقمنا أكبر عرس شهدته ديارنا،عقدنا لجميع من بلغوا الحلم من أولادنا وبناتنا وطالبناهم بتعويض من فقدناهم على ضفاف ذي قار(يوم ذي قار) لأن الطاغية كسرى لن يتركنا نعيش في هدوء.

حسن البصري

كان في قديم الزمان وسالف الأزمان، شاب مقيم بأرض البصرة، وكان ذلك الشاب واسمه حسن يعمل صايغا. وفي يوم من الأيام وبينما كان جالس في دكانه في السوق توقف عنده شيخ أعجمي ، نظر في صنعته وتأملها بمعرفته فأعجبته، ثم هزّ رأسه وقال لحسن: والله انك صايغ مليح..ثم انصرف.ولما كان وقت العصر وخلت الدكان من الناس أقبل الشيخ الأعجمي على حسن مرة أخرى وقال له: يا ولدي،أنت شاب مليح وأنا ليس لي ابن وقد عرفت صنعة ليس في الدنيا أحسن منها،وقد سألني خلق كثير من الناس في شأن تعليمها فما رضيت أن أعلّمها أحدا منهم، ولكن قد سمحت نفسي أن أعلّمك إياها وأجعلك ولدي وستكسب مالا من الصنعة الجديدة وتستريح من صنعتك هذه والتعب في المطرقة والفحم والنار. فقال له حسن: يا سيدي، ومتى تعلّمني الصنعة الجديدة؟ قال الشيخ: في غدٍ أتيك وأصنع لك من النحاس ذهبا خالصا بحضرتك. ففرح حسن وودّع الشيخ وسار إلى أمه، فدخل وسلّم عليها وأكل معها وهو مدهوش بلا وعي ولا عقل. فقالت له أمه: ما بالك يا ولدي..فلما أخبرها بأمره..قالت له: إحذر يا ولدي أن تسمع كلام الناس خصوصا الأعجام فلا تطاوعهم في شيء، فإن هؤلاء غشاشون يعملون صنع السحر ويتصبون على الناس

ويأخذون أموالهم ويأكلونها بالباطل. فقال لها: يا أمي نحن ناس فقراء و ليس لدينا شيء يطمع فيه أحد حتى ينصب علينا. وقد جاءني رجل أعجمي لكنه شيخ صالح عليه أثر الصلاح وإنما قد حنّنه الله عليّ. فسكتت أمه على غيظ، وصار ولدها مشغول القلب ولم يأخذه نوم في تلك الليلة من شدة فرحه بقول الشيخ الأعجمي له. فلما أصبح الصباح ذهب إلى دكانه وأقبل عليه الشيخ وقال له: يا حسن عمّر البودقة وركّب الكير، ففعل حسن ما أمره به الشيخ وأوقد الفحم. فقال له الشيخ: هل عندك نحاس؟ قال حسن: نعم عندي طبق مكسور. فأمره أن يقطعه قطعا صغيرة ثم رماه في البودقة ونفخ عليه بالكير حتى انصهر سائلا. فمد الشيخ يده إلى عمامته وأخرج منها ورقة ملفوفة وفتحها وذرّ منها شيئا في البودقة مقدار نصف درهم،وذلك الشيء يشبه الكحل الأصفر، وأمر حسن أن ينفخ عليه بالكير. ففعل مثل ما أمره حتى صار سبيكة ذهب. فلما نظر حسن إلى ذلك اندهش وتحيّر عقله من الفرح. وبعد أن بردت السبيكة قال له الشيخ: خذها وأنزل بها إلى السوق وبعها واقبض ثمنها سريعا ولا تتكلم. فنزل حسن السوق وأعطى السبيكة إلى الدلال فأخذها منه وحكّها فوجدها ذهبا خالصا، فتزايد عليها التجار، فباعها بخمسة عشر ألف درهم وقبض ثمنها ومضى إلى البيت وحكى لأمه جميع ما

فعل. وقال لأمه: إني أريد أن أتعلّم هذه الصنعة. فضحكت عليه وقالت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي اليوم التالي قال الشيخ لحسن: ياولدي فإن كنت تريد أن تتعلم هذه الصنعة فاذهب معي إلى بيتي. فقام حسن وأغلق الدكان وسار مع الشيخ،فبينما هو في الطريق إلى بيت الشيخ إذ تذكّر قول أمه وحسب في نفسه ألف حساب ووقف وأطرق برأسه إلى الأرض ساعة زمانية. فالتفت الشيخ فرآه واقفا فضحك وقال له: هل أنت مجنون؟ كيف أضمر لك في قلبي الخير وأنت تحسب أني أضرك؟ ثم قال له:إن كنت خائفا من ذهابك معي إلى بيتي فأنا أروح معك إلى بيتك وأعلّمك هناك. فقال له حسن: نعم يا عم. فذهب الشيخ مع حسن إلى بيته.

دخل حسن إلى داره فوجد أمه فأعلمها بحضور الشيخ معه والشيخ واقف على الباب، ففرشت أم حسن البيت ورتبته لهما ولما فرغت من أمرها راحت إلى مخدعها.ثم إن حسنا أذن للشيخ أن يدخل فدخل. ثم دخل حسن على أمه وجاء بطعام ووضعه بين يدي الشيخ وقال له: كل يا سيدي لأجل يصير بيننا خبز ملح والله ينتقم ممن يخون الخبز والملح. فقال الشيخ: صدقت يا ولدي. ثم تبسم وقال:يا ولدي، من يعرف قدر الخبز والملح؟ ثم تقدم الشيخ وأكل مع حسن

حتى اكتفيا ثم قال الشيخ لحسن: يا ولدي أحضر العدّة،فأحضرها حسن بين يدي الشيخ. فأخرج الشيخ قرطاسا من الورق وقال: يا حسن، وحق الخبز والملح لولا أنت أعزّ من ولدي ما أطلعتك على هذه الصنعة.فأخذ حسن الورقة فرأي فيها شيئا أصفر فقال: يا سيدي ما اسم هذا؟ وأين يوجد؟ وفي أي شيءيعمل؟ فضحك الشيخ وطمع في حسن وقال لحسن: عن أي شيء تسأل؟إعمل وأنت ساكت يا حسن. وأحضر حسن طاسة نحاس من البيت وقطعها وألقاها في البودقة ورمى عليها الشيخ من الذي في الورقة فصارت سبيكة من الذهب الخالص، فلما رأى حسن ذلك فرح فرحا شديدا وصار متحيّرا في عقله مشغولا بتلك السبيكة. فأخرج الشيخ صرة من رأسه بسرعة وقطعها ووضعها في قطعة من الحلوى التي أحضرها حسن من السوق وقال لحسن: يا ولدي أنت صرت أعزّ علي من ولدي ومالي. فقال له حسن: أنا غلامك ومهما فعلت معي كان عند الله تعالى. فقال الشيخ: يا ولدي وصبّر نفسك فيحصل لك الخير. ثم ناوله قطعة الحلوى التي ما أن بلعها حسن حتى سبقت رأسه رجليه وغاب عن الدنيا مغشيا عليه. فلما رآه الشيخ وقد حل به البلاء فرح وقال: لي أعوام كثيرة وأنا أبحث عن طريقة لخطفك حتى حصلت عليك. ثم إن الشيخ شدّ وسطه وكتّف جسنا وربط رجليه على يديه

وأخذ صندوقا وأخرج منه الحوايج التي كانت فيه ووضع حسنا فيه وقفله عليه وفرّغ صندوقا آخر ووضع فيه جميع المال الذي عند حسن وسبائك الذهب التي صنعها أولا وثانيا وقفله، ثم خرج يجري إلى السوق وأحضر حمّالا وحمل الصندوقين،وتقدم إلى البحر يتبعه الحمّال إلى أن وصلا سفينة شراعية كانت راسية على الشاطئ وما كادا يدخلانها ويضع الحمّال الصندوقين على ظهرها وينصرف،حتى دفعها الشيخ إلى داخل البحر وأطلق لها الشراع،فجرت مع الريح.

أما ما كان من أمر أم حسن فإنها انتظرته إلى العشاء، فلم تسمع له صوتا ولا خبرا، فجاءت إلى ديوانه فرأته مفتوحا ولم تر فيه أحد ولم تجد الصناديق ولا المال، فعرفت أن ولدها قد فقد ونفذ فيه القضاء فلطمت وجهها وشقّت أثوابها وصاحت وولوت وصارت تقول: وا ولداه وا ثمرة فؤاداه.ثم صارت تبكي وتنوح إلى الصباح، فدخل عليها الجيران وسألوها عن أمر ولدها فاخبرتهم بما جرى له مع الشيخ الأعجمي، واعتقدت أنها سوف لن تراه بعد ذلك، وجعلت تدور في البيت وتبكي. فبينما هي دائرة في البيت إذ رأت سطرين مكتوبين على الحائط فأحضرت فقيها فقرأهما لها فإذا فيهما ما يدل على أن حسن ذهب إلى مكان قفر وبعيد المزار..ودّع الجيران أم حسن وانصرفوا بعد أن دعوا لها بالصبر وجمع الشمل قريبا.

وكان اسم ذلك الشيخ الأعجمي (بهرام) ، وكان له في كل سنة واحد من الفتيان يأخذه ويقتله على مطلب. فلما تمت حيلته على حسن الصايغ وسار به من أول النهار إلى الليل رست المركب على بر جزيرة وفي الصباح أخرج الشيخ حسن من الصندوق، ونشّقه بالخل ونفخ في أنفه ذرورا فعطس حسن وفتح عينيه ونظر يمينا وشمالا فوجد نفسه في وسط البحر والمركب سائر والشيخ الأعجمي عنده،فعلم أنها حيلة عُلمت عليه. وعملها الملعون بهرام وأنه وقع في الأمر الذي كانت أمه تحذّره منه فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم ألطف بي في قضائك وصبّرني على بلائك يا رب العالمينز ثم التفت إلى الشيخ وكلمه بكلام رقيق وقال له: يا عماه، ما هذه الفعال؟ وأين الخبز والملح واليمين التي حلفتها لي؟ فنظر الشيخ الأعجمي إلى حسن وقال له: يا كلب، هل مثلي يعرف خبزا وملحا؟ وأنا قد قتلت مثلك ألف فتى إلا فتى وأنت تمام الألف، وصاح عليه فسكت حسن وعلم أن سهم القضاء نفذ فيه. ظل حسن صابر يتضرّع إلى الله عز وجل وقد قسى قلب الشيخ الأعجمي عليه. وبينما هما سائرين في صباح اليوم الثاني هبت ريح شديدة فهاج البحر بالمركب حتى أيقن الشيخ بالهلاك فخاف على نفسه وحلّ حسنا من وثاقه وصالحه ووعده أن يعلمه الصنعة

ويردّه إلى بلده وقال له: يا ولدي، لا تؤاخذني بما فعلت معك. فقال له حسن: كيف أركن إليك بعد الذي فعلته معي؟ فقال الشيخ: يا ولدي لولا الذنب ما كانت المغفرة وأنا ما فعلت معك هذه الفعال إلا لأجل أن أنظر صبرك وأنت تعلم أن الأمر كله بيد الله. فسكنت الريح، وانكشفت الظلمة وطاب السفر. ثم إن حسنا قال للشيخ: يا شيخ إلى أين تتجه بنا؟ قال الشيخ: اتجه إلى جبل السحاب الذي فيه حاجتي التي أطلبها. ثم حلف لحسن أنه ما بقي له عنده ما يخيفه. فطاب حسن وفرح بكلام الشيخ، لقد أبحرت المركب ثلاث أيام بلياليها ، وفي اليوم الرابع اتجه الشيخ إلى الشاطئ، ولما رست المركب وقف قائما وقال: يا حسن، قم اطلع فاننا قد وصلنا الى مطلوبنا ومرادنا. فقام حسن وطلع معه وتركا المركب راسية عند الشاطيء. مشى حسن مع الشيخ الأعجمي إلى أن غابا عن الشاطيء. ثم جلس الشيخ وأخرج من جيبه طبل نحاس وزخمة من حرير منقوشة بالذهب وعليها طلاسم وضرب الطبل، فلما فرغ ظهرت غبرة من ظهر البرية. فتعجب حسن من فعل الشيخ وخاف منه وندم على طلوعه معه وتغيّر لونه، فنظر إليه الشيخ وقال له: ما لك يا ولدي. لا تخف، وأعلم لولا حاجتي لا تنقضي إلا على اسمك لا ما كنت جئت بك إلى هنا، فابشر بكل خير، وهذه الغبرة شيء نركبه فيعيننا

على قطع هذه البرية ويسهّل علينا مشقتها حتى نصل جبل السحاب.فما كان إلا قليلا حتى انكشفت الغبرة عن ثلاث نجائب: فركب الشيخ واحدة وركب حسن واحدة و حملا زادهما على الثالثة وسارا سبعة أيام، ثم انتهيا إلى أرض واسعة. فلما نزلا تلك الأرض نظرا قبة معقودة على أربعة أعمدة من الذهب الأحمر، فنزلا من فوق النجائب ودخلا تحت القبة وأكلا وشربا واستراحا. فلاحت التفاتة من حسن فرأى شيئا عاليا فقال له حسن: ما هذا يا عم؟ فقال له الشيخ الأعجمي:هذا قصر. فقال له حسن: أما تقوم ندخله لنستريح فيه ونتفرج عليه؟ فصاح به الشيخ وقال له: لا تذكر لي هذا القصر فإن فيه عدوي ووقعت لي فيه حكاية ليس هذا وقت إخبارك بها. ثم دق الطبل فاقبلت النجائب فركبا وسارا سبعة أيام. فلما كان اليوم الثامن قال الشيخ: يا حسن، ما الذي تنظره؟ فقال حسن: أنظر سحابا وغماما بين المشرق والمغرب. فقال الشيخ: ما هذا بسحاب ولا غمام وإنما هو جبل عظيم شاهق ينقسم عليه السحاب وليس هناك سحاب يكون فوقه من فرط علوّه وعظم ارتفاعه، وهذا الجبل هو المقصود لي وفوقه حاجة ولأجل هذا جئت بك معي وحاجتى تنقضي على يديك. فعند ذلك يئس حسن من الحياة ثم قال للشيخ: وما الحاجة التي جئت بي من أجلها؟ فقال الشيخ: حشيش ينبت في

المحل الذي يمر به السحاب وينقطع عليه، وهو هذا الجبل والحشيش فوقه فإذا حصلنا الحشيش أريك شيء هذه الصنعة. فقال له حسن من خوفه: نعم يا سيدي. وقد يئس من الحياة وبكى لفراق أمه ووطنه وندم على مخالفته أمه.

ولم يزالا سائرين إلى أن وصلا ذلك الجبل ووقفا تحته، فنظر حسن فوق ذلك الجبل قصرا فقال للشيخ: ما هذا القصر؟ فقال الشيخ: هذا مسكن الجان والغيلان. ثم إن الشيخ نزل من فوق نجيته وأمر حسن بالنزول وقام إليه وقبلّ رأسه وقال له: لا تؤاخذني بما فعلته معك فأنا أحفظك عند طلوعك القصر وينبغي إنك لا تخونني في شيء من الذي تحضره منه وأكون أنا و أنت فيه سواء. فقال له حسن: السمع والطاعة. ثم إن الشيخ فتح جرابا وأخرج منه طاحونا وأخرج منه مقدارا من القمح وطحنه على تلك الطاحون وعجن منه ثلاثة أقراص وأوقد النار وخبز الأقراص، ثم أخرج طبل النحاس والزخمة المنقوشة ودقّ الطبل، فحضرت النجائب، فاختار منها نجيبا وذبحه وسلخ جلده ثم التفت إلى حسن وقال له: اسمع ياولدي يا حسن ما أوصيك به. قال حسن: نعم. قال الشيخ: أدخل في هذا الجلد وأخيط عليك وأطرحك على الأرض فتأتي طيور الرخم فتحملك وتطير بك إلى أعلى الجبل وخذ هذه السكين معك، فإذا فرغت من طيرانها

وعرفت أنها حطتك فوقه فشق بالسكين الجلد وأخرج فإن الطير يخاف منك ويطير عنك، وطل لي من قوف الجبل وكلّمني حتى أخبرك بالذي تعمله.طار الطير بحسن إلى أعلى الجبل وحطّه فوقه وشق حسن الجلد وخرج منه وكلم الشيخ، فلما سمع الشيخ كلامه فرح ورقص من شدة الفرح وقال له: إمض إلى ورائك ومهما رأيته فاعلمني به. فمضى حسن فرأى رمما كثير وعندهم حطب كثير فأخبر الشيخ بجميع ما رآه. فقال له الشيخ: هذا هو المقصود والمطلوب، فخذ من الحطب ست حزم وارمها لي، فرمى له حسن الست حزم. فلما رأي الشيخ تلك الحزم وصلت عنده قال لحسن: لقد انقضت الحاجة التي أردتها منك فإن شئت فدم على هذا الجبل أو ألق بنفسك على الأرض فتهلك ثم مضى الشيخ.

فقال حسن: لا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، قد مكر بي هذا الشيخ اللئيم.ثم أنه وقف على قدميه والتفت يمينا وشمالا ثم مضى فوق الجبل وايقن في نفسه بالهلاك، وصار يتمشى حتى وصل إلى الطرف الآخر من الجبل فراى بجانب الجبل بحر أزرق متلاطم الأمواج قد أزبد، وكل موجة كالجبل العظيم. فجلس وقرأ ما تيسّر من القرآن الكريم وسأل اللّه تعالى أن يهون عليه، بالخلاص من هذه الشدائد، فرمى نفسه في البحر، فحملته الأمواج على سلامة اللّه

تعالى إلى أن طلع من البحر سالما بقدرة الله تعالى. ففرح وحمد الله تعالى و شكره على فضله ومنته عليه بالنجاة.

ثم قام يمشي ويبحث عن أي شيء يأكله، فبينما هو كذلك وإذا هو بالمكان الذي كان فيه هو وبهرام الأعجمي، ثم مشى ساعة فإذا هو بقصر عظيم شاهق في الهواء فدخله، فإذا هو القصر الذي سأل عنه بهرام وقال له، إن هذا القصر فيه عدوه. فقال حسن: والله لابد من دخولي هذا القصر لعل الفرج يحصل لي فيه. فلما جاءه رأي باب القصر مفتوحا ، وشجعه على الدخول أنه لم يذق طعاما طوال اليوم فكان لابد له من شيء يقتات به فدخل القصر. ودلته رائحة الطعام على المطبخ ، فسلك طريقه إليه. دخل حسن المطبخ ، فوجد بداخله فتاة جميلة كأنها القمر ليلة تمامه ، فنظرت إليه في دهشة وقالت له: من أنت؟ فرد عليها بصوت مرتجف أنا حسن البصري. و رأت دلائل الإعياء بادية على وجهه فأشفقت عليه وقالت له: تعال ولا تخف، يظهر أنك جوعان تعال وكل. وبعد أن أكل وشرب ، ساقته من يده وذهبت به إلى أخواتها وقالت لهن: هذا ولد مسكين ضل طريقه إلى قصرنا ويظهر أنه جاء من مكان بعيد، فما رأيكن ؟ أنخليه يقيم معنا في البيت أم نهيئ له أسباب العودة إلى أهله؟ فقالت البنت الكبرى ، واسمها نفيسة : نريد أن نعرف أولا كيف وصل إلى قصرنا

هذا البعيد من بلاد الناس؟ و لما سمع حسن هذا الكلام ،قص للبنات قصته مع الشيخ الأعجمي، وقال لهن إنني تركت أمي وحدها ولا شك أنها تعتقد الآن أنني مت ، فبكين لقصته ، وقالت البنت التي أعطته الطعام ، واسمها سعاد: نحن نعرف هذا الرجل تماما ، إنه شرير ، يستدرج المساكين إلى هذا الجبل دائما ليقطعوا له المساويك ويتركهم ليموتوا. قال حسن:ولكن لماذا يفعل ذلك؟ وما قيمة المساويك حتى يقتل الناس من أجلها؟ قالت سعاد:هذه المساويك التي يقطعها من خشب الإكسير ، وإذا وضعها الإنسان على أي شيء يصير ذهبا لكن لكي يكون ذلك لابد أن يموت الإنسان الذي قطعها ، لذا فانه يسوق الأولاد إلى الجبل ليموتوا هناك من شدة الجوع والعطش أو تأكلهم الذئاب.

ثم قالت البنات لحسن: هل سألت ذلك الشيخ الشرير عن هذا القصر؟ قال: نعم سألته فقال لي لا أحب سيرته إن فيه عدوي. قلن له صدق إنه يخافنا أشد الخوف لأنه ظالم ويخشى بطشنا به لظلمه..وأعلم يا أخي أننا ورثنا هذا القصر من أبينا الذي كان ملكا من ملوك الجان وله جنود وأعوان، ولغيرته علينا لم يزوجنا بل أحضرنا إلى هذا القصر الذي في هذا المكان الذي لم يطرقه طارق ولا من الانس ولا من الجان. وكان إذا أراد أن نحضر عنده حملنا البساط

السحري إليه حتى يأتنس بنا ونقضي أغراضنا منه ثم نعود إلى قصرنا. أما الآن فلم يبقى لنا سوى عمنا الذي يقيم في بلاد أخرى ولكنا نزوره كل عام وإذا أردنا منه شيئا طلبناه فيأتينا في الحال. ثم مضت البنات يتشاورن في أمر حسن. واجتمع رأيهن على بقائه معهن في القصر. ومضت خمس سنين، وكبر حسن حتى صار شابا طويلا قويا، ورآه عم البنات وكان يزورهن كل عام، فأعجب به وأحبه، وكان يقدم إليه هدية في كل زيارة. لكن حسن برغم هذه السعادة ، كان يحن إلى أمه و يتوق للقائها.وفي يوم من الأيام قالت له سعاد: لقد قررنا أن نزور عمنا في بلاده،ونتركك في القصر ولك أن تستعمل كل حجراته: لكن إياك أن تفتح تلك الحجرة، وأشارت له عليها ، ثم سلمته جميع المفاتيح وسافرت هي وأخواتها.ومضت عدة أيام ولم يتجرأ حسن على فتح الحجرة.مضى شهر كامل ، وحسن يغالب نفسه على الابتعاد من الغرفة المحرمة؛ ولكن نفسه كانت أقوى منه فتغلبت عليه أخيرا،وتقدم نحو الحجرة وفتحها ، ثم أطل من الباب،فعقدت الدهشة لسانه لأنه لم يكن يتوقع أن يرى ما رآه.رأى حسن في وسط الغرفة بركة من الماء ، وبجانبها شجرة مورقة تمتد أغصانها في الفضاء.دخل حسن الغرفة وجلس تحت الشجرة وأخذ يدير بصره في أنحاء المكان،وبينما هو كذلك جاءت جماعة من

الأوز واستقرت فوق الشجرة ثم اندست كل واحدة منهن خلف الأغصان،وكان حسن يمشي وكأنه في حلم ،واسترق النظر إلى جماعة الأوز خلف الأغصان فرأى أنه قد بدأ ينفض ريشه ، ثم نزل إلى الأرض ووضع الريش عند طرف البركة،وصار فتيات جميلات كأنهن البدور،وغاصت كل منهن في الماء وجعلت تداعب أخواتها وتلهو معهن.كان حسن ينظر إلى كل ذلك وهو لا يصدق عينيه ، إذ كيف لجماعة من الأوز أن تتحول إلى فتيات جميلات كهؤلاء،واستمر ينظر إلى الفتيات وهن يسبحن ويلعبن في الماء،ولما انتهين من السباحة لبسن الأجنحة وطرن في الهواء.وخرج حسن وأغلق الحجرة وراءه وانتظر حتى اليوم التالي.وفي اليوم التالي،فتح حسن الغرفة،وصعد فوق الشجرة واندس بين الأغصان،وجعل يتلفت ، وجاء الأوز طائرا وكانت تتقدمه هذه المرة وزة كبيرة جدا ونزل الأوز عند طرف البركة وراء الوزة وخلعت الوزة الكبيرة ريشها وفعل باقي الأوز مثل ذلك. وخرجت من الوزة الكبيرة فتاة لم تقع عين حسن على مثلها جمالا وروعة،لقد كان وجهها أبيض كالصباح وشعرها أسود كالليل وقوامها معتدلا كالغصن وعيناها تحكيان عيون الغزلان في جمالها ، لقد كانت في نظره أجمل فتاة في الدنيا.نزلت الفتاة وصاحباتها في البركة ونظر حسن إليها وهي تسبح فأعجبته وأحبها حبا شديدا،وتمنى في

نفسه أن تكون زوجة له. وبعد فترة من الوقت، خرجت الفتاة الجميلة وصاحباتها من الماء ولبسن الريش وطرن في الهواء.و في اليوم الثالث فتح حسن الباب،واختبأ في الشجرة منتظرا ، لكن الأوز لم يجئ ، فحزن جدا ، وقال في نفسه ، إذا أبى الأوز أن يجئ فاني سأموت ، لأني أحب الوزة الكبيرة. ومضت أيام و شهور ، وحسن ينتظر مجيء الأوز من غير جدوى؛ و كاد حسن يموت من الحزن فاصفر لونه وكره الأكل وصار لا يذوق طعم النوم إلا قليلا. ومضت أيام وهو على هذه الحالة. ثم عادت أخواته صاحبات القصر من السفر،ورأينه فرثين حاله،وسألنه:هل أنت مريض؟ فسكت حسن خجلا ولم يجب بكلمة ، فخمنت سعاد سبب مرضه وقالت له: هل فتحت الحجرة؟ قل الصدق ولا تكذب، فإننا نحبك ولا نريد بك شرا ، فاطمأن حسن وزال عنه الخجل وقال: نعم فتحتها ورأيت بها عجبا ، رأيت أوزا عجيبا وعشقت واحدة منه ، فقالت له سعاد: صف الوزة التي عشقتها.قال:إنها وزة كبيرة ، تحضر قدام الأوز وتدخل الماء قبله،وتخرج قبله وكل الأوز يطيعها ، ويقلدها في كل عمل تقوم به ، قالت سعاد: و ماذا قالت لك الوزة الكبيرة ؟ قال حسن : لم تقل شيئا ، لقد كنت أنظر إليها كل يوم وهي تسبح .. وفجاءة توقفت عن المجيء هي وصاحباتها إنها جميلة يا سعاد

ولابد لي أن أتزوجها مهما كلفني ذلك. فقالت له سعاد: هذه مصيبة كبيرة يا حسن،الوزة الكبيرة بنت سلطان الجن،ولن تستطيع أنت ولا غيرك أن تتزوجها ، فلا تشغل نفسك بها ، وسنبحث لك عن فتاة أجمل منها من بنات البشر تسعدك وتكون لك نعم الزوجة.فبكى حسن وأسرف في البكاء،وبكت سعاد وأخواتها لبكائه.وقال حسن لهن : لن استطيع الحياة من غير أن أرى بنت سلطان الجن ، لقد طالت غيبتها ، ولست أدري هل ماتت أو هل هي مريضة؟ لابد أن أراها وأتزوجها.فقالت سعاد: إنها لم تمت، إنها تغيب كل السنة ولا تحضر إلا أسبوعا واحدا. وقد أخبرتك أنها بنت سلطان الجن، ولن تقدر على زواجها، فطاوعنا واصبر عنها. وبكى حسن وألح في البكاء.وبكت سعاد وأخواتها إشفاقا عليه.وفكرت سعاد ثم قالت له: إن سلطان الجن قوي جبار، ونحن نخشاه ونرهبه، ولكني أحبك ولا أريد أن أراك حزينا. فاصبر إلى الوقت الذي تجئ فيه (بعد عشرة شهور) فإذا جاءت ، فادخل بين أغصان الشجرة ، وانتظر حتى تخلع الريش هي وصاحباتها وعندئذ انزل من الشجرة من غير أن تحدث صوتا،واجمع الريش واصعد به مرة أخرى فإذا خرجت الفتيات من الماء فأعط كل واحدة ريشها لتطير به ، وامنع صاحبتك من ذلك،إنها ستبكي وتصرخ بأعلى صوتها، فلا تخف فإنها ستيأس

بعد قليل وترضى بالحضور معك ، وسندعو المأذون ليعقد زواجكما وسيحضر عمي بعد مدة ويعد لكما مركبا لتصطحبها إلى أهلك. ومضت عشرة شهور ، وجاءت بنت سلطان الجن وصاحباتها إلى البركة . ففعل حسن مثل ما قالت له سعاد ، وتزوج بنت سلطان الجن، واسمها بدور ،وجاء عم سعاد و احضر المركب ، فودع حسن سعاد وأخواتها ووعد أن يزورهن كل عام، وركب حسن وزوجته المركب وسافرا إلى أهله.ولما وصل وجد أمه حية ، فرحبت به وبزوجته الجميلة أيما ترحيب،وعاش حسن مع زوجته وأمه سعيدا مدة من الزمن.وذات يوم كان حسن يتجول في البلدة ، فرآه الشيخ الأعجمي وعرفه من أول نظرة (أنه الشرير الذي أخذه إلى جبل السحاب ليقطع له المساويك). لما رأى ذلك الشيخ حسن قال في نفسه: هذا هو الفتى حي،لقد عرفت الآن لماذا لم يقلب الإكسير النحاس ذهبا. إني مدين لبعض التجار بمال كثير، لقد اشتريت منهم نحاسا كثيرا ووعدتهم أني سأقلبه ذهبا،وأسدد لهم ديونهم.لكن هذا لم يحدث إلى الآن، والسبب فيه أن الفتى لا زال على قيد الحياة.وتابع الشيخ حسن في الطريق حتى رآه يدخل بيته وبعد أيام ادعى الشيخ أنه بدال ، فحمل سلة مملوءة بأواني الصيني والخرز وأشياء أخرى وخرج يصيح في الشوارع : الصيني ، السبح

ومر في طريقه أمام بيت حسن ، فسمعت أم حسن صياحه وقالت له: تعال أيها الشيخ، ودعنا نر بضاعتك ، فبدا السرور عليه ومشى إليها ثم دخل البيت.وجاءت بدور زوجة حسن لتعاين الخرز والصيني،فنظر إليها الشيخ نظرة حادة ، وعرف أنها جنية ، لأنه كان ساحرا مكارا ، ثم سألها عن اسمها فقالت له : اسمي بدور بنت الملك المشهور سلطان الجن.فضحك الشيخ الخبيث وقال لها:ولكن أين ثوب الريش ؟ فأخبرته أنه عند زوجها . فقال لها:أنت كذابة ولابد لي أن أراه لكي أصدقك.فقالت له أم حسن:بل أنت الكذاب،فهي بنت ملك الجن وثوب الريش عندي ولن أعرضه عليك لأن أبني أمرني أن لا أخرجه لأي إنسان.فقال لها الشيخ:أنت كذابة أيضا ولن أصدقك حتى أراه، فاغتاظت أم حسن من كلامه وفتحت الصندوق وأخرجت ثوب الريش. ولما رأت بدور الثوب جعلت تبكي وتلح على أم حسن أن تعطيها إياه ، فأشفقت أم حسن عليها وناولته لها،وما كادت بدور تمسك ثوب الريش بيدها حتى لبسته وطارت في الهواء ، ثم قالت لأم حسن:استودعك الله، وأرجو أن تبلغي سلامي لولدك حسن وتخبريه أن يأتي إلى جزائر كاش كاش إذا أراد زيارتي . ودعتها أم حسن إلى الرجوع ولكن من غير فائدة.فقد طارت بدور في الهواء وغابت عن العيون . التفتت أم حسن

إلى الشيخ الخبيث وقالت له: هذا كله من عملك أيها الشقي. فضحك الشيخ وقال لها: أنت امرأة مغفلة، لقد كان من واجبك أن تسمعي كلام ولدك ولا تخرجي لنا الثوب، ثم ودّعها وانصرف. عاد حسن إلى البيت ، فأخبرته أمه بما حدث ، فلامها على تفريطها في ثوب الريش ، ثم قال لها : لن استطيع الحياة بغير بدور، ولابد لي أن أسعى لإرجاعها مهما كلفني ذلك من تعب.فكر حسن وفكر ، ثم قرر أن يرجع إلى القصر ويطلب من سعاد وأخواتها إعانته في مصيبته. وتوجه حسن إلى البحر ، فوجد سفينة راسية على الشاطئ فدخلها ورأى فيها رجلا مسنا عرفه من أول نظرة ولكنه تظاهر بأنه لم يعرفه: لم يكن الرجل الذي رآه حسن سوى ذلك الشيخ الخبيث الذي كان سببا في كل هذه المصائب.طلب حسن من الشيخ أن يؤجر له المركب مدة أسبوع ، فقال الشيخ في نفسه:هذا جميل ، إنها فرصة سانحة للتخلص من هذا الشاب. وقبل أن يؤجر له المركب. ركب الشيخ مع حسن،ولما بعد عن الشاطئ،انتهز الشيخ فرصة وقوف حسن على جانب المركب ودفعه نحو الماء ، لكن حسن كان ثابتا لا يتحرك من مكانه ، وعندئذ تناول الشيخ بيده ورماه في البحر فمات الشيخ جزاء خبثه ومكره واستراح الناس من شره. وبعد أيام وصل حسن إلى القصر وأخبر أخواته بقصة بدور، وطلب منهن

مساعدته في إرجاعها ، فأشفقت سعاد عليه وقالت: عندي شعرات إذا أحرقتها،فان عمي سيجيء من بلده،وسأخبره بالقصة ، وأرجو أن يتمكن من مساعدتك ، فقال حسن أرجو أن تستدعيه في الحال أحرقي الشعرات في هذه اللحظة. أحرقت سعاد الشعرات، فحضر عمها حالا وسألها ما بها، فأخبرته بقصة حسن وإصراره على عودة زوجته إليه، فعطف عليه وفكر في طريقة يساعده بها لبلوغ غايته. قال عم سعاد لحسن: سنمشي معا إلى مكان بعيد، وهناك نجد جنيا، يمكنه أن يساعدك أكثر مني بعد أن يعرف قصتك. ففرح حسن قليلا وشكره.ولما كان عم سعاد من الجن، فقد صنع له أجنحة ليطير معه إلى هذا المكان ويعرفه بالجني.وعندما وصلا إلى المكان وجد حسن رجلا كبيرا أسودا مخيفا.فتحدثا إليه وشكا إليه حسن حاله. فقال الرجل الأسود : إني أحب أن أساعدك ، ولكني أخاف من والد بدور ملك الجان ، وكل ما يمكن عمله لك أنني استطيع أن أساعدك للوصول إلى جزائر كاش كاش حيث تقيم بدور ولن يبقى أمامك إلا أن تحتال لمقابلتها. وصل حسن إلى جزائر كاش كاش ووجد بها أشياء عجيبة ، ولكنها جميعها لم تشغله عن الغرض الذي جاء من أجله. وبينما كان حسن يتجول سمع الناس يتحدثون عن بدور وكيف أنها وضعت في السجن بعد عودتها تحت حراسة

شديدة ، فألمه ذلك أشد الألم وزاده تصميما على إنقاذها.وقد حدث مرة أثناء مروره أن وجد ولدين، أحدهما يلبس طاقية، والآخر يحمل عكازه. فقال صاحب الطاقية لزميله : هل لك أن تلعب معي كرة فإذا غلبتك أخت عكازتك وإذا غلبتني أعطيتك طاقيتي؟ فقال صاحب العكازة : لكن عكازتي أقيم من طاقيتك لأنها تحمل الإنسان وتمكنه من السفر إلى أي مكان في سرعة البرق. وقال صاحب الطاقية: لا طاقيتي أقيم من عكازتك لأنها تخفي الإنسان إذا وضعها في رأسه فلا يراه أحد. واشتد الخصام بينهما ، فاحتكما إلى حسن وكان قريبا منهما.فرح حسن بهذه الفرصة وقال لهما : أريد أن أرى العكازة والطاقية قبل أن أحكم بينكما.وما كاد يمسكهما بيده ، حتى لبس الطاقية وقال للعكازة إلى سجن بدور.وسرعان ما اختفى عن الأنظار تاركا الولدين يبكيان.وصل حسن إلى السجن الذي كانت فيه بدور، ودخله من غير أن يراه الحراس حتى انتهى إلى حجرتها. وهناك نزع الطاقية من رأسه فرأته بدور ففرحت به وأخبرته أنها ندمت على ما بدر منها، وأنها مستعدة للرجوع معه إذا استطاع أن يخلصها من السجن. لبس حسن طاقية الخفاء على رأسه وقال للعكازة:احملينا إلى بلادي، وفي لمح البصر وصل حسن و زوجته إلى هناك وأقامت لهما أم حسن وليمة كبيرة حضرها عدد كبير من

الناس. وأحرق حسن طاقية الإخفاء والعكازة حتى لا يحدث بهما شر،وعاش مع زوجته في خير ونعيم، وكان يزور سعاد وأخواتها كل عام،ولدت له بدور عددا من الأولاد والبنات وعاشوا جميعا عيشة هنئية راضية ، كلها أمن وسلام.

سر الكوخ العجيب

كان في قديم الزمان قرية صغيرة واقعة على شاطئ البحر. عاش في تلك القرية نجار ماهر يصنع الزوارق . فذات يوم خرج ذلك النجار يبحث عن لوح خشب لإكمال زورق له ، لكن لم يستطيع أن يعثر عليه في القرية ، فخرج إلى الغابة وأخذ يبحث عن اللوح بين الأشجار.وتبين النجار بعد ساعات من البحث المتواصل أنه ضل الطريق وسط تلك الغابة. ثم أدركه الليل ، فتملكه الخوف و الفزع كما أنهكه التعب والجوع.وبينما هو في هذه الحالة من اليأس، لاح له ضوء خافت بعيدا فأسرع يلتمس طريقه نحوه. وما أن اقترب منه حتى تملكه السرور، إذ تبين له أن الضوء ينبعث من نافذة كوخ صغير. ودار النجار حول الكوخ حتى عثر على بابه. فأخذ يطرقه بعنف. وبعد لحظات سمع وقع أقدام تقترب منه، ثم فتح الباب وظهرت أمامه سيدة عجوز،وقفت صامتة لم تقل كلمة. ولما روى لها قصته أشارت إليه بالدخول . فدخل وراءها وقد أخذه العجب وتملكته الدهشة من صمتها.تبع النجار العجوز إلى الداخل ، فقادته إلى إحدى الغرف ، فإذا به يرى هناك سيدتين في مثل سنها.وعرفته بهما ، وقالت إنهما أختاها . ثم أعدت المائدة ودعته ليشاركهن الطعام ، فأقبل عليه بنهم زائد. وبعد أن فرغوا من الأكل، دخلت

به السيدة غرفة أخرى ليقضي فيها ليلته.كان أثاث هذه الغرفة مؤلفا من سرير قديم ، ومنضدة صغيرة ، ومقعد واحد ، وصندوق خشبي قديم موضوع بجانب الجدار . جلس النجار على المقعد ، وقد تملكه القلق والخوف من الغموض الذي يسود الكوخ وساكناته ، وتمنى لو لم يدخله . ثم خطر له أن يغادر المكان على الفور ، غير أنه لشدة تعبه ، فضل أن يرجئ ذلك حتى يتمدد قليلا فوق الفراش . وما كاد الفراش يحتويه حتى استغرق في نوم عميق.وعند منتصف الليل استيقظ على صوت مفزع قريب منه، فلما فتح عينيه وأدارهما في أنحاء الغرفة تبين له أن ما سمعه هو صوت ذلك الصندوق الخشبي القديم. ورأى السيدة العجوز واقفة بجانب الصندوق ، وقد أمسكت بإحدى يديها شمعة ، بينما مدت الأخرى ، فأخرجت من الصندوق (طرطورا) صغيرا أحمر ، ووضعته بعناية فوق رأسها ، ثم وضعت الشمعة فوق المنضدة ، ورفعت ذراعها اليمنى في بطء وهي تقول (إلى مدينة الملك..) وسرعان ما اختفت من الغرفة تاركة النجار وقد جحظت عيناه وانفتح فمه لفرط ما أصابه من دهشة ورعب. وقبل أن يفيق من دهشته دخلت الغرفة السيدة الثانية وفعلت مثل ما فعلت أختها ولم تمض دقائق حتى دخلت الثالثة وفعلت مثلما فعلت أختاها من قبل. فلما أحس النجار أنه صار وحده في الغرفة ، بقي

دقائق حائرا لا يدري ماذا يفعل ، وخيل إليه أنه في حلم ، ولكنه لم يلبث أن نهض من فراشه ، وخرج من الغرفة في هدوء يبحث في أنحاء الكوخ عن العجائز الثلاث ، فلم يعثر لهن على أثر فيه ،فقال في نفسه : إن في الأمر سرا فهل يتسنى لي أن أعرفه؟ عاد النجار إلى الغرفة التي كان نائما فيها وقلبه يفيض بالفزع ثم حانت منه التفاتة إلى الصندوق فوجده مفتوحا وفيه طرطور أحمر رائع.وعلى غير وعي منه أخذه وتأمله قليلا ، ثم وضعه فوق رأسه ورفع يده اليمنى وقال(إلى مدينة الملك..)وأشد ما كانت دهشته عندما وجد نفسه على أثر ذلك في أحد مطاعم مدينة جميلة جدا. ووجد العجائز الثلاث وقد جلسن هناك حول إحدى الموائد يحتسين القهوة في سرور وابتهاج. وظن النجار أول الأمر أنهن سيعاتبنه على متابعته لهن ولكنهن بدلا من ذلك دعونه إلى مشاركتهن شرب الطعام مسرورات. وبعد ساعة أو أكثر، نهضت العجائز الثلاث ووضعت كل منهن (طرطورها) على رأسها. ثم رفعت ذراعها اليسرى في هذه المرة وقالت: (إلى كوخنا في الغابة)وسرعان ما اختفين عن الأنظار ،والنجار ينظر إلى مقاعدهن في ذهول ، لكنه أفاق من ذهوله على صوت عامل المطعم وهو يطالبه بثمن الطعام. ولما لم يكن معه مال ، فقد سيق إلى مركز الشرطة وهناك روى قصته ، لكن قدم للمحكمة ، ولم

يجد ما يدافع به عن نفسه وثبتت إدانته كونه غريبا يهدد سلامة البلدة وحكم عليه بالموت شنقا طبقا لقانون تلك البلاد ، وفي يوم تنفيذ الحكم ، نقل النجار البائس إلى ساحة الموت،ولف السجان حبل المشنقة حول رقبته ، ثم سأله ضابط السجن (هل لك رغبة في شيء ؟ وهل تريد أن تقول شيئا قبل أن تفارق الحياة؟). وهز النجار رأسه وكاد يقول (لا) لولا أن فكرة خطرت بباله في تلك اللحظة فقال: (نعم. لي مطلب صغير هو أن تسمحوا لي بأن أضع على رأسي (طرطورا أحتفظ به في جيبي)،ولم يجد الضابط مانعا من ذلك فسمح له ، وما كاد يضع (الطرطور) على رأسه حتى رفع ذراعه اليسرى وقال:(إلى قريتي..) فإذا هو يجد نفسه هناك في لمح البصر. وقد دهش الحاضرون وهم رأوه يطير وتطير معه المشنقة.أما هو فلم يكن أقل دهشة منهم ، وان كانت دهشته ممتزجة بالسرور وخصوصا حين وصل إلى قريته تبين له أن لوح المشنقة الخشبي الذي جاء به هو نفس اللوح الذي كان يبحث عنه لإتمام زورقه . أما الحبل فقد استخدمه في تثبيت المجاديف على الزورق.

أبو محمد الكسلان

يحكى أنّ الخليفة العباسي هارون الرشيد كان جالسا ذات يوم في دار الخلافة، إذ دخل عليه غلام ومعه تاج من الذهب الأحمر مُرصّع بالدُّرّ والجواهرِ، ثمّ أنّ الغلام قبّل الأرض بين يديّ الخليفة وقال له: يا أمير المؤمنين إنّ السيّدة زبيدة تقبّل الأرض بين يديك وتقول لك أنت تعرف أنّها قد عملتْ هذا التاجَ وأنّه محتاج إلى جوهرة كبيرة تكون في أعلاه، وفتشتْ في حِليِّها فلم تجد فيها جوهرة كبيرة تفي غرضَها، فقال الخليفة للحاجبِ والنوّاب: فتّشوا على جوهرة كبيرة ، فبحثوا فلم يجدوا شيئًا.فأَعلَموا الخليفة بذلك فضاق صدره وقال: كيف أكونُ خليفة وملك ملوك الأرض أعجز عن جوهرة تليق بالتاج؟ ويْلكم اسألوا التّجار فسألوهم، فقالوا لهم: لا يجدُ مولانا الخليفة الجوهرةَ إلاّ عندَ رجل من البصرة يسمّى أبا محمد الكسلان. فأخبروا الخليفة بذلك، فأمر وزيره جعفر أن يرسل بطاقة إلى الأمير محمد الزبيْديِّ المتوَلّي على البصرةِ أن يجهّز أبا محمد الكسلان ويحضره بين يديّ أميرِ المؤمنين، فكتب الوزير بطاقةً بمضمون ذلك وأرسلها معَ مسرور، ثمّ توجّه مسرور بالبطاقة إلى مدينةِ البصرةِ ودخلَ على الأميرِ محمد الزبيديِّ، ففرحَ بهِ وأكرمَه غاية الإكرام،ثمّ قرأَ عليه بطاقة أمير المؤمنين هارون الرشيد، فقال:

سمعا وطاعة، ثمّ أرسل مسرورا مع جماعة مِن أتباعه إلى أبي محمد الكسلان، فتوجّهوا إليه وطرقوا عليه الباب فخرج لهم أحد الغلمان، فقالَ له مسرور قل لسيّد ك إنّ أمير المؤمنين يطلبك،فدخل الغلام وأخبره بذلك، فخرج فوجد مسرورًا حاجب الخليفة ومعه أتباع الأمير محمد الزبيديِّ، فقبّل الأرضَ بين يديه وقال: سمعا وطاعة لأمير المؤمنين، ولكن اُدخلوا عندنا، فقالوا: لا نقدر على ذلك لأنّنا على عجل كما أمرنا أمير المؤمنين فإنّه ينتظر قدومك،فقال: اصبروا عليَّ يسيرا حتّى أجهزَ أمري. ثم دخلوا معهُ بعدَ استعطاف زائد، فرأوا في الدهليزِ ستورًا من الديباج الأزرق موشًّى بالذهب الأحمر، ثمّ أنّ أبو محمد الكسلان أمر بعض غلمانه أن يدخلوا مسرورا ومن معه الحمّام الذي في الدار ففعلوا، فرأوا حيطانه ورخامه من الغرائب وهو مزركش بالذهب والفضّة وماؤه ممزوج بماء الورد، واحتفلَ الغلمان بمسرور ومن معه، فخدموهم أتمّ الخدمة،ولّما خرجوا من الحمّام ألبسوهم خلعًا من الديباج منسوجة بالذهب، ثمّ دخل مسرور وأصحابه، فوجدوا أبا محمد الكسلان جالسا في قصره وقد علّقت على رأسه ستور من الديباج المنسوج بالذهب المرصّع بالدُّرِّ والجوهَر، والقصر مفروش بمساند مزركشة بالذهب الأحمر،وهو جالس على مرتبة، والمرتبة على سرير مرصّع بالجواهر. فلمّا دخل عليه مسرور،

رحّب به واستقبله وأجلسه بجانبه، ثمّ أمر بإحضار السماطِ .فلمّا رأى مسرور ذلك السماط قال: والله ما رأيت عند أمير المؤمنين مثل ذلك السّماط أبدا، وكان في ذلك السماط أنواع من الأطعمة، وكلّها موضوعة في أطباقٍ مذهّبةٍ،قال مسرور:فأكلنا وشربنا وفرحنا إلى آخر النهار، ثمّ أعطانا كلَّ واحد خمسة آلاف دينار. ولّما كان اليوم الثاني ألبسونا خلعًا خضراء مذهّبة وأكرمونا غايةَ الإكرام، ثمّ قال له مسرور: لا يمكننا أن نقعد زيادة على تلكَ المدَّةِ خوفًا من الخليفة، فقال له أبو محمد الكسلان:يا مولانا اصبر علينا إلى غد حتّى نتجهّز ونسير معكم فقعدوا ذلك اليوم وباتوا إلى الصّباح.ثمّ أن الغلمان شدّوا لأبي محمد الكسلان بغلة بسرج من الذّهب مُرصّع بأنواع الدُّرِّ والجواهر، فقال مسرور في نفسه:يا ترى إذا حضر أبو محمد بين يديّ الخليفةِ بتلك الصفة هل يسأله عن سبب تلك الأموال؟ ثمّ بعد ذلك ودّعوا أبا محمد الزبيدِيِّ، وطلعوا من البصرة.وساروا، ولم يزالوا سائرين حتّى وصلوا إلى مدينة بغداد، فلما دخلوا على الخليفة ووقفوا بين يديه،أمره بالجلوس فجلس أبو محمد، ثمّ تكلّم بأدب وقال:يا أميرالمؤمنين إنّي جئْت معي بهديّة على وجهِ الخدمة، فهل أحضرها عن إذنك،قال الرشيد:لا بأس بذلك، فأمر بصندوق وفتحه وأخرج منه تحفا، من جملتها أشجار من الذّهب، وأوراقها منَ الزمرّد

الأبيض، وثمارها ياقوت أحمر وأصفر ولؤلؤ أبيض، فتعجّب الخليفة من ذلك، ثمّ أحضر صندوقا ثانيا وأخرج منه خيمة من الديباج، مكلّلة باللؤلؤ والياقوت والزَّبرجد، وقوائمها من عودِ هنديٍّ رطب وأذيال تلك الخيمة مرصّعة بالجواهر، وفيها تصاوير كلّ الصّورِ من سائر الحيوانات كالطيور والوحوش، وتلكَ الصّوّرِ مكلّلة بأنواع كثيرة من الجواهر.فلمّا رأى الرشيد ذلك فرح فرحا شديدا،ثمّ قالَ أبو محمد الكسلانِ:يا أمير المؤمنين لا تظنّ أني حملت لكَ هذا فزعا مِن شيءٍ ولا طمعا في شيءٍ، وإنّما رأيت هذا لا يصلح إلا لأمير المؤمنين، وإن أذنت لي فرّجتُك على بعض ما أقدر عليه، فقال الرشيد:اِفعل ما شئت حتّى ننظر:فقال:سمعا وطاعة، ثمّ حرّك شفتيه وأومَأ إلى شرفات القصرِ فمالت إليه، ثمَّ أشار إليها فرجعت إلى موضعها، ثمّ أشار بعينيهِ فظهرت له مقفلة الأبوابِ، ثمّ تكلّم عليها وإذا بأصوات طيور تجاوبه، فتعجّب الرشيد من ذلك غاية العجب، وقال له: كيف ذلك وأنت وما إلا بأبي محمد الكسلان؟ وقد أخبروني أن أباك كان حلاقا، وما خلَّف لك شيئا فقال: يا أمير المؤمنين اسمع حديثي فإنّه عجيب وأمره غريب، لو كتب بالإبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتَبر فقال الرشيد: حدّث بما عندك وأَخيرني بِهِ يا أبا محمدٍ. فقالَ يا أمير المؤمنين، دامَ اللّهُ العزَّ والتمكين، إنّ إخبار النّاس بأنّي

أعرف بالكسلانِ وأنّ أبي لم يخلّف لي مالاً هي صدق لأنّ أبي لم يكن إلاّ كما ذكرتَ، فإنّه كانَ حلاّقا، وكنت أنا في صغري أكسل من يوجد على وجه الأرض، وقد بلغ مِن كسلي أنّي إذا كنت نائما في أيّام الحرّ وطلعت عليّ الشمس أكسل عن أن أقوم وانتقل من الشمس إلى الظلّ، وأقمت على ذلك خمسةَ عشرة عاما.ثمّ أنّ أبي تُوفِّي إلى رحمة اللّه تعالى،ولم يخلف لي شيئًا، وكانت أمي تخدم النّاس وتطعمني وتسقيني وأنا راقد على جنبي، فاتَّفّق أن أمّي دخلت عليّ في أحد الأيام ومعها خمسة دراهمَ من الفضّة وقالت لي:يا ولدي بلغني أنّ الشيخ أبا المظفر عزم على أن يسافر إلى الصّين، وكان ذلك الشيخ يحبّ الفقراءَ وهو مِن أهل الخيرِ.فقالت أمي:يا ولدي خذ هذه الخمسة دراهم وامض بنا إليهِ واسأله أن يشتري لك بها شيئًا من بلادِ الصين، لعلّه يحصل لك فيه ربح من فضل اللّهِ تعالى.فكسلت عن القيامِ معها، فأقسمت باللّه إن لم أقم معها لا تطعمني ولا تسقيني ولا تدخل عليّ، بل تتركني أموت جوعا وعطشا.فلمّا سمعت كلامها يا أمير المؤمنين، علمت أنّها تفعل ذلك لما تعلم من كسلي، فقلت لها:اقعديني فأقعدتني وأنا باكي العين، وقلت لها:إئتيني بمداسي، فأتتني به،فقلت: ضعيه في رجلي، فوَضعتهُ فيهما .فقلت لها:احمليني حتّى ترفعيني من الأرض، ففعلت ذلك.

فقلت: اسنديني حتّى أمشي، فصارت تسندني، وما زلت أمشي وأتعثّر في أذيالي إلى أن وصلنا إلى ساحل البحر، فسلّمنا على الشيخ، وقلتُ للشيخ: يا عمّ هل أنت أبو المظفَّر؟ قالَ: لبّيك قلت: خذ هذه الدراهم واشتر لي بها شيئًا من بلاد الصّين عسى الله أن يربحني فيه. فقال الشيخ أبو المظفر لأصحابِهِ: أتعرفون هذا الشّابّ؟ قالوا: نعم، هذا يعرف بأبي محمد الكسلان، وما رأيناه قط خارجا مِن داره إلاّ في هذا الوقت، فقال الشيخ أبو المظفَّر: يا ولدي هات الدراهم على بركة الله تعالى، ثمّ أخذَ منّي الدراهم، ثمّ رجِعت مع أمي إلى البيت وتوجّه الشيخ أبو المظفر إلى بلاد الصين، ثمّ أنّ الشيخ باع واشترى، وبعد ذلك عزم على الرجوعِ هو ومن معه بعد قضاء أغراضهم، وساروا في البحر ثلاثة أيام، فقال الشيخ لأصحابه قفوا بالمركب، فقال التّجار: ما حاجتك؟ فقال: اعلموا أنّ الرسالة التي معي لأبي محمد الكسلان قد نسيتها، فارجعوا بنا حتّى نشتري له بها شيئًا حتّى ينتفع به،فقالوا له: سألناك بالله تعالى أن لا تردّنا فإنّنا قطعنا مسافة طويلة ، وحصلت لنا في ذلك أهوال عظيمة، فقال: لا بدَّ لنا من الرجوع، فقالوا: خذ منّا أضعاف ربح الخمسةِ دراهم ولا تردّنا،فسمع منهم وجمعوا له مالا جزيلا.ثمّ ساروا حتّى أشرفوا على جزيرة فيها خلق كثير، فأسرعوا عليها وطلعَ التجّار يشترون منها ما يجدوه من

جواهر ولؤلؤ وغير ذلك، ثمّ رأى أبو المظفّرِ رجلا جالسا بين يديه قرود كثيرة، وبينهم قرد منتوف الشعر، وكانت تلك القرود كلّما غفل صاحبها تمسَّك ذلك القرد المنتوف وتضربه،فيقوم صاحبها ويضربها ويقيِّدها ويعذِّبها على ذلك، فتغتاظ القرود كلّها من ذلك القرد وتضربه.ثمّ أنّ الشيخ أبا المظفرِ لّما رأى ذلك القرد حزن عليه ورفق به،فقال لصاحبِه:أتبيعني هذا القرد؟ قالَ:نعم..قال:إنّ معي خمسة دراهم.قال له:بعتك بارك الله لك فيه.ثُمّ تسلّمه وأقبّضه الدراهم، وأخذ عبيد الشيخ القرد وربطوه في المركب، ثمّ حلّوا وسافروا إلى جزيرة أخرى، فأرسوا عليها.فنزل الغطّاسون الذين يغطسونَ لاستخراج اللؤلؤ والجواهر وغير ذلك،أعطاهم التجّار دراهم أجرة على الغطس فغطسوا، فرآهم القرد يفعلون ذلك، فحلّ نفسه من رباطه وقفز من المركب وغطس معهم فقال أبو المظفَّر:لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيمِ، قد ظنَّ أنّ القرد قد غرق، فبحثوا عنه، حتّى يئسوا من العثور على القرد،ثمّ طلع جماعة من الغطّاسين وإذا بالقرد طلع معهم وفي يده جواهر،فرماها بين يدي أبي المظفَّر، فتعجّب من ذلك وقال:إنّ هذا القرد فيه سرّ عظيم.ثمّ حلّوا وسافروا إلى أن وصلوا إلى جزيرةٍ تسمّى جزيرة الزنوج، وهم قوم من السود يأكلون لحم بني آدم، فلمّا رآهم الزنوج ركبوا عليهم في القوارب وأخذوا كلّ من في

المركب وكتّفوهم وأتوا بهِم إلى ملكهم فأمر بذبح جماعة من التجّار فذبحوهم وأكلوا لحومهم، ثمّ أنّ بقية التجّار باتوا محبوسين وهم في نكد عظيم، فلمّا كان وقت الليلِ قامَ القرد إلى أبي المظفَّر وحلّ قيده،فلمّا رأى التجّار أبا المظفر قد حلّ قيده قالوا:عسى أن يكون خلاصنا على يديك يا أبا المظفرِ، فقال لهم:اعلموا أنّه ما خلّصني إلاّ هذا القرد وقد خرجت له عن ألفِ دينار.فقال التجّار:ونحن كذلك كلّ واحد منّا خرج له عن ألف دينار إذا خَلّصنا، فقام القرد إليهم وصار يحلّهم واحدا بعد واحد،حتّى حلّ الجميعَ من قيودهم، وذهبوا إلى المركبِ وطلعوا إليه، فوجدوه سالمة ولم ينقص منه شيء، ثمّ حلّوا وسافروا فقالَ أبو المظفر:يا تجّار أوفوا بالذي قلتم عليه للقرد، فقالوا:سمعا وطاعة ودفعَ كلّ واحد منهم ألف دينارٍ.وأخرج أبو المظفَّر من ماله ألف دينار فاجتمعَ للقرد من المال شيء عظيم، ثمّ سافروا حتّى وصلوا إلى مدينةِ البصرةِ، فتلقّاهم أصحابهم حينَ طلعوا من المركب فقال أبو المظفَّر:أين أبو محمد الكسلان؟ فبلغ الخبر إلى أمي، فبينما أنا نائم إذ أقبلت عليّ أمّي وقالت:يا ولدي إنّ الشيخ أبا المظفَّر قد أتى ووصل إلى المدينة، فقم وتوجّه إليه واسأله عن الذي جاء به فلعلّ اللّه يكون قد فتح عليه بشيءٍ، فقلت لها:احمليني من الأرض واسنديني حتّى أخرج وأمشي إلى ساحل

البحرِ.ثمّ مشيت وأنا أتعثّر في أذيالي حتّى وصلت إلى الشيخِ أبا المظفرِ، فلمّا رآني قالَ:أهْلا بمن كانت دراهمه سببا في خلاصي وخلاص هؤلاءِ التجّارِ.ثمّ قال لي:خذ هذا القردَ فإنّي اشتريته لك وامض به إلى بيتك حتّى أجيء إليك، فأخذت القرد بين يديّ ومضيت وقلت في نفسي:والله ما هذا إلاّ متجر عظيم! ثمّ دخلت بيتي وقلت لأمي:لمّا أنام تأمرينني بالقيام لأتاجر، فانظري بعينك هذا المتجر، ثم جلست، فبينما أنا جالس وإذا بخدم أبي المظفَّرِ قد أقبلوا عليّ وقالوا لي:هل أنت أبو محمد الكسلان؟ فقلت لهم:نعم . وإذا بأبي المظفر أقبل خلفهم، فقمت إليه وقبّلت يديه، فقال لي:سر معي إلى داري،فقلت:سمعا وطاعة. وسرت معه إلى أن دخلت الدّار، فأمر خدمه أن يحضروا المالَ فحضروا به، فقال:يا ولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال من ربحِ الخـــمسة دراهم، ثمّ حمَّـــلوه في صناديق على رؤوسِهم وأعطاني مفاتيح تلك الصناديقِ، وقال لي:امض قدام الخدم إلى دارك فإنّ هذا المال كلّه لكَ. فمضيت إلى أمي ففرحّت بذلك وقالت: يا ولدي لقد فتح الله عليك بهذا المال الكثيرِ، فدع عنك هذا الكسل وانزل إلى السّوقِ وبع واشتَر. فترَكت الكسل وصار القرد يجلس معي على مرتبتي، فإذا أكلت يأكل معي وإذا شربت يشرب معي، وصار كلّ يومٍ من بكرة النهار يغيب إلى وقت الظهرِ،

ثمّ يأتي ومعه كيس فيه ألف دينار، فيضعه في جانبي ويجلس. ولم يزل على هذه الحالة مدّة من الزَّمان حتّى اجتمع عندي مال كثير، فاشتريت يا أمير المؤمنين الأملاك والربوعَ وغرست البساتين واشتريت المماليك والجواري.فاتَّفق في بعضِ الأيّام أنّني كنت جالسا والقرد جالسا معي على العتبة، وإذا بِهِ تلفّت يمينا وشمالا، فتعجّبت للأمر،فأَنطق الله القرد بلسان فصيح، وقالَ: يا أبا محمدٍ، فلمّا سمعت كلامه فزعت فزعا شديدا، فقال لي:لا تفزع، أنا أُخبرك بحالي إنّي مارد من الجنِّ ولكنّني جئتك بسببِ ضعف حالك،وأنت اليوم لا تدري قدر مالك، وقد وقعت لي عندك حاجة وهي خير لك ..وقلت:وما هي؟ قال:أريد أن أزوِّجك بِصبيَّة مثل البدر.فقلت وكيف ذلك؟ فقال:في الغّد اِلبس ثَوبك الفاخر واركب حصانك بالسَّرجِ المُذَهَّب وامض إلى سوق العّطّارين، واسأل عن دكان الشَّريف واجلس عنده، وقل له إنّي جئتك خاطبا راغبا في ابنتك، فإن قال لك أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب ، فادفع له ألف دينار،فإن قال زدني فزِده ورغِّبه في المال فقلت:سمعا وطاعة.في الغد أفعل ذلك إن شاءَ الله تعالى. قال أبو محمد:فلمّا أصبحَت لبست أفخر قماشي وركبت الحصان بالسَّرج المُذَهّب، ثمّ مضيت إلى سوق العطارين، وسألت عن دكان الشَّريف، فوجدته جالسا في

دكّانه،فنزلت وسلّمت عليه وجلست عنده وكان معي عشرة من الخدم والمماليك، فقال الشريف:لعلّ لك عندنا حاجة نفوز بقضائها؟ فقلت:نعم، لي عندك حاجة، قالَ:وما حاجتك؟فقلت:جئتك خاطبا راغبا في ابنتك،فقال: أنت ليس لك مال ولا حسب ولا نسب، فأخرجت له كيسا فيه ألف دينار ذهبا أحمر، وقلت له:هذا حسبي ونسبي. فلمّا رأي الشريف المال، أطرق برأسه إلى الأرضِ ساعة ثمّ رفعَ رأسه وقال:إن كان ولا بدَّ فإنّي أريد منك ثلاثةَ آلاف دينار أخرى فقلت:سمعا وطاعة، ثمَّ أرسلت بعض المماليك إلى منزلي فجاءَني بالمال الذي طلبه، فلمّا رأى ذلك وصل إليه قام من الدكّان وقال لغلمانه: اقفلوها، ثمّ دعا أصحابه من السّوق إلى داره وكتب كتابي على ابنته، وقال لي:أن أعود بعد عشرة أيام.ثمّ مضيت إلى منزلي وأنا فرحان، فأخبرت القردَ ما جرى لي.فقال:نعم ما فعلت، فلمّا قرب ميعاد الشريفِ قال القرد:إنّ لي عندك حاجة إن قضيتها لي فلك عندي ما شئتَ قلت وما حاجتك؟ قال لي:إنَّ في صدر الغرفة التي ستذهب إليها خزانة، وعلى بابها حلقة منَ النّحاس، والمفاتيح تحت الحلقة،فخذها وافتحِ البابَ تجد صندوقا من حديد على أربعِ رايات من الطّلسمِ، وفي وسطِ ذلك طست ملآن من المالِ، وفي جانبه إحدى عشرة حيّة، وفي وسط الطست ديك أبيض مربوط،

وهناك سكين بجانب الصندوق، فخذ السّكّين واذبح بها الدّيك واقطع الرّايات واقلب الصندوق، فهذهِ حاجتي عندك .فقلت: سمعا وطاعة.ثمّ مضيت إلى دار الشَّريف فدخلت الغرفة، ونظرت إلى الخزانة التي وصفها القرد، فلمّا كان منتصف الليلِ قمت وأخذت المفاتيح وفتحت الخزانة وأخذت السكين وذبحت الدّيك، وقطعْت الرايات. فلمّا ذبحت الديك وقطّعت الرايات وقلبت الصندوق استيقظت الصَّبيَّة فرأت الخزانة قد فتحت والدّيك قد ذبح.. فقالت: لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ باللهِ العلِيِّ العظيمِ، قد أخذَني المارد! فما أتمّت كلامَها إلاّ وقد أحاطَ المارِد بالدارِ وخُطِفت العروس فعند ذلك وقعت الضجَّة، وإذا بالشَّريف قد أقبل وهو يلطم على وجهه وقال: يا أبا محمّد ما هذا الفعل الذي فعلته معنا هل هذا جزاؤُنا منك ؟ وأنا قد عملت هذا الطلسم في هذه الخزانة خوفًا على ابنتي من هذا الملعون فإنَّه كَانَ يقصد أخذَ هذه الصبية منّي منذَ ست سنين، ولا يقدر على ذلك، ولكن ما بقي لك عندنا مقام، فامضِ إلى حالِ سبيلِك. فخرجت من دار الشريف وجئت إلى داري، وفتّشت على القرد فلم أجده ولم أر له أثرا، فعلمت أنّه هو المارد الذي أخذَ زوجتي وتحايل عليّ حتّى فعلت ذلك بالطلسمِ والدّيك اللذين كانا يمنعانه من أَخذها، فندمت وقطّعت أثوابي ولطمت على وجهي،ولم

تسعني الأرض فخرجت من ساعتي وقصدت البريّة، ولم أزل سائرا إلى أن أمسى عليّ المساء، ولم أعلم أينَ أذهب ، فبينما أنا مشغول الفكر إذ أقبلَت عليّ حيّتان، واحدة سمراء والأخرى بيضاء، وهما تتقاتلان، فأخذت حجرا من الأرض وضربت به الحيّة السمراء فقتلتها لأنها كانت باغية على البيضاء، فغابت ساعة وعادت ومعها عشر حيّات بيض، فجاؤوا إلى الحيّة التي ماتت وقطّعوها قطعا، حتّى لم يبقَ إلاّ رأسها، ثمّ مضوا إلى حال سبيلِهم واضطجعت في مكاني من التعب.فبينما أنا مضطجع متفكّر في أمري وإذا أنا بهاتف أَسمع صوته ولم أر شخصه.فلمّا سمعت ذلك لحقني يا أمير المؤمنين أمر شديد وفكر ما عليه من مزيد، وإذا بصوت من خلفي أسمعّه يحدثني. فقلتله : يا هذا أتعرفني من أنت؟ فانقلبَ ذلك الهاتف إلى صورةِ إنسان، وقال لي:لا تخف فإنّ جميلك قد وصل إلينا ونحن قوم من جنّ المؤمنين،فإذا كان لك حاجة فأخبرنا بها حتّى نفوز بقضائها،فقلت له:إنّ لي حاجة عظيمة لأني أصبت بمصيبة جسيمَة، ومن الذي حصلَ له مثل مـصيبتي؟ فقال:لعلّك أبو محمد الكسلان؟ فقلت:نعم...فقال:يا أبا محمدٍ أنا أخو الحَيَّةِ البيضاء التي قتلت أنت عدوَّها، ونحنَ أربع أخوة من أمٍّ وأبٍ، وكلّنا شاكرونَ فضلك، واعلم إنّ الذي كان على صورة القرد وفعل معك

المكيدة مارد من مردة الجنِّ، ولولا أنَّه تحيّل بهذه الحيلة ما كان يقدر على أخذها أبدا،لأن له مدّة طويلة وهو يريد أخذَها فيمنعه من ذلك هذا الطلسم، ولو بقي ذلك الطلسم ما كان يمكنه الوصول إليها، ولكن لا تجزع من هذا الأمر فنحن نوصلك إليها ونقتل المارد، فإنّ جميلك لا يضيع عندنا. ثمّ أنّه صاح صيحة عظيمة بصوت هائل، وإذا بِجَماعة قد أقبلوا عليه فسألهم عنِ القرد، فقال واحد منهم :أنا أعرف مستقرّه، قال:أينَ مستقّره؟ قال:في مدينةِ النّحاس التي لا تطلع عليها الشمس. فقال:يا أبا محمد خذ عبدا من عبيدنا وهو يحملك على ظهره ويعلّمك كيف تأخذ الصِّبَّيَة، واعلم أنَّ ذلك العبد مارد من المردة، فإذا حملك لا تذكر اسم اللّه وهو حاملك إنّه يهرب منك فتقع وتهلك،فقلت:سمعا وطاعة. وأخذت عبدا من عبيدهم، فانحنى وقال: اركب فركبت،ثمّ طار بي في الجوِّ حتّى غاب عن الدُّنيا، ورأيت النجوم كالجبال الرواسي، والمارد يحدّثني ويفرجني ويلهيني عن ذكر اللّه.فبينما أنا كذلك، وإذا بِشخصٍ عليه لباس أخضر وله ذوائب شعر ووجهه منير ، وفي يديه حربة يطير منها الشّرر، قد أقبل عليّ وقال:يا أبا محمد قُل لا إلهَ إلاّ اللّه محمّد رسولُ اللّهِ وإلا ضربتك بهذه الحربة .وكانت مهجَتي قد تقطَّعت من سكوتي عن ذِكْرِ اللّهِ تعالى. فقلت:لا إلهَ إلا اللّه محمدٌ رسولُ اللّه.ثمّ

أنَّ ذلك الشخص ضرب المارد بالحربة، فذاب وصار رمادا، فسقطت من فوق ظهره،فصرت أهوى إلى الأرضِ حتّى وقعت في بحر عجاج متلاطم بالأمواج، وإذا بسفينةِ صار من فيها يُكلِّموني بكلام لا أعرِفه، فأشرْت لهم أني لا أعرف كلامهم، فساروا بي إلى آخر النَهار، ثمّ رموا شبكة واصطادوا حوتا وشووه وأطعموني ولم يزالوا سائرين حتّى وصلوا بي إلى مدينتهم فدخلوا بي إلى ملكهم وأوقفوني بين يديه، فقبّلت الأرضِ فخلع علي خلعة، وكان ذلك الملك يعرف اللغة العربيّة، فقال:قد جعلتك من أعواني،فقلت: ما اسْم هذه المدينة؟ قالَ اسمها هناد وهي من بلادِ الصّين. ثمّ أنّ الملك سلمّني إلى وزير المدينة وأمره أن يفرّجني في المدينة، وكان أهل تلك المدينة في الزّمنِ الأول كفارًا، فمسخهم الله تعالى حجارة، فتفرجت فيها فلم أر أكثر من أشجارِها وأثمارها،فأقمت فيها مدّة شهر.ثمّ أتيت إلى نهر وجلست على شاطئه، فبينما أنا جالس وإذا بفارس قد أتى وقال:هل أنت أبو محمد الكسلان؟ فقلت له:نعم.. فقال:لا تخف فإنّ جميلك قد وصل إلينا..فقلت له:من أَنتَ؟ قال: أنا أخو الحيّة وأنت قريب من مكان الصّبيّة التي تريد الوصول إليها.ثمّ خلع ثوبه وألبسني إيّاه وقال لي:لا تخف فإنَّ العبد الذي هلك من تَحتك من بعض عبيدنا،ثمّ أنّ ذلك الفارس أردفني خلفه وسار بي إلى بريّة،

وقالَ: انزل من خلفي وسر بين هذين الجبلين حتّى ترى مدينةَ النّحاس،فقف بعيدًا عنها ولا تدخلها حتّى أعود إليك، وأقول لك كيف تصنع.فقلت:سمعا وطاعة، ونزلت من خلفه ومشيت حتّى وصلت إلى المدينة، فرأيْت سورَها فجعلت أدور حولَها لعلّي أجد لها بابا فما وجدت.فبينما أنا أدور حولها وإذا بأخ الحيّة قد أقبل عليّ، وأعْطاني سيفا مطلمسا حتّى لا يراني أحد، ثمّ أنَّه مضى إلى حال سبيله، فلم يغب عنّي إلا قليلا، وإذا بصياح قد علا ورأيت خلقا كثيرين، وأَعينهم في صدورهم، فلمّا رأوني قالوا:من أنت وما الذي رماك في هذا المكان؟ فأخبرتهم بالواقعَة، فقالوا:إنّ الصبيّة التي ذكرتها مع المارد في هذه المدينة، وما ندري ما فعل بها ونحن إخوة الحيّة.ثم قالوا:امض إلى تلك العين وانظر من أَين يدخل الماء وأدخل معه،فإنَّه يوصلك إلى المدينة.ففعلت ذلك ودخلت مع الماء في سرداب تحت الأرض ، ثمّ طلعت معه فرأيت نفسي في وسطِ المدينة، ووجدت الصبيّة جالسة في البستان على كرسيّ من ذهب.فلمّا رأتني الصّبيَّة عرفتَني وابتدأتني بالسَّلام،وقالت لي:يا سيِّدي من أوصلك إلى هذا المكان؟ فأخبرتها بما جرى، فقالت لي:اعلم أنّ الملعون من كثرة محبته لي اعلمني بالذي يضرّه والذي ينفعه، واعلمني أنَّ في هذه المدينة طلسمان إن شاء هلاك جميع من في المدينة أهلكهم به،

ومهما أمر العفاريت فإنّهم يمتثلون لأمره وذلك الطلسم في عمود فقلت لها: وأين العمود؟ فقالت: في المكان الفلانيِّ، فقلت: وأيّ شيءٍ يكون ذلك الطّلسم؟ قالت: هوَ صورة عقاب وعليه كتابة لا أعرفها، فخذه بين يديك وخذ جمرة نار،وارم فيه شيئًا من المسك فيطلع دخان يجذب العفاريت، فإذا فعلت ذلك فإنَّهم يحضرون بين يديك كلهم،ولا يغيب منهم واحد، ويمتثلون لأمرك ومهما أمرتهم فإنِّهم يفعلونه، فقم وافعل ذلك على بركة اللّه تعالى.فقلت لها: سمعا وطاعة.ثمّ قمت وذهبت إلى ذلك العمودِ وفعلت جميعَ ما أمرتني بهِ فجاءت العفاريت، وحضرت بين يديّ وقالت: لبّيك يا سيِّدي فمهما أمرتنا به فعلناه، فقلت لهم قيِّدوا المارد الذي جاء بهذه الصبيَّة من مكانها، فقالوا: سمعًا وطاعةً، ثمّ ذهبوا إلى ذلك الماردِ وقيّدوه وشدّوا وثاقه ورجعوا إليّ، وقالوا: قد فعلنا ما أمرْتَنا به، فأمرتهم بالرّجوع ثمّ رجعت إلى الصّبيّة وأخبرتها بما حصل، وقلت لها هل تذهبين معي؟ فقالت: نعم، ثمّ طلعنا من السرداب الذي دخلت منه وسرنا حتّى وصلنا إلى القومِ الذين كانوا دلّوني عليها ومشوا معي إلى ساحل البحر وأنزلوني في مركب، وطاب لنا الريح وسار بنا ذلك المركب حتى وصلنا إلى مدينة البصرة، فلما دخلت الصبية دار أبيها رآها أهلها ففرحوا بها فرحا شديدا.ثم إني بخّرت العقار بالمسك وإذا

بالعفاريت قد أقبلوا عليّ من كل مكان وقالوا: لبيك فما تريد أن تفعل؟ فأمرتهم أن ينقلوا كل ما في مدينة النحاس من المال والمعادن والجواهر الى داري التي في البصرة، ففعلوا ذلك. ثم أمرتهم أن يأتوا بالقرد، فأتوا به ذليلا حقيرا فقلت له: يا ملعون لأي شيء غدرت بي؟ ثم أمرتهم أن يدخلوه في قمقم من نحاس، فادخلوه في قمقم ضيق من نحاس وسدوا عليه بالرصاص والقوا به في البحر. وأقمت أنا وزوجتي في هناء وسرور وعندي الآن يا أمير المؤمنين من نفائس الدخائر وغرائب الجواهر وكثير الأموال ما يصعب عدّه ويشق حصره. وإذا طلبت شيئا من المال أو غيره أمرت الجن أن يأتوا لك به في الحال، وكل ذلك من فضل الله تعالى، فتعجب أمير المؤمنين من ذلك غاية العجب، ثم أعطاه من مواهب الخلافة عوضا عن هديته وأجزل عليه بما يليق به.

عمرو بن يربوع والسعلاة

عاش عمرو بن يربوع في زمان قديم قبل الإسلام، وهو فتي عربي من قبيلة تميم. لم يتعد الخامسة والعشرين من عمره ، وضاء أي جميل الطلعة ، قوي البنية، شهم كريم، شجاع.نوى عمرو ذات مرة السفر.

وكان السفر في ذاك الزمان الماضي عسيرا وشاق. فأعد حصانا قويا وحمل سيفا سنينا، ورمحا طويلا، ولبس درعا جيدة الصنع.فعل عمرو هذا حتى يحمي نفسه من اللصوص والأعداء في الطريق. ولم يكتف بالسيف والرمح فقط، فقد كان يخاف الجن. وكان العرب في الزمان القديم يعتقدون أن الخلاء كله مسكون بالجن، وأنهم إذا وجدوا إنسانا منفردا هاجموه وقتلوه أو جعلوه مجنونا. لهذا حفظ عمرو تعاويذ كثيرة من النوع الذي يخيف الجن. وكان من بين التعاويذ نشيد يجعل الجن تذوب من الخوف، ويقتلها في الحال. هذا النشيد ألفه رجل صالح من أهل فرغانة في الهند كان يقضي كل زمنه في عبادة الله. ركب عمرو حصانه القوي، وتقلد سيفه السنين،واحتمل رمحه الطويل بعدما لبس درعه الحديدية اللامعة وخرج في الليل مسافرا في الصحراء. وكان الظلام حالك والسماء ملى بالسحب، والرعد يدوي، والبرق يلمع من حين إلى آخر كأنه النار المشبوبة، والريح تندفع بصوت مخيف. فاتجه عمرو صوب البرق. ولم يخفه الظلام ولا الرعد ولا البرق. وجعل يتغنى مفتخرا بشجاعته وبسيفه ورمحه.وسمعته الجن وهو يفتخر. فتجمعت حواليه من كل مكان و جعلت تهمهم وتدمدم و تغمغم بأصوات كالأجراس . وغاظها افتخار عمرو فصممت على أن تبطش به ، وتتخذ لحمه خبزا

وتشرب دمه. وسمع عمرو الوسوسة والصلصلة . فعلم أن الصحراء حواليه كلها معمورة بالجن. وخاف على نفسه أن يبطشوا به. فجعل يترنم بذلك النشيد الذي ألفه الفرغاني الصالح. ولما سمعت الجن النشيد جعلت ترتعد وترتجف وأخذ بعضها يذوب ويتلاشى في الهواء، وقال الجن لبعضهم بعض إن هذا اللحن سيقتلنا إن لم يكف عمرو عن إنشاده في الحال. ولكن كان من بينهم سعلاة لم يبد عليها خوف من اللحن.فنظر الجن إليها مندهشين وقالوا لها: يا سعلاة ألست تخافين من هذا اللحن؟ فقالت: إني لا أخاف منه ، ولا أجد له تأثير في نفسي.فقالوا لها: هذا غريب حقا. فإننا نجد لهذا اللحن تأثيرا فظيعا في أجسامنا وأرواحنا. إنه يجعلنا نحترق ونموت. إن عمرو استمر في إنشاده فسنصير كلنا رمادا. إننا يوجعنا هذا اللحن ويؤلمنا. ألا تحسين له بوجع في رأسك أو رجلك أو عينيك أو أذنك أو أي عضو من جسدك؟ فقالت: كلا، إن جدي قبل أن يموت علمني أسرار كثيرة، ومن الأسرار التي علمني إياها أسحار مفيدة تنجيني من شر هذا النشيد الذي يترنم به الآدمي ومن شر أشياء كثيرة أخرى. وضحكت السعلاة وقهقهت وهي تقول هذا الكلام. فقالت الجن للسعلاة: علمينا هذه الأسرار! قالت السعلاة: لا أستطيع لأني لست بساحرة. قالت الجن:إذن فحاربي عمرو واقتليه. قالت

السعلاة: لا أقدر. لأني لا أعرف الحرب ولا أجيد الطعن والضرب.فقالت الجن: اسمعي يا سعلاة إن هذا النشيد سيحرقنا. ونحن لا نقبل أن نموت كلنا وتكوني أنت وحدك الناجية، فاهجمي الآن على عمرو وحاربيه. فان انتصرت عليه نجونا جميعا، وإن انتصر عليك متنا جميعنا. افعلي ما نقول وإلا سنقتلك. ونظرت السعلاة إليهم فعرفت الشر في عيونهم وتأكدت أنهم سيقتلونها إن هي لم تطع أمرهم . فصارت فيلة سوداء، هائلة المنظر ومدت خرطومها ومضت مسرعة نحو عمرو ولكن عمروا كان مستعد لها وكان شجاعا جدا. فصوب رمحه إليها وطعنها في نحرها طعنة ألقتها على الأرض، فخرت كأنها بناء ضخم هد من قعره. وأحست السعلاة أنها ستموت إن لم يضربها عمرو مرة أخرى. ومن عادة السعلاة أن تموت من ضربة واحدة،ولكن إذا ثني لها الضربة فإنها تصير أقوي شيء وتقتل كل من يعترض لها من انس وجان. وأردت السعلاة أن تخدع عمرا ليضربها ثانية فتقوى وتهيج عليه وتقتله.فقالت له : يا فتى ، إن ضربتك مؤذية قاتلة وإني سأموت منها ولكن بعد ألم وعذاب طويل فاضربني من فضلك ، الآن في الحال ضربة واحدة بسيفك تقضي علي وتريحني من هذه الآلام . ولكن عمرا كان ذكيا حصيفا . فعرف غرضها. وقال لها: لن تغشيني. كفاك الضربة الأولى

وبعد ذلك تموتين، ومن عادتي أن أطعن عدوي طعنة واحدة برمحي فأقتله أو ضربة واحدة لا يسمع لها حس ولا صوت. ثم جعل عمرو يتغنى بالنشيد الذي يخيف الجن، لأنه لو سكت لهاجموه وذبحوه ومزقوه بأنيابهم وأظفارهم. وجعلت السعلاة تبكي وتتوجع . ثم طلبت من عمرو أن يلقي عليها ثوبه وقالت له: ضع ثوبك فوقي. وامسح عليه بيمينك . فانك إن فعلت ذلك أعدت لي الحياة. وحينئذ أصير فتاة جميلة تشبه القمر. وجعلت السعلاة تبكي وتقول لعمرو أنها ما كانت تريد قتاله . لكن الجن أجبروها وهددوها بالموت.وتوسلت السعلاة إلى عمرو وطلبت منه ثانية أن يلقي عليها ثوبه ويمس كعبها أو كوعها بيده. وأكدت لعمرو أن ذلك سيجعل منها فتاة جميلة. وجعل عمرو يرق لها قليلا. واعترفت السعلاة لعمرو بأنها حين طلبت منه أن يضربها ثانية كانت تريد أن تغشه. وقالت له: لو كنت ضربتني لصرت غولا وقتلتك. ثم أخذت تقسم لعمرو أنها ستصير بنتا جميلة إن هو فعل ما تقول له. وأنها ستتزوجه وستحبه وتخلص له وجعلت تتودد إلى عمرو وتلين له الحديث، وتلاطفه وتستعطفه. وجعلت تكلمه بكلام مؤثر جدا لو صادف صخرة يابسة لصيرها لينة.وكانت لهجتها حلوة رقيقة. ونظر عمرو إليها فرق لحالها، ووضع ثوبه على خرطومها، ومسح فوقه

مسحا رقيقا. فصارت الفيلة في أقل من لمح الطرف فتاة جميلة لها شعر طويل وخلق نبيل. وقالت الفتاة لعمرو: استمر في نشيدك ولنمض بسرعة من هذه الأرض الملعونة وأردفها خلفه وانطلق بهما الحصان كالسهم. وجعل عمرو في الطريق يحدث السعلاة عن أهله وبلده وقبيلته تميم ، فطلبت منه السعلاة أن يتزوجها وأن يحملها معه إلى ديار بني تميم. وأجاب عمرو طلبها وتزوجها، فقالت له: إني سأكون لك زوجة صالحة. ولكن لا تدعني أبصر البرق، فإني إن أبصرته حن قلبي إلى الجن وتركتك وذهبت إليهم.وسمع عمرو كلامها ، فكان إذا لمع البرق يغطيها بأثواب ولا يدعها تراه.. ووجدها زوجا صالحا كما قالت، مقتصدة في المعيشة أمينة مخلصة . وكان هو أيضا يعاملها بلطف فلا ينهرها ولا يسئ إليها. وأنجبت له بنين وبنات. وذات يوم آب عمرو من سفر متعبا واستلقى على فراشه ونام. وكانت نومته عميقة جدا. وهبت عاصفة فلم توقظه. ودوى صوت الرعد فلم يوقظه. ثم لمع البرق كأنه النار.ورأته السعلاة يلمع فجعلت تنادي عمرا وعمرو في نوم عميق لم يصحو.. فحنت السعلاة إلى الجن فطارت نحو لمعان البرق ، حيث الجن في الصحراء فاستقبلوها فرحين بعودتها وشاكرين لها بتخليصهم من عمرو وتعاهدوا أن لا يعرضوها مرة

أخرى للإنس ، أما عمرو فصحا ولم يجد الزوجة الصالحة فحزن على ذلك حزنا شديدا وندم على تفريطه فيها.

سيف الملوك وبديعة الجمال

يحكى أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان ملك من ملوك العجم اسمه محمد بن سبائك وكان يحكم بلاد خراسان وكان في كل عام يغزو بلاد الكفارفي الهند والسند والصين والبلاد التي وراء النهر وغير ذلك من العجم وغيرها وكان ملكاً عادلاً شجاعاً كريماً جواداً وكان ذلك الملك يحب المنادمات والروايات والأشعار والأخبار والحكايات وأسمار وسير المتقدمين وكان كل من يحفظ حكاية غريبة ويحكيها له ينعم عليه، وقيل: إنه إذا أتاه رجل غريب بسمر غريب وتكلم بين يديه واستحسنه وأعجبه كلامه يخلع عليه خلعة سنية ويعطيه ألف دينار ويركبه فرساً مسرجاً ملجماً، ويكسوه من فوق إلى أسفل ويعطيه عطايا عظيمة فيأخذها الرجل وينصرف إلى حال سبيله، فاتفق أنه أتاه رجل كبير بسمر غريب فتحدث بين يديه فاستحسنه وأعجبه كلامه، فأمر له بجائزة سنية ومن جملتها ألف دينار خراسانية وفرس بعدة كاملة ثم بعد ذلك شاعت الأخبار عن هذا الملك الفاضل في جميع البلدان فسمع به رجل يقال له التاجر حسن وكان كريماً جواداً عالماً شاعراً فاضلاً وكان عند ذلك الملك وزيراً حسوداً محضره سيء لا يحب الناس جميعاً لا غنياً ولا فقيراً، وكان كلما ورد على ذلك الملك أحداً أعطاه شيئاً يحسده ويقول إن

هذا الأمر يفني المال ويخرب الديار، وإن الملك دأبه هذا الأمر ولم يكن ذلك الكلام إلا حسداً وبغضاً من ذلك الوزير، ثم إن الملك سمع بخبر التاجر فأرسل إليه وأحضره. فلما حضر بين يديه قال له: يا تاجر حسن إن الوزير خالفني وعاتبني من أجل المال الذي أعطيه للشعراء والندماء وأرباب الحكايات والأشعار وإني إريد منك أن تحكي لي حكاية مليحة وحديثاً غريباً بحيث لم أكن سمعت مثله قط فإن أعجبني حديثك أعطيتك بلاداً كبيرة بقلاعها

وأجعلها زيادة على إقطاعك وأجعل مملكتي كلها بين يديك وأجعلك كبير وزرائي تجلس على يميني وتحكم في رعيتي، وإن لم تأتني بما قلت لك أخذت جميع ما في يدك وطردتك من بلادي فقال التاجر حسن سمعاً وطاعة لمولانا الملك لكن يطلب منك المملوك أن تصبر عليه سنة ثم أحدثك بحديث ما سمعت مثله في عمرك ولا سمع غيرك بمثله ولا بأحسن منه قط فقال الملك: قد أعطيتك مهلة سنة كاملة ثم دعا بخلعة سنية فألبسه إياها قال له: الزم بيتك ولا تركب ولا تروح ولا تجيء مدة سنة كاملة حتى تحضر بما طلبته منك، فإن جئت بذلك فلك الإنعام الخاص وأبشر بما وعدتك به وإن لم تجئ بذلك فلا أنت منا ولا نحن منك، فقبّل التاجر حسن الأرض بين يدي الملك وخرج ثم اختار من مماليكه خمسة

أشخاص كلهم يكتبون ويقرأون وهم فضلاء عقلاء أدباء من خواص مماليكه، وأعطى كل واحد خمسة آلاف دينار وقال لهم: أنا ما ربيتكم إلا لمثل هذا اليوم فأعينوني على قضاء غرض الملك وأنقذوني من يده فقالوا له: وما الذي تريد أن نفعل فأرواحنا فداؤك، قال لهم: أريد أن يسافر كل واحد منكم إلى إقليم وأن تستقصوا على العلماء والأدباء والفضلاء وأصحاب الحكايات الغريبة والأخبار العجيبة وابحثوا لي عن قصة سيف الملوك وائتوني بها وإذا لقيتموها عند أحد فرغبوه في ثمنها، ومهما طلب من الذهب والفضة فأعطوه غياه ولو طلب منكم ألف دينار فأعطوه المتيسر وعدوه بالباقي وائتوني بها.ومن وقع منكم بهذه القصة وأتاني بها فإني أعطيه الخلع السنية والنعم الوفية ولا يكون عندي أعز منه، ثم إن التاجر حسناً قال للأول: إذهب أنت إلى بلاد السند والهند وأعمالها وأقاليمه،وقال للثاني: إذهب أنت إلى بلاد العجم وأقاليمها، وقال للثالث: إذهب أنت إلى بلاد الصين وأقاليمهما،وقال للرابع: وإذهب أنت إلى بلاد الغرب وأقطارها وأقاليمها وأعمالها وجميع أطرافها وقال للأخير وهو الخامس: إذهب أنت إلى بلاد الشام ومصر وأعمالها وأقاليمها.ثم إن التاجر اختار لهم يوماً سعيداً وقال لهم: سافروا في هذا اليوم واجتهدوا في تحصيل حاجتي ولا تتهاونوا

ولو كان فيها بذل الأرواح فودعوه وساروا وكل واحد منهم ذهب إلى الجهة التي أمره بها فمنهم أربعة أنفس غابوا أربعة أشهر، وفشلوا فلم يجدوا شيئاً فضاق صدر التاجر حسن لما رجع إليه الأربعة مماليك وأخبروه أنهم فتشوا المدائن والبلاد والأقاليم على مطلوب سيدهم فلم يجدوا شيئاً منه وأما المملوك الخامس فإنه سافر إلى أن دخل بلاد الشام ووصل إلى مدينة دمشق فوجدها مدينة طيبة أمينة ذات أشجار وأنهار وأثمار وأطيار تسبح الله الواحد القهار الذي خلق الليل والنهار فأقام فيها أياماً وهو يسأل عن حاجة سيده فلم يجبه أحد، ثم إنه أراد أن يرحل منها ويسافر إلى غيرها، وإذا هو بشاب يجري ويتعثر في أذياله. فقال له المملوك: ما بالك تجري وأنت مكروب وإلى أين تقصد؟ فقال له: هنا شيخ فاضل كل يوم يجلس على كرسي في مثل هذا الوقت ويحدث حكايات وأخباراً واسماراً ملاحاً لم يسمع أحد مثلها وأنا أجري حتى أجد لي موضعاً قريباً منه وأخاف أني لا احصل لي موضعاً من كثرة الخلق، فقال له المملوك: خذني معك، فقال له الفتى: أسرع في مشيتك فغلق بابه واسرع في السير معه حتى وصل إلى الموضع الذي فيه الشيخ بين الناس، فرأى لذلك الشيخ صبيح الوجه وهو جالس على كرسي يحـــدث الناس فجـــلس قريباً منه وأصغى ليسمع حديثه فلما جاء

وقت غروب الشمس فرغ الشيخ من الحديث وسمع الناس ما تحدث به وانفضوا من حوله فعند ذلك تقدم إليه المملوك وسلم عليه فرد عليه السلام وزاد في التحية والإكرام. فقال له المملوك: إنك يا سيدي الشيخ رجل مليح محتشم وحديثك مليح وأريد أن أسألك عن شيء فقال له: اسأل عما تريد؟ فقال له المملوك: هل عندك قصة سمر سيف الملوك وبديعة الجمال؟ فقال له الشيخ ومن سمعت هذا الكلام ومن الذي أخبرك بذلك؟ فقال المملوك: أنا ما سمعت ذلك من أحد ولكن أنا من بلاد بعيدة وجئت قاصداً لهذه القصة، فمهما طلبت من ثمنها أعطيتك إن كانت عندك وتنعم وتتصدق علي بها وتجعلها من مكارم أخلاقك صدقة عن نفسك ولو أن روحي في يدي وبذلتها لك فيها لطاب خاطري بذلك، فقال له الشيخ: طب نفساً وقر عيناً وهي تحضر لك ولكن هذا سمر لا يتحدث به أحد على قارعة الطريق ولا أعطي هذه القصة لكل واحد، فقال له المملوك: بالله يا سيدي لا تبخل علي بها واطلب مني مهما أردت، فقال له الشيخ: إن كنت تريد هذه القصة، فأعطني مائة دينار وأنا أعطيك إياها ولكن بخمس شروط، فلما عرف أنها عند الشيخ وأنه سمح له بها فرح فرحاً شديداً وقال له: أعطيك مائة دينار ثمنها وعشرة جعالة وآخذها بالشروط التي تذكرها.فقال له الشيخ: إذهب هات الذهب وخذ

حاجتك فقام المملوك وقبل يدي الشيخ وراح إلى منزله فرحاً مسروراً، وأخذ في يده مائة دينار وعشرة ووضعها في كيس كان معه، فلما أصبح الصباح قام ولبس ثيابه وأخذ الدنانير وأتى بها إلى الشيخ فرآه جالساً على باب داره فسلم عليه فرد عليه السلام فأعطاه المائة دينار وعشرة، فأخذها منه الشيخ وقام ودخل داره وأدخل المملوك وأجلسه في مكان وقدم له دواة وقلماً وقرطاساً وقدم له كتاباً وقال له: اكتب الذي أنت طالبه من هذا الكتاب من قصة سمر سيف الملوك فجلس المملوك يكتب هذه القصة إلى أن فرغ من كتابتها ثم قرأها على الشيخ وصححها وبعد ذلك قال له: اعلم يا ولدي أن أول شرط أنك لا تقول هذه القصة على قارعة الطريق ولا عند النساء والجواري ولا عند العبيد والسفهاء ولا عند الصبيان وإنما تقرؤها عند الأمراء والملوك والوزراء وأهل المعرفة من المفسرين وغيرهم فقبل المملوك الشروط وقبل يد الشيخ وودعه وخرج من عنده وسافر في يومه فرحاً مسروراً ولم يزل مجداً في السير من كثرة الفرح الذي حصل له بسبب تحصيله لقصة سمر سيف الملوك حتى وصل إلى بلاده ثم إن التاجر أخذ القصة وكتبها بخطه مفسرة وطلع إلى الملك وقال له: أيها الملك السيعد إني جئت بسمر وحكايات مليحة نادرة لم يسمع مثلها أحد قط.فلما سمع الملك كلام التاجر حسن أمر في وقته وساعته بأن يحضر كل

أمير عاقل وكل عالم فاضل وكل فطن وأديب وشاعر ولبيب، وجلس التاجر حسن وقرأ هذه السيرة عند الملك، فلما سمعها الملك وكل من كان حاضراً تعجبوا جميعاً واستحسنوها، وكذلك استحسنها الذين كانوا حاضرين ونثروا عليه الذهب والفضة والجواهر، ثم أمر الملك للتاجر حسن بخلعة سنية من أفخر ملبوسه وأعطاه مدينة كبيرة بقلاعها وضياعها وجعله من أكابر وزرائه وأجلسه على يمينه ثم أمر الكتاب أن يكتبوا هذه القصة ويجعلوها في خزانته الخاصة وصار المللك كلما ضاق صدره يحضر التاجر حسن فيقرأها...

وتقول القصة أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان في مصر ملك يسمى عاصم بن صفوان وكان ملكاً سخياً جواداً صاحب هيبة ووقار وكانت له بلاد كثيرة وقلاع وحصون وجيوش وعساكر وكان له وزير يسمى فارس ابن صالح. ثم إن هذا الملك صار شيخاً كبيراً قد أضعفه الكبر والسقم والهرم لأنه عاش مائة وثمانين سنة ولم يكن له ولد ذكر ولا أنثى وكان بسبب ذلك في هم وغم ليلاً نهاراً.فاتفق أنه كان جالساً يوماً من الأيام على سرير ملكه والأمراء والوزراء والمقدمون وارباب الدولة في خدمته على جري عادتهم وعلى قدر منازلهم وكل من دخل عليه من الأمراء ومعه ولد وولدان يحسده الملك ويقول في نفسه: كل واحد مسرور فرحان بأولاده وأنا ما لي ولد وفي غد أموت

وأترك ملكي وتختي وضياعي وخزائني وأموالي وتأخذها الغرباء وما يذكرني أحد قط ولا يبقى لي ذكر في الدنيا إن الملك عاصماً استغرق في بحر الفكر فلم يتكلم ولم يفتح فاه ولم يرفع رأسه وما زال يبكي ويصوت بصوت عال وينوح نوحاً زائداً ويتأوه والوزير صابر له ثم بعد ذلك قال الوزير: إن لم تقل لي ما سبب ذلك، وإلا قتلت نفسي بين يديك من ساعتي وأنت تنظر ولا أراك مهموماً، ثم إن الملك عاصماً رفع رأسه ومسح دموعه وقال: أيها الوزير الناصح خلني بهمي وغمي فالذي في قلبي من الأحزان يكفيني، فقال له الوزير: قل لي أيها الملك ما سبب هذا البكاء لعل الله يجعل لك الفرج على يدي، قال له الملك: يا وزير إن بكائي ما هو على مال ولا على خيل ولا على شي، ولكن أنا بقيت رجلاً كبيراً وصار عمري نحو مائة وثمانين سنة ولا رزقت ولداً ذكراً ولا أنثى فإذا مت يدفنوني ثم ينمحي رسمي وينقطع اسمي يأخذ الغرباء تختي وملكي ولا يذكرني أحد أبداً.فقال الوزير: يا ملك الزمان أنا أكبر منك بمائة سنة ولا رزقت بولد قط ولم أزل ليلاً ونهاراً في هم وغم وكيف نفعل أناوأنت، ولكن سمعت بخبر النبي سليمان بن داود عليـــهما السلام وأن له رباً عظيماً قادراً على كل

شيء فينبغي أن أتوجه إليه بهدية وأقصده في أن يسأل ربه لعله يرزق كل واحد منا بولد، ثم إن الوزير تجهز للسفر وأخذ هدية فاخرة وتوجه بها إلى النبي سليمان بن داود عليهما السلام.هذا ما كان من أمر الوزير.وأما ما كان من أمر النبي سليمان بن داود عليهما السلام فإن الله سبحانه وتعالى أوحى إليه وقال: يا سليمان إن ملك مصر أرسل إليك وزيره الكبير بالهدايا والتحف وهي كذا وكذا فأرسل إليه وزيرك آصف بن برخيا لاستقباله بالإكرام والزاد في موضع الإقامات، فإذا حضر بين يديك فقل له: إن الملك أرسلك تطلب كذا وكذا، وإن حاجتك كذا وكذا ثم اعرض عليه الإيمان فحينئذ أمر النبي سليمان وزيره آصف أن يأخذ معه جماعة من حاشيته للقائهم بالإكرام والزاد الفاخر في موضع الإقامات، فخرج آصف بعد أن جهز جميع اللوازم إلى لقياهم وسار حتى وصل إلى فارس وزير ملك مصر فاستقبله وسلم عليه وأكرمه هو ومن معه إكراماً زائداً وصار يقدم إليهم الزاد والعلوفات في موضع الإقامات وقال لهم: أهلاً وسهلاً ومرحباً بالضيوف القادمين فأبشروا بقضاء حاجتكم وطيبوا نفساً وقروا عيناً وانشرحوا صدورا، فقال الوزير في نفسه: من أخبرهم بذلك؟

ثم إنه قال لآصف: إن النبي سليمان بن داود عليهما السلام هوالذي

أخبرنا بهذا فقال الوزير فارس: ومن أخبر النبي سليمان؟ قال: أخبره رب السموات والأرض وإله الخلق أجمعين.فقال له الوزير فارس: ما هذا إلا إله عظيم فقال له آصف بن برخيا: وهل أنتم لا تعبدونه؟ فقا لفارس وزير ملك مصر: نحن نعبد الشمس ونسجد لها، فقال له آصف: يا وزير فارس إن الشمس كوكب من جملة الكواكب المخلوقة للّه سبحانه وتعالى وحاشى أن تكون رباً لأن الشمس تظهر أحياناً وتغيب أحياناً وربنا حاضر لا يغيب وهو على كل شيء قدير، ثم إنهم سافروا قليلاً حتى وصلوا إلى قرب تخت الملك النبي سليمان بن داود عليهما السلام فأمر النبي سليمان بن داود عليهما السلام جنوده من الإنس والجن وغيرهما أن يصطفوا في طريقهم صفوفاً فوقفت وحوش البحر والفيلة والنمور والفهود جميعاً واصطفوا في الطريق صفين وكل جنس انحازت أنواعه وحدها وكذلك الجان كل منهم ظهر للعيون من غير خفاء على صورة هائلة مختلفة الأحوال فوقفوا جميعاً صفين والطيور نشرت أجنحتها لتظلهم وصارت الطيور تناغي بعضها بسائر اللغات والألحان فلما وصل أهل مصر إليهم هابوا ولم يجسروا على المشي فقال لهم آصف: ادخلوا بينهم وامشوا ولا تخافوا منهم فإنهم رعايا النبي سليمان بن داود عليه السلام وما يضركم منهم أحد ثم إن آصف دخل بينهم فدخل وراءه الخلق

أجمعون ومن جملتهم جماعة وزير ملك مصر وهم خائفون ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى المدينة فأنزلوهم في دار الضيافة وأكرموهم غاية الإكرام وأحضروا لهم الضيافات الفاخرة مدة ثلاثة أيام، ثم أحضروهم بين يدي سليمان بن داود نبي الله عليهما السلام.فلما دخلوا عليه أرادوا أن يقبلوا الأرض بين يديه فمنعهم من ذلك النبي سليمان بن داود عليهما السلام، وقال لا ينبغي أن يسجد إنسان على الأرض إلا لله عز وجل خالق السماوات والأرض وغيرهما ومن أراد منكم أن يقف فليقف، ولكن لا يقف أحد منكم في خدمتي فامتثلوا وجلس الوزير وبعض خدامه ووقف في خدمته بعض الأصاغر فلما استقر بهم الجلوس مدوا لهم الأسمطة فأكل العالم أجمعون من الطعام حتى اكتفوا، ثم إن النبي سليمان عليه السلام أمر وزير مصر أن حاجته ستقضى وقال له:تكلم ولا تخف شيئاً مما جئت بسببه لأنك ما جئت إلا لقضاء حاجة وأنا أخبرك بها وهي كذا وكذا، وإن ملك مصر الذي أرسلك اسمه عاصم وقد صار شيخاً كبيراً هرماً ضعيفاً، ولم يرزقه الله تعالى بولد ذكر ولا أنثى فصار في الغم والهم والفكر ليلاً ونهاراً، حتى اتفق له أنه جلس على كرسي مملكته يوماً من الأيام ودخل عليه الوزراء وأكابر دولته، فرأى بعضهم له ولدان وبعضهم له ثلاثة أولاد، وهم يدخلون ومعهم أولادهم ويقفون في الخدمة فتذكر في

نفسه، وقال من فرط حزنه: يا ترى من يأخذ مملكتي بعد موتي وهل يأخذها إلا رجل غريب؟ وأصير أنا كأني لم أكن فغرق في بحر الفكر بسبب هذا، ولم يزل متفكراً حزيناً حتى فاضت عيناه بالدموع فغطى وجهه بالمنديل وبكى بكاء شديداً ثم قام من فوق سريره وجلس على الأرض يبكي وينتحب ولو يعلم ما في قلبه إلا الله تعالى وهو جالس على الأرض.

لما أخبر نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام الوزير فارساً بما حصل للملك من الحزن والبكاء، وما حصل بينه وبين وزيره فارس من أوله إلى آخره، قال بعد ذلك للوزير فارس: هل هذا الذي قلته لك يا وزير صحيح؟ فقال الوزير فارس: يا نبي الله إن الذي قلته حق وصدق ولكن يا نبي الله ما كنت أتحدث أنا والملك في هذه القضية ولم يكن عندنا أحد قط ولم يشعر بخبرنا أحد من الناس فمن أخبرك بهذه الأمور كلها؟ قال له: أخبرني ربي الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فحينئذ قال الوزير فارس: يا نبي الله ما هذا إلا رب كريم عظيم على كل شيء قدير ثم أسلم الوزير فارس هو ومن كان معه، فقال نبي الله سليمان للوزير: إن معك كذا

وكذا من التحف والهدايا، قال الوزير: نعم فقال له النبي سليمان: قد قبلت منك الجميع ولكني وهبتها لك فاسترح أنت ومن معك في

المكان الذي نزلتم فيه حتى يزول عنكم تعب السفر، وفي غد إن شاء الله تقضي حاجتك على أتم ما يكون بمشيئة الله تعالى رب السماء والأرض وخالق الخلق أجمعين، ثم إن الوزير فارساً ذهب إلى موضعه وتوجه إلى النبي سليمان عليهما السلام في اليوم التالي، فقال له نبي الله سليمان عليهما السلام: إذا وصلت إلى الملك عاصم بن صفوان واجتمعت أنت وإياه فاطلعنا فوق الشجرة الفلانية واقعدا ساكتين فإذا كان بين الصلاتين وقد برد حر القائلة فانزلا إلى أسفل الشجرة وانظرا هناك تجدا ثعبانين يخرجان، رأس أحدهما كراس القرود ورأس الآخر كرأس العفريت فإذا رأيتماهما فارمياهما بالنشاب واقتلاهما، ثم ارميا من جهة رؤوسهما قدر شبر واحد من جهة أذيالهما كذلك فتبقى لحومهما، فاطبخاهما وأتقنا طبخهما وأطعماهما زوجتيكما وناما معهما تلك الليلة فإنهما يحملان بإذن الله تعالى بأولاد ذكور. ثم إن النبي سليمان عليهما السلام أحضر خاتماً وسيفاً وبقجة فيها قباآن مكللان بالجواهر وقال: ياوزير فارس: إذا كبر ولداكما وبلغا مبلغ الرجال فأعطوا كل واحد منهما قباء من هذين القباءين، ثم قال للوزير فارس: باسم الله تعالى قضيت حاجتك وما بقي لك إلا أن تسافر على بركة الله تعالى، فإن فتقدم الوزير فارس إلى نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام وودعه وخرج من عنده

بعد أن قبل يديه وسافر بقية يومه وهو فرحان بقضاء حاجته وجد في السير ليلاً ونهاراً، ولم يزل مسافراً حتى وصل إلى قرب مصر فارسل بعض خدامه ليعلم الملك عاصماً بذلك.

فلما سمع الملك عاصم بقدومه وقضاء حاجته فرح فرحاً شديداً، هو وخواصه وأرباب مملكته وجميع جنوده وخصوصا بسلامة الوزير فارس فلما تلاقى الملك والوزير ترجل الوزير وقبل الأرض بين يديه،وبشر الملك بقضاء حاجته أتم الوجوه وعرض عليه الإيمان بالإسلام، فأسلم الملك عاصم وقال للوزيرفارس إذهب بيتك واسترح أيضاً جمعة من الزمان ، وبعد ذلك تعال عندي حتى أخبرك بشيء نتدبر فيه، فقبل الأرض وانصرف هو وحاشيته وغلمانه وخدمه إلى داره واستراح ثمانية أيام. ثم بعد ذلك توجه إلى الملك وحدثه بجميع ما كان بينه وبين النبي سليمان بن داود عليه السلام ثم إنه قال للملك: قم وحدك وتعال معي فقام هو والوزير وأخذا قوسين ونشابين وطلعا فوق الشجرة وقعدا ساكتين إلى أن مضى وقت القائلة ولم يزالا إلى قرب العصر ثم نزلا ونظرا فرأيا ثعبانين خرجا من أسفل تلك الشجرة فنظرهما الملك وأحبهما لأنهما أعجباه حين رأهما بالأطواق الذهب وقال: يا وزير إن هذين الثعبانين مطوقان بالذهب، والله إن هذا شيء عجيب دعنا نمسكهما ونجعلهما، قفص ونتفرج عليهما

فقال الوزير: هذان خلقهما الله لمنفعتهما فارم أنت واحد بنشابة وارم أنا واحد بنشابة، فرمى الاثنان عليهما النشاب فقتلاهما وقطعا من جهة رؤوسهما شبراً ومن جهة أذنابهما شبراً ورمياه ثم ذهبا بالباقي إلى بيت الملك وطلبا الطباخ وأعطياه ذلك اللحم، وقالا له: اطبخ هذا اللحم طبخاً مليحاً بالتقلية والأباريز واغرفه في زبدتين وهاتهما وتعال هنا في الوقت الفلاني والساعة الفلانية ولا تبطئ. فأخذ الطباخ اللحم وذهب به وطبخه وأتقن طبخه بتقلية عظيمة،ثم غرفه في زبدتين وأحضرهما بين يدي الملك والوزير فأخذ الملك زبدية والوزير زبدية وأطعماهما لزوجتيهما وباتا تلك الليلة معهما فبإرادة الله سبحانه وتعالى وقدرته ومشيئته حملتا تلك الليلة،فمكث الملك بعد ذلك ثلاثة أشهر وهو متشوش الخاطر يقول في نفسه:يا ترى هذا الأمر صحيح ثم إن زوجته كانت جالسة يوماً من الأيام فتحرك الولد في بطنها فعلمت أنها حامل فتوجعت وتغير لونها وطلبت واحداً من الخدام الذين عندها وهو أكبرهم وقالت له:إذهب إلى الملك في أي موضع يكون وقل له:يا ملك الزمان أبشرك أن سيدتنا ظهر حملها والولد قد تحرك في بطنها فخرج الخادم سريعاً وهو فرحان فرأى الملك وحده ويده على خده وهو متــفكر في ذلك فأقبل

عليه الخادم وقبل الأرض بين يديه وأخبره بحمل زوجته.

فلما سمع الملك كلام الخادم نهض قائماً على قدميه ومن شدة فرحه قبل يد الخادم وراسه وخلع ما كان عليه وأعطاه إياه، وقال لمن كان حاضراً في مجلسه: من كان يحبني فلينعم عليه، فأعطوه من الأموال والجواهر واليواقيت والخيل والبغال والبساتين الكثير.ثم إن الوزير دخل على الملك وقال:يا ملك الزمان أنا في هذه الساعة كنت قاعداً في البيت وحدي وأنا مشغول الخاطر متفكراً في شأن الحمل وأقول في نفسي:يا ترى هل هو حق أن خاتون تحبل أم لا؟ وإذا بالخادم دخل علي وبشرني بأن زوجتي خاتون حامل وأن الولد قد تحرك في بطنها وتغير لونها فمن فرحتي خلعت جميع ما كان علي من القماش وأعطيت الخادم إياه وأعطيته ألف دينار وجعلته كبير الخدام ثم إن الملك عاصماً قال:يا وزير إن الله تبارك وتعالى أنعم علينا بفضله وإحسانه وجوده وامتنانه بالدين القويم وأكرمنا بكرمه وفضله.وقد أخرجنا من الظلمات إلى النور وأريد أن أخرج على الناس وأفرحهم، فقال الوزير:افعل ما تريد، فقال:يا وزير انزل في هذا الوقت واخرج كل من كان في الحبس من أصحاب الجرائم ومن عليهم ديون وكل من وقع منه ذنب، بعد ذلك تجازيه بما يستحقه ونرفع عن الناس الخراج ثلاث سنوات، وانصب في دائرة هذه المدينة مطبخاً حول الحيطان، وأعطى الأمر للطباخين بأن يعلقوا عليه جميع أنواع القدور

وأن يطبخوا سائر أنواع الطعام ويديموا الطبخ الليل والنهار وكل من كان في هذه المدينة، وما حولها من البلاد البعيدة والقريبة يأكلون ويشربون ويحملون إلى بيوتهم وأمرهم أن يفرحوا ويزينوا المدينة سبعة أيام، ولا يقفلوا حوانيتهم ليلاً ونهاراً .فخرج الوزير من وقته وساعته وفعل ما أمره به الملك عاصم وزينوا المدينة والقلاع والأبراج أحسن الزينة ولبسوا أحسن ملبوس وصار الناس في أكل وشرب ولعب وانشراح إلى أن حصل الطلق لزوجة الملك بعد انقضاء أيامها فوضعت ولداً ذكراً كالقمر ليلة تمامه فسماه سيف الملوك. وكذلك زوجة الوزير وضعت ولداً كالمصباح فسماه ساعداً فلما بلغا رشدهما صار الملك عاصم كلما ينظرهما يفرح بهما الفرح الشديد فلما صار عمرهما عشرين سنة طلب الملك وزيره

فارساً في خلوة، وقال له: يا وزير قد خطر ببالي أمر أريد أن أفعله ولكن أستشيرك فيه فقال له الوزير :مهما خطر ببالك افعله، فإن رأيك مبارك، فقال الملك عاصم: يا وزير أنا صرت رجلاً كبيراً شيخاً هرماً لأني طعنت في السن وأريد أن أقعد في زاوية لأعبد الله تعالى وأعطي ملكي وسلطتي لولدي سيف الملوك فإنه صار شاباً مليحاً كامل الفروسية والعـــقل والأدب والحشمة والرياسة فما تقول أيها الوزير في هذا الرأي؟ فقال الوزير: نعم الرأي الذي رأيته، وهو راي

مبارك سعيد، فإذا فعلت أنت هذا فأنا الآخر أفعل مثلك ويكون ولدي ساعداً وزيراً له لأنه شاب مليح ذو معرفة ورأي ويصير الاثنان مع بعضهما ونحن ندبر شأنهما ولا نتهاون في أمرهما بل ندلهما على الطريق المستقيم، ثم قال الملك عاصم لوزيره:اكتب الكتب وأرسلها مع السعاة إلى جميع الأقاليم والبلاد والحصون والقلاع التي تحت أيدينا، وأمر أكابرها أن يكونوا في الشهر القادم حاضرين في ميدان الفيل، فخرج الوزير فارساً من وقته وساعته وكتب إلى جميع العمال وأصحاب القلاع، ومن كان تحت حكم الملك عاصم أن يحضروا جميعهم في الشهر المحدد وأمر أن يحضروا كل من في المدينة من قاص ودان.ثم إن الملك عاصماً بعد مضي تلك المدة، أمر الفراشين أن يضربوا القباب في وسط الميدان وأن يزينوها بأفخر الزينة وأن ينصبوا التخت الكبير الذي لا يقعد عليه الملك إلا في الأعياد ففعلوا في الحال جميع ما أمرهم به ونصبوا التخت وخرج النواب والحجاب والأمراء والوزراء وأصحاب الأقاليم والضياع إلى ذلك الميدان ودخلوا في خدمة الملك على جري عادتهم واستقروا كلهم في مراتبهم، فمنهم من قعد ومنهم من وقف إلى أن اجتمعت الناس جميعهم وأمر الملك أن يمدوا السماط، فمدوه وأكلوا وشربوا

ودعوا للملك ثم امر الملك الحجاب أن ينادوا في الناس بعدم الذهاب

فنادوا وقالوا في المناداة:لا يذهب منكم أحد حتى يسمع كلام الملك،ثم رفعوا الستور فقال الملك:من أحبني فليمكث حتى يسمع كلامي، فقعد الناس جميعهم مطمئني النفوس بعد أن كانوا خائفين، ثم قام الملك على قدميه وحلفهم أن لا يقوم أحد من مقامه وقال لهم:أيها الأمراء والوزراء وأرباب الدولة كبيركم وصغيركم ومن حضر من جميع الناس هل تعلمون أن هذه المملكة لي وراثة من آبائي وأجدادي؟ قالوا له:نعم أيها الملك كلنا نعلم ذلك فقال لهم:أنا وأنتم كنا كلنا نعبد الشمس والقمر ورزقنا الله تعالى الإيمان

وأنقذنا من الظلمات إلى النور، وهدانا الله سبحانه وتعالى إلى دين الإسلام واعلموا أني الآن صرت رجلاً كبيراً شيخاً هرماً عاجزاً وأريد أن أجلس في زاوية أعبد الله فيها وأستغفره من الذنوب الماضية وهذا ولدي سيف الملوك حاكم، وتعرفون أنه شاب مليح فصيح خبير بالأمور عاقل فاضل عادل، فأريد في هذه الساعة أن أعطيه مملكتي وأجعله ملكاً عليكم عوضاً عني وأجلسه سلطاناً في مكاني وأتخلى أنا لعبادة الله تعالى في زاوية وابني سيف الملوك يتولى الحكم ويحكم بينكم، فأي شيء قلتم كلكم بأجمعكم؟ فقاموا كلهم وقبلوا الأرض بين يديه، وأجـــابوا بالـــسمع والطاعة وقالوا:يا ملكنا وحامينا لو

أقمت علينا عبداً من عبيدك لأطعناه وامتثلنا أمرك فكيف بولدك سيف الملوك فقد قبلناه ورضيانه على العين والراس فقام الملك عاصم بن صفوان ونزل من فوق سريره، وأجلس ولده على التخت الكبير ورفع التاج فوق رأس ولده وشد وسطه بمنطقة الملك، وجلس الملك عاصم على كرسي مملكته بجانب ولده فقام الأمراء والوزراء وأكابر الدولة وجميع الناس وقبلوا الأرض بين يديه، وصاروا وقوفاً يقولون لبعضهم: هو حقيق بالملك وهو أولى به من الغير ونادوا بالأمان ودعوا له بالنصر والإقبال ونثر سيف الملوك الذهب والفضة على رؤوس الناس أجمعين وخلع الخلع ووهب وأعطى، ثم بعد لحظة قام الوزير فارساً وقبل الأرض وقال: يا أمراء..يا أرباب الدولة، هل تعرفون أني وزير ووزارتي قديمة قبل أن يتولى الملك عاصم بن صفوان، وهو الآن قد خلع نفسه من الملك وولى ولده عوضاً عنه؟ قالوا: نعم نعرف وزارتك أباً عن جد، فقال: والآن أخلع نفسي وأولي ولدي ساعداً هذا، فغنه عاقل فطن خبير فأي شيء تقولون بأجمعكم؟ فقالوا: لا يصلح وزيراً للملك سيف الملوك إلا ولدك ساعداً فإنهما يصلحان لبعضهما، فعند ذلك قام الوزراء قدامه أيضاً وقالت الحجاب والأمراء: إنه يستحق الوزارة، فعند ذلك قام الملك عاصم والوزير فارس وفتـــحا الـــخزائن وخلعا الخلع السنية على الملوك

والأمراء وأكابر الدولة والناس أجمعين وأعطيا النفقة والأنعام وكتبا لهم المناشير الجديدة والمراسيم بعلامة سيف الملوك وعلامة الوزير ساعد بن الوزير فارس وأقام الناس في المدينة جمعة وبعدها كل منهم سافر إلى بلاده ومكانه، ثم إن الملك عاصماً أخذ ولده سيف الملوك وساعداً ولد الوزير ثم دخلوا وطلعوا القصر وأحضروا الخازندار، وأمروه بإحضار الخواتم والسيف والبقجة وقال الملك عاصم: يا أولادي تعالوا كل واحد منكم يختار من هذه الهدية شيئاً ويأخذه، فأول من مد يده سيف الملوك فأخذ البقجة والخاتم ومد ساعد يده فأخذ السيف والمهر وقبلا يد الملك وذهبا إلى منازلهما فلما أخذ سيف الملوك البقجة لم يفتحه ولم ينظر ما فيها بل رماها فوق التخت الذي ينام عليه بالليل هو وساعد وزيره، وكان من عادتهما أن يناما مع بعضهما ثم إنهما فرشوا لهما فراش النوم ورقدا الاثنان مع بعضهما على فراشهما والشموع تضيء عليهما واستمرا إلى نصف الليل ثم انتبه سيف الملوك من نومه فرأى البقجة عند رأسه، فقال في نفسه: يا ترى أي شيء في هذه البقجة؟ التي أهداها لنا الملك من التحف فأخذها وأخذ الشمعة ونزل من فوق التخت وترك ساعداً نائماً ودخل الخزانة وفتح البقجة فرأى فيها قباء من شغل الجان ففتح القباء وفرده فوجد على البطانة التي من داخل في جهة ظهر

القباء صورة بنت منقوشة بالذهب ولكن جمالها شيء عجيب.

فلما رأى هذه الصورة طار عقله من رأسه وصار مجنوناً بعشق تلك الصورة ووقع على الأرض مغشياً عليه وصار يبكي وينتحب ويلطم على وجهه، فلما رآه ساعداً على هذه الحالة قال: أنا وزيرك وأخوك وتربيت أنا وإياك وإن لم تبين لي أمورك وتطلعني على سرك فعلى من تخرج سرك وتطلع عليه؟ ولم يزل ساعداً يتضرع ويقبل الأرض ساعة زمانية وسيف الملوك لا يلتفت إليه ولا يكلمه كلمة واحدة بل يبكي، فلما رأى ساعداً حاله وأعياه أمره خرج من عنده وأخذ سيفاً ودخل الخزانة التي فيها سيف الملوك وحط ذبابه على صدر نفسه وقال لسيف الملوك: انتبه يا أخي، إن لم تقل لي أي شيء جرى لك قتلت روحي ولا أراك في هذه الحالة فعند ذلك رفع سيف الملوك رأسه إلى وزيره ساعداً وقال له: يا أخي أنا استحيت أن أقول لك وأخبرك بالذي جرى .فقال له ساعداً: سألتك بالله رب الأرباب ومعتق الرقاب ومسبب الأسباب الواحد التواب الكريم الوهاب أن تقول لي ماذا جرى لك ولا تستحي مني، فأنا عبدك ووزيرك ومشريك في الأمور كلها، فقال سيف الملوك: تعال وانظر إلى هذه الصورة فلما رأى ساعد تلك الصورة تأمل فيها ساعة زمانية ورأى مكتوباً على رأس الصورة باللؤلؤ المنظوم: هذه الصورة

صورة بديعة الجمال بنت شماخ بن شاروخ ملك من ملوك الجان المؤمنين الذين هم نازلون في مدينة بابل وساكنون في بستان أرم بن عاد الأكبر.قال الوزير ساعد للملك سيف: يا أخي أتعرف من صاحبة هذه الصورة من النساء حتى نفتش عليها فقال سيف الملوك: والله يا أخي لا أعرف صاحبة هذه الصورة، فقال ساعد: تعال إقرأ هذه الكتابة فتقدم سيف الملوك وقرأ الكتابة التي على التاج وعرف مضمونها فصرخ من صميم قلبه وقال: آه، آه، آه، فقال له ساعد: يا أخي إن كانت صاحبة هذه الصورة موجودة واسمها بديعة الجمال وهي في الدنيا، فأنا أسرع في طلبها من غير مهلة حتى تبلغ مرادك، فبالله يا أخي أن تترك البكاء لأجل أن تدخل أهل الدولة في خدمتك فإذا كان ضحوة النهار فطلب التجار والفقراء والسواحين والمساكين، واسألهم عن صفات هذه المدينة لعل أحداً ببركة الله سبحانه وتعالى وعونه يدلنا عليها وعلى بستان ارم.

فلما أصبح الصباح قام سيف الملوك وطلع فوق التخت وهو معانق للقباء لأنه صار لا يقوم ولا يقعد ولا يأتيه نوم إلا وهو معه، فدخلت عليه الأمراء والوزراء والجنود وأرباب الدولة، فلما تم الديوان وانتظم الجمع، قال الملك سيف الملوك لوزيره ساعد: أبرز لهم وقل إن الملك حصل له تشويش والله ما بات البارحة إلا وهو ضعيف فبلغ الوزير

ساعد وأخبر الناس بما قاله الملك سيف فلما سمع الملك عاصم ذلك لم يهن عليه ولده فعند ذلك دعا الحكماء والمنجمين ودخل بهم على ولده سيف الملوك فنظروا إليه ووصفوا له الشراب واستمر في موضعه مدة ثلاثة أشهر، فقال الملك عاصم للحكماء الحاضرين وهو مغتاظ عليهم: ويلكم هل عجزتم كلكم عن مداواة ولدي فإن لم تداووه في هذه الساعة أقتلكم جميعاً، فقال كبيرهم: يا ملك الزمان إننا نعلم أن هذا ولدك وأنت تلعم أننا لا نتساهل في مداواة الغريب فكيف بمداواة ولدك ولكن ولدك به مرض صعب إن شئت معرفته نذكره لك ونحدثك به، قال الملك عاصم: أي شيء ظهر لكم من مرض ولدي؟ فقال له الحكيم الكبير: يا ملك الزمان إن ولدك الآن عاشق ويحب من لا سبيل إلى وصاله، فاغتاظ الملك عليهم وقال لهم: من أين علمتم أن ولدي عاشق ومن أين جاء العشق لولدي؟ فقالوا له: اسأل أخاه ووزيره ساعداً فإنه هو الذي يعلم حاله فعند ذلك قام الملك عاصم ودخل في خزانة وحده ودعا بساعد وقال: اصدقني بحقيقة مرض أخيك فقال له: لا أعلم حقيقته فقال الملك للسياف: خذ ساعداً واربط عينيه واضرب رقبته، فخاف ساعد على نفسه وقال له: يا ملك الزمان أعطني الأمان فقال له: قل لي ولك الأمان فقال له ساعد: إن ولدك عاشق فقال له الملك: ومن معشوقته؟ فقال ساعد: بنت ملك من

ملوك الجان فإنه رأى صورتها في قباء من البقجة التي أهداها إليكم سليمان نبي الله عليه السلام.فعند ذلك قام الملك ودخل على ابنه سيف الملوك وقال له:يا

ولدي أي شيء دهاك وما هذه الصورة التي عشقتها؟ ولأي شيء لم تخبرني؟ فقال سيف الملوك:يا أبت كنت أستحي منك وما كنت أقدر أن أذكر لك ذلك، ولا أقدر أن أظهر أحداً على شيء منه أبداً، والآن قد علمت بحالي فانظر كيف تعمل في مداواتي، فقال له أبوه:كيف تكون الحيلة لو كانت هذه من بنات الإنس كنا دبرنا حيلة في الوصول إليها، ولكن هذه من بنات ملوك الجن ومن يقدر عليها إلا إذا كان النبي سليمان بن داود عليهما السلام فإنه هو الذي يقدر على ذلك، ولكن يا ولدي قم في هذه الساعة واشتغل بالأكل والشرب واصرف الهم والغم عن قلبك، وأنا أجيء لك بمائة بنت من بنات الملوك وما لك ببنات الجان التي ليس لنا قدرة عليهم ولا هم من جنسنا، فقال له:أنا لا أتركها ولا أطلب غيرها فقال له الملك:كيف يكون العمل يا ولدي؟ فقال له ابنه:أحضر لنا جمعي التجار والمسافرين والسواحين في البلاد لنسألهم عن ذلك لعل الله يدلنا على بستان أرم وعلى مدينة بابل، فأمر الملك عاصم أن يحضر كل تاجر في المدينة وكل غريب فيها وكل رئيس في البحر، فلما

حضروا سألهم عن مدينة بابل وعن جزيرتها وعن بستان ارم فما أحد منهم عرف هذه الصفة ولا أخبر عنهابخبر وعند انفضاض المجلس قال واحد منهم: يا ملك الزمان إن كنت تريد أن تعرف فعليك ببلاد الصين فإنها مدينة كبيرة ولعل أحداً نمهم يدلك على مقصودك، ثم إن سيف الملوك قال: يا أبي جهز لي مركباً للسفر إلى بلاد الصين، فقال له أبوه:يا ولدي اجلس أنت على كرسي مملكتك واحكم في الرعية وأنا أسافر إلى بلاد الصين وأمضي إلى هذا الأمر بنفسي فقال سيف الملوك:يا أبي إن هذا الأمر يتعلق بي ولا يقدر أحد أن يبحث عنه مثلي فأعطيني إذناً بالسفر فاسافر وأتغرب مدة من الزمان، فإن وجدت لها خبراً حصل المراد وإن لم أجد لها خبراً يكون في السفر انشراح صدري ونشاط خاطري ويهون أمري بسبب ذلك وإن عشت رجعت إليك سالماً، فنظر الملك إلى ابنه فلم ير له حيلة غير أنه يعمل له الذي يرضيه فأعطاه إذناً بالسفر وجهز له أربعين مركباً وعشرين ألف مملوك غير الأتباع وأعطاه أموالاً وخزائن وكل شيء يحتاج إليه من آلات الحرب وقال له:سافر يا ولدي في خير وعافية وسلامة وقد استودعتك من لا تضيع عنده الودائع فعند ذلك ودعه أبوه وأمه وشحنت المراكب بالماء والزاد والسلاح والعساكر ثم سافروا ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى بلاد الصين. فلما سمع أهل الصين أنه

وصل إليهم أربعون مركباً مشحوناً بالرجال والعدد والسلاح والذخائر اعتقدوا أنهم أعداء جاؤا إلى قتالهم وحصارهم فقفلوا أبواب المدينة وجهزوا المنجنيقات، فلما سمع الملك سيف الملوك ذلك أرسل إليهم مملوكين من مماليكه الخواص، وقال لهم: امضيا إلى ملك الصين وقولوا له إن هذا سيف الملوك بن الملك عاصم جاء إلى مدينتك ضيفاً ليتفرج في بلادك مدة من الزمان ولا يقاتل ولا يخاصم فإن قبلته ضيفاً ليتفرج في بلادك مدة من الزمان ولا يقاتل ولا يخاصم فإن قبلته نزل عندك وإن لم تقبله رجع ولا يشوش عليك ولا على أهل مدينتك، فلما وصل المملوكين إلى المدينة قالوا: نحن رسل الملك سيف الملوك ففتحوا لهم الباب وذهبوا بهم وأحضروهم عند ملكهم وكان اسمه قعفوشاه، وكان بينه وبين الملك عاصم قبل تاريخه معرفة، فلما سمع أن الملك القادم عليه سيف الملوك بن الملك عاصم خلع على الرسل وأمر بفتح الأبواب وجهز الضيافات وخرج بنفسه مع خواص دولته وجاء إلى سيف الملوك وتعانقا، وقال له: أهلاً وسهلاً ومرحباً بمن قدم علينا وأنا مملوكك ومملوك أبيك ومدينتي بين يديك، وكل ما تطلبه يحضر إليك وقدم له الضيوفات والزاد في مواضع الإقامات، وركب سيف الملوك وساعد وزيره ومعهم خواص دولته وبقية العساكر وساروا في ساحل

البحر إلى أن دخلوا المدينة وضربت الكاسات ودقت البشائر وأقاموا فيها أربعين يوماً في ضيافات حسنة، ثم بعد ذلك قال له: يا ابن أخي كيف حالك هل أعجبتك بلادي؟ فقال له سيف الملوك: يا ملك أدام الله تعالى تشريفها بك أيها الملك، ثم قال الملك قعفوشاه لسيف الزمان: ما جاء بك إلى حاجة طرأت لك، وأي شيء تريده من بلادي فأنا أقضيه لك، فقال له الملك سيف: يا ملك إن حديثي عجيب وهو أني عشقت صورة بديعة الجمال فبكى ملك الصين رحمة به وشفقة عليه وقال: ما تريد الآن يا سيف الملوك؟ فقال له: أريد منك أن تحضر لي جميع السواحين والمسافرين ومن له عادة بالأسفار حتى أسألهم عن صاحبة هذه الصورة لعل أحداً منهم يخبرني بها فأرسل الملك قعفوشاه إلى النواب والحجاب والأعوان وأمرهم أن يحضروا جميع من في البلاد من السواحين والمسافرين فأحضروهم وكانوا جماعة كثيرة فاجتمعوا عند الملك قعفوشاه، ثم سألهم الملك سيف الملوك عن مدينة بابل وعن بستان أرم فلم يرد عليه أحداً منهم جواباً فتحير الملك سيف الملوك في أمره ثم بعد ذلك قال واحد من رؤساء البحرية: أيها الملك إن أردت أن تعلم هذه المدينة وذاك البستان فعليك بالجزائر التي في بلاد الهند، فعند ذلك أمر سيف الملوك أن يحضروا المراكب ففعلوا ونقلوا فيها الماء والزاد وجميع ما

يحتاجون إليه وركب سيف الملوك وساعد وزيره بعد أن ودعوا الملك قعفوشاه وسافروا في البحر مدة أربعة أشهر في ريح طيبة سالمين مطمئنين فاتفق أنه خرج عليهم ريح في يوم من الأيام وجاءهم الموج من كل مكان ونزلت عليهم الأمطار وتغير البحر من شدة الريح، ثم ضربت المراكب بعضها بعضاً من شدة الريح فانكسرت جميعها، وكذلك الزوارق الصغيرة وغرقوا جميعهم وبقي سيف الملوك مع جماعة من مماليكه في زورق صغير، ثم سكت الريح وسكن بقدرة الله تعالى وطلعت الشمس فنظر سيف الملوك من حوله، فلم ير شيئاً من المراكب ولم ير غير السماء والماء وهو ومن معه في الزورق الصغير فقال لمن معه من مماليكه: أين المرابك والزوارق الصغيرة وأين أخي ساعد؟ فقالوا له: يا ملك الزمان لم يبق مراكب ولا زوارق ولا منفيها فإنهم غرقوا كلهم وصاروا طعاماً للسمك، فصرخ سيف الملوك وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصار يلطم على وجهه وأراد أن يرمي نفسه في البحر، فمنعه المماليك وقالوا له: يا ملك أي شيء يفيدك هذا فأنت الذي فعلت بنفسك هذه الفعال ولو سمعت كلام أبيك ما كان جرى عليك من هذا شيء ولكن كل هذا مكتوب من القدم بإرادة باريء النسم حتى يستوفي العبد ما كتب الله تعالى عليه وقد قال المنجمون لأبيك عند والدتك: إن ابنك هذا تجري عليه الشدائد كلها

وحينئذ ليس عليه إلا الصبر حتى يفجر الله عنا الكرب الذي نحن فيه فقال سيف الملوك: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لامفر من قضاء الله تعالى ولا مهرب.ثم غرق في بحر الأفكار وجرت دموعه على خده كالمدرار، ونام ساعة من النهار، ثم استفاق وطلب شيئاً من الأكل فأكل حتى اكتفى ورفعوا الزاد من قدامه والزورق سائراً بهم، ولم يعلموا إلى أي جهة يتوجه بهم مع الأمواج والرياح ليلاً ونهاراً مدة مديدة من الزمان حتى فرغ منهم الزاد وذهبوا عن الرشاد وصاروا في أشد ما يكون من الجوع والعطش والقلق وإذا بجزيرة قد لاحت لهم على بعد فصارت الرياح تسوقهم إلى أن وصلوا إليها وأرسوا عليها وطلعوا من الزورق وتركوا فيه واحداً. ثم توجهوا إلى الجزيرة فرأوا فيها فواكه كثيرة من سائر الألوان، فأكلوا منها حتى اكتفوا وإذا بشخص جالس بين تلك الأشجار، طويل الوجه رؤيته عجيبة أبيض اللحية والبدن. فنادى أحد مماليك باسمه وقال له: لا تأكل من هذه الفواكه لأنها لم تستو

وتعال عندي حتى أطعمك من هذه الفواكه المستوية.فنظر إليه المملوك وظن أنه من جملة الغرقى الذين غرقوا وطلع على هذه الجزيرة،ففرح برؤيته غاية الفرح ومشى حتى وصل قريبا منه وذلك المملوك لا يعلم الذي قدّر عليه في الغيب وما هو مسطّر على جبينه. فلما صار ذلك

المملوك قريبا منه وثب عليه ذلك الرجل لأنه مارد، وركب فوق أكتافه ولفّ إحدى رجليه على رقبته والأخرى أرخاها على ظهره وقال له: امش ما بقى لك مني خلاص وأنت أصبحت حماري. فصاح ذلك المملوك على رفقائه وصار يبكي ويقول: واسيداه، اخرجوا وانجوا بأنفسكم من هذه الغابة واهربوا لأن واحدا من سكانها ركب فوق أكتافي وإن البقية يطلبونكم ويريدون أن يركبوكم مثلي. فلما سمعوا ذلك الكلام الذي قاله المملوك هربوا كلهم ونزلوا في الزورق فتبعوهم في البحر وقالوا لهم: أين تذهبون؟ تعالوا عندنا ولنركب فوق ظهوركم ونطعمكم ونسقيكم وتصيروا حميرنا. فلما سمعوا ذلك الكلام اسرعوا بالسير في البحر إلى أن ابتعدوا عنهم وتوجهوا متوكلين على الله تعالي، ولم يزالوا كذلك مدة شهر حتى بانت لهم جزيرة أخرى. فطلعوا في تلك الجزيرة فرأوا فيها فواكه مختلفة الأنواع، فاشتغلوا بأكل الفواكه وإذا هم بشيء في الطريق يلوح على بعد. فلما قربوا منه نظروا إليه فرأوه بشع المنظر مرميا مثل عامود من فضة، فلكزه مملوك برجله وإذا هو شخص طويل العينين مشقوق الرأس وهو مختف تحت إحدى أذنيه لأنه كان إذا نام يحط أذنه تحت رأسه ويتغطى بالأذن الأخرى. ثم خطف ذلك المملوك الذي لكزه وذهب به إلى وسط الجزيرة فإذا هي كلها غيلان يأكلون بنى آدم. ثم إن ذلك المملوك

صاح على رفقائه وقال لهم: فوزوا بأنفسكم فإن هذه الجزيرة جزيرة غيلان، يأكلون بني آدم ويريدون أن يقطعوني ويأكلوني. فلما سمعوا هذا الكلام ولوا معرضين ونزلوا من البّر إلى الزورق ولم يجمعوا من هذه الفواكه شيئا، وساروا مدة أيام. فاتفق أنه ظهرت لهم يوما من الأيام جزيرة أخرى فلما وصلوا إليها وجدوا فيها جبلا عاليا، فطلعوا ذلك الجبل فرأوا فيه غابة كثيرة الأشجار وهم جياع فاشتغلوا بأكل الفواكه، فلم يشعروا إلا وقد خرج لهم من بين الأشجار أشخاص هائلة المنظر طوال، طول كل واحد منهم خمسون ذراعا وأنيابه خارجة من فمه مثل أنياب الفيل وإذا هم بشخص جالس على قطعة لباد سوداء فوق صخرة من الحجر، وحواليه الزنوج وهم جماعة كثيرة واقفون في خدمته.فجاء هؤلاء الزنوج وأخذوا سيف الملوك ومماليكه وأوقفوهم بين يدي ملكهم وقالوا: إنا لقينا هذه الطيور بين الأشجار وكان الملك جائعاً فأخذ من المماليك اثنين وذبحهما وأكلهما. فلما رأى سيف الملوك هذا الأمر خاف على نفسه وبكى.فلما سمع الملك بكاءه وتعديده قال: إن هؤلاء الطيور مليحة الصوت والنغمة قد أعجبتني أصـــواتهم فاجــعلوا كل واحد منهم في قفص فحطوا كل واحد منهم في قفص، وعلقوهم على راس الملك ليسمع أصواتهم ومماليكه في الأقفاص والزنوج يطعمونهم ويسقونهم،وهم ساعة يبكون

وساعة يضحكون وساعة يتكلمون وساعة يسكتون كل هذا وملك الزنوج يتلذذ بأصواتهم ولم يزالوا على تلك الحالة مدة من الزمان وكان للملك بنت متزوجة في جزيرة أخرى فسمعت أن أباها عنده طيور لها أصوات مليحة، فأرسلت جماعة إلى أبيها تطلب منه شيئاً من الطيور، فأرسل إليها أبوها سيف الملوك وثلاثة مماليك في أربعة أقفاص مع القاصد الذي جاء في طلبهم. فلما وصلوا إليها ونظرتهم أعجبوها، فأمرت أن يطلعهم في موقع فوق رأسها فصار سيف الملوك يتعجب مما جرى له ويتفكر ما كان فيه من العز وصار يبكي على نفسه والمماليك الثلاثة يبكون على أنفسهم، كل هذا وبنت الملك تعتقد أنهم يغنون وكانت عادة بنت الملك إذا وقع عندها أحد من بلاد مصر، أو من غيرها وأعجبها يصير له عندها منزلة عظيمة وكان بقضاء الله تعالى وقدره أنها لما رأت سيف الملوك أعجبها حسنه وجماله وقده واعتداله فأمرت بإكرامهم واتفق أن اختلت يوماً من الأيام بسيفي الملوك وطلبت منه أن يجامعها فأبى سيف الملوك ذلك وقال لها: يا سيدتي أنا رجل غريب وبحب الذي أهواه كئيب وما أرضى بغير وصاله فصارت بنت الملاك تلاطفه وتراوده فامتنع منها ولم تقدر أن تدنو منه ولا أن تصل إليه بحال من الأحوال، فلما أعياها أمره غضبت عليه وعلى مماليكه، وأمرتهم أن يخدموها

وينقلوا الماء والحطب فمكثوا على هذه الحالة أربع سنوات، فأعيا الملك سيف ذلك الحال وأرسل يتشفع الملكة، عسى أن تعتقهم ويمضوا إلى حال سبيلهم ويستريحوا مما هم فيه،فأرسلت أحضرت سيف الملوك وقالت: إن وافقتني على غرضي أعتقك من الذي أنت فيه وتروح لبلادك سالماً غانماً وما زالت تتضرع إليه وتأخذ بخاطره فلم يجبها إلى مقصودها فأعرضت عنه مغضبة وسار سيف الملوك والمماليك عندها في الجزيرة على تلك الحالة وعرف أهلها أنهم طيور بنت الملك فلم يتجاسر أحد من اهل المدينة أن يضرهم بشيء وصار قلب بنت الملك مطمئناً عليهم، وتحققت أنهم ما بقي لهم خلاص من هذه الجزيرة فصاروا يغيبون عنها ليومين والثلاثة ويدورون في البرية ليجمعوا الحطب من جوانب الجزيرة ويأتوا به إلى مطبخ بنت الملك، فمكثوا على هذه الحالة خمس سنوات، فاتفق أن سيف الملوك قعد هو ومماليكه يوماً من الأيام على ساحل البحري يتحدثون فيما جرى فالتفت سيف الملوك فرأى نفسه فيهذا المكان هو ومماليكه فتذكر أمه وأباه وأخاه ساعداً وتذكر العز الذي كان فيه، فبكى وزاد في البكاء والنحيب وكذلك المماليك بكوا مثله. ثم قال له المماليك: يا ملك الزمان إلى متى تبكي، والبكاء لا يفيد وهذا أمر مكتوب على جباهنا بتقدير الله عز وجل، وقد جرى القلم بما حكم وما ينفعنا إلا

الصبر، لعل الله سبحانه وتعالى الذي ابتلانا بهذه الشدة يفرجها عنا فقال لهم سيف الملوك: يا إخواني كيف نعمل في خلاصنا من هذه الملعونة ولا أرى لنا خلاصاً إلا أن يخلصنا الله منها بفضله، ولكن خطر ببالي أننا نهرب ونستريح من هذا التعب، فقالوا له: يا ملك الزمان أين نروح من هذه الجزيرة وهي كلها غيلان يأكلون بني آدم وكل موضع توجهنا إليه وجدونا فيه فإما أن يأكلونا وإما أن يأسرونا ويردونا إلى موضعنا وتغضب علينا بنت الملك، فقال سيف الملوك: أنا أعمل لكم شيئاً لعل الله تعالى يساعدنا به على الخلاص ونخلص من هذه الجزيرة فقالوا له: كيف تعمل؟ فقال: نقطع من هذه الأخشاب الطوال ونفتل من قشرها حبالاً، ونربط بعضها في بعض ونجعلها فلكاً ونرميه في البحر ونملؤه من تلك الفاكهة، ونعمل له مجاذيف وننزل فيه لعل الله تعالى أن يجعل لنا فرجاً فإنه على كل شيء قدير، وعسى الله أن يرزقنا الريح الطيب الذي يرسلنا إلى بلاد الهند ونخلص من هذه الملعونة فقالوا له: هذا رأي حسن وفرحوا به فرحاً شديداً وقاموا في الوقت والساعة يقطعون الأخشاب لعمل الفلك ثم فتلوا الحبال لربط الأخشاب في بعضها واستمروا على ذلك مدة شهر وكل يوم في آخر النهار يأخذون شيئاً من الحطب، ويروحون به إلى مطبخ بنت الملك ويجعلون بقية لنهار لأشغالهم في صنع الفلك إلى أن

أتموه، ولما فرغوا من عمله رموه في البحر ووسقوه من الفواكه التي في الجزيرة من تلك الأشجار وتجهّزوا في آخر يومهم ولم يُعلموا أحداً بما فعلوا، ثم ركبوا في ذلك الفلك وساروا في البحر مدة أربعة أشهر، ولم يعلموا أين يذهب بهم وفرغ منهم الزاد وصاروا في أشد ما يكون من الجوع والعطش، وإذا بالبحر قد أرغى وأزبد وطلع منه أمواج عالية، فأقبل عليهم تمساح هائل ومد يده وخطف مملوكاً من المماليك وبلعه، فلما رأى سيف الملوك ذلك التمساح فعل بالمملوك ذلك الفعل بكى بكاء شديداً، وصار في الفلك هو والمملوك الباقي وحدهما وبعدا عن مكان التمساح وهما خائفان، ولم يزالا كذلك حتى ظهر لهما يوماً من الأيام جبل عظيم هائل عال شاهق في الهواء ففرحا به وظهر لهما بعد هذه الجزيرة فجدا في السير إليها وهما مستبشران بدخولهما الجزيرة.فبينما هما على تلك الحالة،وإذا بالبحر هاج وعلت أمواجه وتغيرت حالاته، فرفع التمساح رأسه ومد يده فأخذ المملوك الذي بقي من مماليك سيف الملوك وبلعه،فصار سيف الملوك وحده حتى وصل إلى الجزيرة وصال يعالج إلى أن صعد فدق الجبل، ونظر فرأى غابة فدخل الغابة ومشى بين الأشجار وصار يأكل من الفواكه فرأى الأشجار وقد طلع فوقها ما

يزيد عن عشرين قرداً راكباً كل واحـــد منهم أكبر من البغل، فلما رأى سيف الملوك هذه القرود حصل له خوف شيديد، ثم نزلت القرود واحتاطوا به من كل جانب وبعد ذلك ساروا أمامه وأشاروا إليه أن يتبعهم ومشوا، فمشى سيف الملوك خلفهم وما زالوا سائرين وهو تابعهم حتى أقبلوا على قلعة عالية البنيان مشيدة الأركان فدخلوا تلك القلعة ودخل سيف الملوك وراءهم فرأى فيها من سائر التحف والجواهر والمعادن ما يكل عن وصفه اللسان، ورأى في تلك القلعة شاباً لا نبات بعارضه لكنه طويل زائد الطول.

فلما رأى سيف الملوك ذلك الشاب استأنس به، ولم يكن في تلك القلعة غير ذلك الشاب من البشر، ثم إن الشاب لما رأى سيف الملوك أعجبه غاية الإعجاب، فقال له: ما اسمك ومن أي البلاد أنت وكيف وصلت إلى هنا؟ فأخبرني بحديثك ولا تكتم شيئاً فقال له سيف الملوك: أنا والله ما وصلت إلى هنا بخاطري ولا كان هذا المكان مقصودي، وأنا ما أزال أسير من مكان إلى مكان آخر حتى أنال مطلوبي.فقال له الشاب: وما مطلوبك؟ فقال سيف الملوك: أنا من بلاد مصر واسمي سيف الملوك وأبي اسمه الملك عاصم بن صفوان. ثم إنه حكى له ما جرى له من أول الأمر الى آخره. فقام ذلك الشاب في خدمة سيف الملوك وقال: يا ملك الزمان، أنا كنت في مصر

وسمعت بأنك سافرت إلى بلاد الصين، وأين هذه البلاد من بلاد الصين؟ إن هذا لشيء عجيب وأمر غريب. فقال له سيف الملوك: كلامك صحي. ولكن سافرت بعد ذلك من بلاد الصين إلى بلاد الهند، فخرج علينا ريح وهاج البحر وكسرت جميع المراكب التي كانت معي. وذكر له جميع ما جرى له إلى أن قال: وقد وصلت إليك في هذا المكان. فقال الشاب: يا ابن الملك، يكفى ما جرى لك من هذه الغربة وشدائدها والحمد لله الذي أوصلك إلى هذا المكان فأمكث عندى لأئتنس بك إلى أن أموت وتكون أنت ملكا على هذا الإقليم، فإن فيه هذه الجزيرة التي لا يعرفها أحد وإن هذه القرود أصحاب صنائع وكل شيء طلبته تجده هاهنا. فقال سيف الملوك: يا أخي لا أقدر أن أمكث في مكان حتى تنقضي حاجتى ولو أطوف جميع الدنيا وأسأل عن غرضي لعل الله يبلغني مرادي أو يكون سعي إلى مكان فيه أجلي فأموت.

ثم إن الشاب التفت إلى قرد وأشار إليه، فغاب القرد ساعة ثم أتى ومعه قرود مشددة الوسط بالفوط الحرير وقدموا السماط ووضعت عليه نحو مائة صحفة من الذهب والفضة وفيها من سائر الأطعمة وصارت القرود واقفة على عادة الأتباع بين يدي الملوك ثم أشار للحجاب بالقعود فقعدوا ووقف الذي عادته الخدمة، ثم أكلوا حتى اكتفوا، ثم

رفعوا السماط وأتوا طسوت وأباريق من الذهب فغسلوا أيديهم ثم جاؤوا بأواني الشراب نحو أربعين آنية فيها أنواع من الشراب فشربوا وتلذذوا وطربوا وطاب لهم وقتهم وجميع القرود يرقصون ويلعبون وقت اشتغال الآكلين بالأكل، فلما رأى سيف الملوك ذلك تعجب منهم ونسي ما جرى له من الغربة وشدائدها فلما كان الليل أوقدوا الشموع ووضعوها في الشمعدانات الذهبية والفضية، ثم أتوا بأواني النقل والفاكهة فأكلوا ولما جاء وقت النوم فرشوا لهم الفرش وناموا، فلما أصبح الصباح قام الشاب على عادته ونبه سيف الملوك وقال له: اخرج رأسك من الشباك وانظر إلى أي شيء هذا الواقف تحت الشباك فنظر فرأى قروداً قد ملأت الفلا الواسع والبرية كلها وما يعلم عدد القرود إلا الله تعالى فقال سيف الملوك هؤلاء قرود كثيرون قد ملأوا الفضاء ولأي شيء اجتمعوا في هذا الوقت فقال له الشاب: إن هذه عادتهم وجميع ما في الجزيرة قد أتى وبعضهم جاء من سفر يومين أو ثلاثة فإنهم يأتون في كل يوم سبت ويقفون هنا حتى أنتبه من منامي وأخرج رأسي من هذا الشباك فحين يبصرونني يقبلون الأرض بين يدي ثم ينصرفون إلى أشغالهم.وأخرج رأسه من الشباك حتى راوه فلما نظروه قبلوا الأرض بين يديه وانصرفوا ثم إن سيف الملوك مكث عند الشاب مدة شهر كامل وبعد ذلك ودعه وسافر

فأمر الشاب نفراً من القرود نحو المائة قرد بالسفر معه، فسافروا في خدمة سيفالملوك مدة سبعة أيام حتى أوصلوه إلى ورجعوا إلى بلادهم. ثم واصل سيف الملوك السفر وحده في الجبال والتلال والبراري والقفار مدة أربعة أشهر يوماً يجوع ويوماً يشبع ويوماً يأكل الحشائش، ويوماً يأكل من ثمر الأشجار وصار يتندم على ما فعل بنفسه وعلى خروجه من عند ذلك الشاب وأراد أن يرجع إليه على أثره فرأى شبحاً أسود يلوح على بعد فقال في نفسه: هل هذه هي بلدة سوداء أم كيف الحال ولكن لا ارجع حتى أنظر أي شيء هذا الشبح. فلما قرب منه رآه قصراً عالي البنيان وقيل أن الذي بناه هو يافث بن نوح عليه السلام وهو القصر الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز وبقوله(وبئر معطلة وقصر مشيد). ثم إن سيف الملوك جلس على باب القصر وقال في نفسه: يا ترى ما شأن هذا القصر ومن فيه من الملوك؟ فمن يخبرني بحقيقة الأمر وهل سكانه من الإنس أو من الجن؟ فقعد يتفكر ساعة زمانية ولم يرى أحداً يداخله ولا أحد يخرج منه فقام يمشي وهو متوكل على الله تعالى حتى دخل القصر فوجد في طريقه سبعة دهاليز فلم ير أحد ونظر على يمينه ثلاثة أبواب وقدامه باب عليه ستارة مسبولة فتقدم إلى ذلك الباب ورفع

الستارة بيده ومشى داخل الباب وإذا هو بإيوان كبير مفروش بالبسط الحرير وفي صدر ذلك الإيوان تخت من

الذهب وعليه فتاة جالسة وجهها مثل القمر، وعليها ملبوس الملوك وهي كالعروس في ليلة زفافها وتحت التخت أربعون سماطاً وعليها صحاف الذهب والفضة وكلها ملآنة بالأطعمة الفاخرة فلما رآها سيف الملوك أقبل عليها وسلم فردت عليه السلام وقالت له: هل أنت من الإنس أو من الجن؟ فقال لها: أنا من خيار الإنس وإني ملك ابن ملك فقالت له: وأي شيء تريد دونك وهذا الطعام وبعد ذلك حدثني بحديثك من أوله إلى آخره وكيف وصلت إلى هذا الموضع فجلس سيف الملوك على السماط، وكشف المكبة عن السفرة

وكان جائعاً وأكل من تلك الصحاف حتى شبع، وغسل يديه وطلع على التخت وقعد عند البنت فقالت له: من أنت؟ وما اسمك؟ ومن أين جئت؟ ومن أوصك إلى هنا؟ فقال لها سيف الملوك: أما أنا فحديثي طويل، فقالت: قل لي: من أين وما سبب مجيئك إلى هنا وما مرادك؟ فقال لها: أخبريني أنت ما شأنك وما اسمك ومن جاء بك إلى هنا ولأي شيء أنت قاعدة في هذا المكان وحدك؟ فقالت البنت: أنا اسمي دولة خاتون بنت ملك الهند، وأبي ساكن في مدينة سرنديب ولأبي بستان مليح كبير في بلاد الهند وأقطارها أحسن منه، فيه

حوض كبير، فدخلت في ذلك البستان يوماً من الأيام مع جواري وتعريت أنا وجواري ونزلنا في ذلك الحوض وصرنا نلعب وننشرح فلم أشعر إلا وشيء مثل السحاب نزل علي وخطفني من بين الجواري وطار بي بين الأرض والسماء وهو يقول: دولة خاتون لاتخافي وكوني مطمئة القلب.ثم طار بي مدة قليلة وبعد ذلك أنزلني في هذا القصر، ثم انقلب من وقته وساعته فإذا هو شاب مليح حسن الشباب نظيف الثياب، وقال لي: أتعرفينني؟ فقلت: لا يا سيدي، فقال: أنا ابن الملك الأزرق ملك الجان وأبي ساكن في قلعة القلزوم وتحت يده ستمائة ألف من الجن الطيارة والغواصين واتفق لي أني كنت عابراً في طريقي ومتوجهاً إلى حال سبيلي فرأيتك وعشقتك ونزلت عليك وخطفتك من بين الجواري وجئت بك إلى هذا القصر المشيد، وهو موضعي ومسكني، فلا أحد يصل إليه قط لا من الجن ولا من الإنس ومن الهند إلى هنا مسير مائة وعشرين سنة، فتحققي أنك لا تنظرين بلاد أبيك وأمك أبداً فاقعدي عندي في هذا المكان مطمئنة القلب والخاطر، وأنا أحضر بين يديك كل ما تطلبينه ثم بعد ذلك عانقني وقبلني. وقال لي: اقعدي هنا ولا تخافي من شيء ثم تركني وغاب عني ساعة وبعد ذلك أتى ومعه هذا السماط والفرش والبسط، ولكن لم يجيء إلا في كل يوم ثلاثاء وعند مجيئه يأكل ويشرب معي ويعانقني

ويقبلني وأنا بنت بكر على الحالة التي خلقني الله عليها، ولم يفعل بي شيئاً وأبي اسمه تاج

الملوك ولم يعلم أني بخير ولم يقع لي على أثر وهذا حديثي فحدثني أنت بحديثك، فقال لها سيف الملوك: إن حديثي طويل وأخاف أن أحدثك به يطول الوقت علينا فيجيء العفريت، فقالت له: إنه لم يسافر من عندي إلا قبل دخولك بساعة، ولا يأتي إلا في يوم الثلاثاء فاقعد واطمئن وطيب خاطرك وحدثني بما جرى لك من الأول إلى الآخر، فقال سيف الملوك سمعاً وطاعة ثم ابتدأ بحديثه حتى أكمله من الأول إلى الآخر فلما وصل إلى آخر حكاية بديعة الجمال تغرغرت عيناه بالدموع الغزار، وقالت: ما هو ظني فيك يا بديعة الجمال آه من الزمان يا بديعة الجمال، ما تذكرينني وتقولين أين راحت أختي دولة خاتون ثم إنها زادت في البكاء وصارت تتأسف حيث لم تذكرها بديعة الجمال فقال لها سيف الملوك: يا دولة خاتون إنك إنسية وهي جنية فمن أين تكون هذه أختك؟ فقالت له: إنها أختي من الرضاع وسبب ذلك أن أمي نزلت تتفرج في البستان فجاءها الطلق، فولدتني في البستان وكانت أم بديعة الجمال في البستان هي وأعوانها، فجاءها الطلق فنزلت في طرف البستان وولدت بديعة الجمال، وأرسلت بعض جواريها إلى أمي تطلب منها طعاماً وحوائج

الولادة فبعثت إليها أمي ما طلبته وعزمت عليها فقامت وأخذت بديعة الجمال وأتت إلى أمي فأرضعت أمي بديعة الجمال، ثم أقامت أمها وهي معها عندنا في البستان مدة شهرين، وبعد ذلك سافرت إلى بلادها وأعطت أمي حاجة وقالت لها: إذا احتجت إلي أجيئك في وسط البستان وكانت تأتي بديعة الجمال مع أمها في كل عام، ويقيمان عندنا مدة من الزمان ثم يرجعان إلى بلادهما فلو كنت أنا عند أمي يا سيف الملوك ونظرتك عندنا في بلادنا ونحن مجتمع شملنا مثل العادة كنت أتحيل عليها بحيلة حتى أوصلك إلى مرادك ولكن أنا في هذا المكان ولا يعرفون خبري، فلو عرفوا خبري وعلموا أني هنا كانوا قادرين على خلاصي من هذا المكان ولكن الأمر إلى الله سبحانه وتعالى وأي شيء أعمل؟ فقال سيف الملوك: قومي وتعالي معي نهرب ونسير إلى حيث يريد الله تعالى فقالت له: لا نقدر على ذلك والله لو هربنا مسيرة سنة لجاء هذا الملعون في سرعة ويهلكنا فقال سيف الملوك: أنا أختفي في موضع وإذا جاز علي أضربه بالسيف فأقتله، فقالت له: لا تقدر أن تقتله إلا إن قتلت روحه، فقال لها سيف الملوك وروحه في أي مكان؟ فقالت: أنا سألته عنها مرات عديدة فلم يقر لي بمكانها، فاتفق أني ألححت عليه يوماً من الأيام، فاغتاظ مني وقال لي: كم تسألينني عن روحي ما سبب

سؤالك عن روحي؟ فقلت له: يا حاتم أنا ما بقي لي أحد غيرك إلا الله وأنا مادمت بالحياة لم أزل معانقة لروحك وإن كنت أنا ما أحفظ لروحك وأحطها في وسط عيني فكيف تكون حياتي بعدك، وإذا عرفت روحك حفظتها مثل عيني اليمين فعند ذلك قال لي: حين ولدت أخبر المنجمون أن هلاك روحي يكون على يد أحد من أولاد الملوك الأنسية فأخذت روحي ووضعتها في حوصلة عصفور وحبست العصفور في حق ووضعت الحق في علبة ووضعت العلبة داخل سبع علب في سبع صناديق ووضعت الصناديق في طابق من رخام في جانب هذا البحر المحيط لأن هذا الجانب بعيد عن بلاد الإنس وما يقدر أحد من الإنس أن يصل إليه وها أنا قلت لك ولا تقولي لأحد على هذا فإنه سر بيني وبينك. فقلت له: ومن أحدثه به وما يأتيني أحد غيرك حتى أقول له ثم قلت له: والله إنك جعلت روحك في حصن عظيم لا يصل إليه أحد، فكيف يصل إلى ذلك أحد من الإنس حتى لو فرض المحال وقدر الله مثل ما قال المنجمون فكيف يكون أحد من الإنس يصل إلى هذا؟ فقال: ربما كان أحد منهم في أصبعه خاتم النبي سليمان بن داود عليهما السلام، ويأتي إلى هنا ويضع يده بهذا الخاتم على وجه الماء ثم يقول: بحق هذه الأسماء أن تطلع روح فلان فيطلع التابوت فيكسره والصناديق كذلك والعلب ويخرج العصفور من

الحق ويخنقه فأموت أنا،فقال سيف الملوك:هو أنا ابن الملك وهذا خاتم النبي سليمان بن داود عليهما السلام في أصبعي فقومي بنا إلى شاطئ البحر حتى نبصر هل كلامه هذا كذب أم صدق، فعند ذلك قام الاثنان ومشيا إلى أن وصلا إلى البحر ووقفت دولة خاتون على جانب البحر ودخل سيف الملوك في الماء إلى وسطه وقال:بحق ما في هذا الخاتم من الأسماء أن تخرج روح فلان ابن الملك الأزرق الجني فعند ذلك هاج البحر وطلع التابوت فأخذه سيف الملوك وضربه على الحجر فكسره وكسر الصناديق والعلب وأخرج العصفور من الحق وتوجها إلى القصر وطلعا فوق التخت وإذا بغبرة هائلة وشيء عظيم طائر وهو يقول:اتركني يا ابن الملك ولا تقتلني واجعلني عتيقك وأنا أبلغك مقصودك. فقالت له دولة خاتون:قد جاء الجني فاقتل العصفور لئلا يدخل هذا الملعون القصر ويأخذه منك ويقتلك ويقتلني بعدك، فعند ذلك خنق العصفور فمات فوقع الجني على الأرض كوم رماد أسود، فقالت له دولة خاتون: قد تخلصنا من يد هذا الملعون وكيف نعمل؟ فقال سيف الملوك: المستعان بالله تعالى الذي بلانا فإنه يدبرنا ويعيننا على خلاصنا مما نحن فيه، ثم قام سيف الملوك وقلع من أبواب القصر نحو عشرة أبواب، وكانت تلك الأبواب من الصندل والعود ومساميرها من الذهب والفضة ثم أخذا حبالاً كانت هناك من

الحرير والابرسيم وربطا الأبواب بعضها في بعض وتعاون هو ودولة خاتون إلى أن وصلا بها إلى البحر ورمياها فيه بعد أن صارت فلكاً وربطوه على الشاطئ ثم رجعا إلى القصر وحملا الصحاف الذهب والفضة وكذلك الجواهر واليواقيت والمعادن النفيسة ونقلا جميع ما في القصر من الذي خف حمله وغلا ثمنه وحطاه في ذلك الفلك وركبا فيه متوكلين على الله تعالى الذي من توكل عليه كفاه ولا يخيبه وعملا لهما خشبتين على هيئة المجاذيف ثم حلا الحبال وتركا الفلك يجري بهما في البحر ولم يزالا سائرين على تلك الحالة مدة أربعة أشهر حتى فرغ منهما الزاد واشتد عليهما الكرب وضاقت أنفسهما،فطلبا من الله أن يرزقهما النجاة مما هما فيه وكان سيف الملوك في مدة سيرهم إذا نام يجعل دولة خاتون خلف ظهره فإذا انقلب كان السيف بينهما، فبينما هما على تلك الحالة ليلة من الليالي فاتفق أن سيف الملوك كان نائماً ودولة خاتون يقظانة وإذا بالفلك مال إلى طرف البر وجاء إلى الميناء وفي تلك الميناء مراكب فنظرت دولة خاتون المراكب وسمعت رجلاً يتحدث مع رئيس الرؤوساء وكبيرهم. فلما سمعت دولة خاتون صوت الرئيس علمت أن هذا البر ميناء مدينة من المدن وأنهما وصلا إلى العمار ففرحت فرحاً شديداً ونبهت سيف الملوك من النوم وقالت له:قم واسأل هذا الريس

عن اسم هذه المدينة وعن هذا الميناء فقام سيف الملوك وهو فرحان وقال له: يا أخي ما اسم هذه المدينة؟

وما يقال لهذا الميناء وما اسم ملكها؟ فقال له الريس: يا صاقع الوجه يا بارد اللحية إذا كنت لا تعرف الميناء ولا هذه المدينة فكيف جئت إلى هنا؟ فقال سيف الملوك: أنا غريب وقد كنت في سفينة من سفن التجار فانكسرت وغرقت بجميع من فيها وطلعت على لوح فوصلت إلى هنا فسألتك والسؤال ما هو عيب فقال الريس: هذه مدينة عمارية وهذا الميناء يسمى ميناء كمين البحرين، فلما سمعت دولة خاتون هذا الكلام فرحت فرحاً شديداً وقالت: الحمد لله، فقال سيف الملوك: ما الخبر؟ فقالت: يا سيف الملوك أبشر بالفرج القريب فإن ملك هذه المدينة عمي أخو أبي واسمه عالي الملوك ثم قالت له: اسأله وقل له: هل سلطان هذه المدينة عالي الملوك طيب فسأله عن ذلك فقال له الريس وهو مغتاظ منه: ألست تقول عمري ما جئت إلى هنا وإنما أنا رجل غريب فمن عرفك باسم صاحب هذه المدينة؟ ففرحت دولة خاتون وعرفت الريس وكان اسمه معين الدين وهو من رؤوساء أبيها وإنما خرج ليفتش عليها حين فقدت فلم يجدها ولم يزل دائراً حتى وصل إلى مدينة عمها ثم قالت لسيف الملوك: قل له: يا ريس معين الدين تعال كلم سيدتك فناداه بما قالته له فلما سمع الريس كلام

سيف الملوك اغتاظ غيظاً شديداً وقال له: يا كلب من أنت وكيف عرفتني؟ ثم قال لبعض البحرية ناولوني عصاً من الشوم حتى أروح إلى هذا النحس وأكسر رأسه فأخذ العصا وتوجه إلى سيف الملوك فرأى الفلك ورأى فيه شيئاً عجيباً بهيجاً فاندهش عقله، ثم تأمل وحقق النظر فرأى دولة

خاتون وهي جالسة مثل فلقة القمر، فقال له الريس: ما الذي عندك؟ فقال له: عندي بنت تسمى دولة خاتون. فلما سمع الريس هذا الكلام وقع مغشياً عليه حين سمع باسمها وعرف أنها سيدته وبنت ملكه، فلما أفاق ترك الفلك وما فيه وتوجه إلى المدينة وطلع قصر الملك فاستأذن عليه فدخل الحاجب إلى الملك وقال: إن الريس معين جاء إليك ليبشرك فأذن له بالدخول فدخل على الملك وقبل الأرض بين يديه وقال: يا ملك عندك البشارة فإن بنت أخيك دولة خاتون وصلت إلى المدينة طيبة بخير وهي في الفلك وصحبتها شاب مثل القمر ليلة تمامه. فلما سمع الملك خبر بنت أخيه فرح وخلع على الريس خلعة سنية وأمر من ساعته أن يزينوا المدينة لسلامة بنت أخيه وأرسل إليها وأحضرها عنده هي وسيف الملوك وسلم عليهما وهنأهما بالسلامة ثم إنه أرسل إلى أخيه ليعلمه أن ابنته وجدت وهي عنده، ثم إنه لما وصل إليه الرسول تجهز واجتمعت

العساكر وسافر تاج الملوك أبو دولة خاتون حتى وصل إلى أخيه عالي الملوك واجتمع ببنته دولة خاتون وفرحوا فرحاً شديداً وقعد تاج الملوك عند أخيه جمعة من الزمان ثم إنه أخذ بنته وكذلك سيف الملوك وسافروا حتى وصلوا إلى سراديب بلاد أبيها واجتمعت دولة خاتون بأمها وفرحوا بسلامتها واقاموا الأفراح وكان ذلك يوماً عظيماً لا يرى مثله، وأما الملك فإنه أكرم سيف الملوك وقال له: يا سيف الملوك إنك فعلت معي ومع ابنتي هذا الخير كله وأنا لا أقدر أن أكافئك عليه وما يكافئك إلا رب العالمين، ولكن أريد منك أن تقعد على التخت في موضعي وتحكم في بلاد الهند فإني قد وهبت ملكي وتختي وخزانتي وخدامي وجميع ذلك يكون هبة مني لك،فعند ذلك قام سيف الملوك وقبل الأرض بين يدي الملك وشكره وقال: يا ملك الزمان قبلت جميع ما وهبته لي وهو مردود مني إليك هدية أيضاً، وأنا يا ملك الزمان ما أريد مملكة ولا سلطنة وما أريد إلا أن الله تعالى يبلغني مقصودي.فقال له الملك هذه خزائني بين يديك يا سيف الملوك مهما طلبته منها خذه ولا تشاورني فيه وجزاك عني خيراً، فقال سيف الملوك أعز الله الملك لا حظ في الملك ولا في المال حتى أبلغ مرادي ولكن غرضي الآن أن أتفرج في هذه المدينة وأنظر شوارعها وأسواقها، فأمر تاج الملوك أن يحضروا له فرساً من جياد الخيل

فأحضروا له فرساً مسرجاً ملجماً من جياد الخيل فركبها وطلع إلى السوق وشق في شوارع المدينة فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً إذ رأى شاباً ومعه قباء وهو ينادي عليه بخمسة عشر ديناراً، فتأمله فوجده يشبه أخاه ساعداً وفي نفس الأمر هو بعينه، إلا أنه تغير لونه وحاله من طول الغربة ومشقات السفر ولم يعرفه ثم قال لمن حوله هاتوا هذا الشاب لأستخبره فأتوا به إليه. فقال خذوه وأوصلوه إلى القصر الذي أنا فيه ودعوه عندكم إلى أن أرجع من الفرجة، فظنوا أنه قال لهم خذوه وأوصلوه إلى السجن وقالوا لعل هذا مملوك من مماليكه هرب منه فأخذوه وأوصلوه إلى السجن وقيدوه وتركوه قاعداً، فرجع سيف الملوك من الفرجة وطلع القصر ونسي أخاه ساعداً ولم يذكره له أحد فصار ساعداً في السجن، ولما خرجوا بالأسرى إلى أشغال العمارات أخذوا ساعداً معهم وصار يشتغل مع الأسرى وكثر عليه الوسخ ومكث ساعداً على هذه الحالة مدة شهر وهو يتذكر في أحواله ويقول في نفسه ما سبب سجني وقد اشتغل سيف الملوك بما هو فيه من السرور وغيره فاتفق أن سيف الملوك جلس يوماً من الأيام وتذكر ساعداً فقال المماليك الذين كانوا معه أين المملوك الذي كان معكم في يوم كذا فقالوا أما قلت لنا أوصلوه إلى السجن، فقال سيف الملوك أنا ما قلت لكم هذا

الكلام وإنما قلت لكم أوصلوه إلى القصر الذي أنا فيه ثم إنها أرسل الحجاب إلى ساعد فأتوا به وهو مقيد ففكوه من قيده وأوقفوا بين يدي سيف الملوك فقال له يا شاب من أي بلاد أنت فقال له أنا من مصر واسمي ساعد بن الوزير فارس.فلما سمع سيف الملوك كلامه نهض من فوق التخت وألقى نفسه عليه وتعلق برقبته ومن فرحه صار يبكي بكاء شديداً وقال يا أخي الحمد للّه حيث عشت ورأيتك فأنا أخوك سيف الملوك بن الملك عاصم فلما سمع أخيه كلامه وعرفه تعانقا مع بعضهما وتباكيا، فتعجب الحاضرون منهما ثم أمر سيف الملوك أن يأخذوا ساعداً ويذهبوا به إلى الحمام، وعند خروجه من الحمام ألبسوه ثياباً فاخرة وأتوا به إلى مجلس سيف الملوك فأجلسه معه على التخت ولما علم ذلك تاج الملوك فرح فرحاً

شديداً باجتماع سيف الملوك وأخيه ساعد وحضر وجلس الثلاثة يتحدثون فيما جرى لهم من الأول إلى الآخر، ثم إن ساعداً قال يا أخي يا سيف الملوك لما غرقت المركب وغرقت المماليك طلعت أنا وجماعة من المماليك على لوح خشب وسار بنا في البحر مدة شهر كامل ثم بعد ذلك رمانا الريح بقدرة اللّه تعالى على جزيرة فطلعنا ونحن جياع فدخلنا بين الأشجار وأكلنا من الفواكه واشتغلنا بالأكل، فلم نشعر إلا وقد خرج علينا أقوام مثل العفاريت، فوثبوا

علينا وركبوا فوق أكتافنا وكانوا نحو المائتين فقلنا لبعضنا ما يكفي هؤلاء أن يركبونا حتى يأكلونا أيضاً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولكن نحن نقوي عليهم السكر، ثم نقتلهم ونستريح منهم ونخلص من أيديهم، فنبهناهم وصرنا نملأ لهم تلك الجماجم ونسقيهم فيقولون هذا مر فقلنا لهم لأي شيء تقولون هو مر، وكل من قد قال ذلك إن لم يشرب منه عشر مرات فإنه يموت من يومه فخافوا من الموت وقالوا لنا اسقونا تمام العشر مرات، فلما شربوا العشر مرات سكروا وزاد عليهم السكر وهمدت قوتهم فجررناهم من أيديهم، ثم إننا جمعنا من حطب تلك الكروم شيئاً كثيراً وجعلنا حولهم وفوقهم وأوقدنا النار في الحطب ووقفنا من بعيد ننظر ما يكون منهم ثم قدمنا إليهم بعد أن خمدت النار فرأيناهم صاروا كوم رماد فحمدنا الله تعالى الذي خلصنا منهم وخرجنا من تلك الجزيرة وطلبنا ساحل البحر، ثم افترقنا عن بعضنا فأما أنا واثنان من المماليك فمشينا حتى وصلنا إلى غابة كثيرة الأشجار فاشتغلنا بالأكل، وإذا بشخص طويل القامة طويل اللحية طويل الأذنين بعينين كأنهما مشعلان وقدامه غنم كثيرة يرعاها وعنده جماعة أخرى في كيفيته. فلما رآنا استبشر وفرح ورحب بنا وقال أهلاً وسهلاً، تعالوا عندي حتى أذبح لكم شاة من هذه الأغنام وأشويها وأطعمكم فقلنا له وأين

موضعك فقال قريب من هذا الجبل، فاذهبوا إلى هذه الجهة حتى تروا مغرة فادخلوا فإن فيها ضيوفاً كثيرين مثلكم، فروحوا واقعدوا حتى نجهز لكم الضيافة فاعتقدنا أن كلامه حق فسرنا إلى تلك الجهة ودخلنا تلك المغارة، فرأينا الضيوف التي فيها كلهم عمياناً، فحين دخلنا عليهم قال واحد منهم أنا مريض وقا الآخر أنا ضعيف، فقلنا لهم أي شيء هذا القول الذي تقولونه؟

وما سبب ضعفكم ومرضكم فقالوا لنا من أنتم فقلنا لهم نحن ضيوف، قالوا لنا ما الذي أوقعكم في يد هذا الملعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هذا غول يأكل بني آدم وقد أعمانا ويريد أن يأكلنا، فقلنا لهم كيف أعماكم هذا الغول فقالوا لنا: في هذا الوقت يعميكم مثلنا، فقلنا لهم وكيف يعمينا فقالوا لنا إنه يأتيكما بأقداح من اللبن ويقول لكم: أنتم تعبتم من السفر فخذوا هذا اللبن واشربوا فحين تشربوا منه تصيروا مثلنا، فقلت في نفسي ما بقي لنا خلاص إلا بحيلة فحفرت حفرة في الأرض وجلست عليها،ثم بعد ساعة دخل الملعون الغول علينا ومعه أقداح من اللبن،فناولني قدحاً وناول من معي كل واحد قدحاً وقال لنا أنتم جئتم من البر عطاشاً فخذوا هذا اللبن واشربوا منه حتى أشوي لكم اللحم، فأما أنا فأخذت القدح وقربته من فمي ودلقته في الحفرة وصحت آه قد راحت عيني وعميت

وأمسكت عيني بيدي وصرت أبكي وأصيح وهو يضحك ويقول لا تخف وأما الاثنان رفيقاي فإنهما شربا اللبن فعميا.فقام الملعون من وقته وساعته وأغلق باب المغارة وقرب من وجس أضلاعي فوجدني هزيلا وما عليّ شيء من اللحم فجسّ غيري فرآه سمينا ففرح. ثم ذبح ثلاثة أغنام وسلخها وجاء بأسياخ من الحديد ووضع فيها لحم الأغنام ووضعها على النار وشواه وقدمه إلى رفيقي فأكلا وأكل معهما، ثم جاء بزق مآن خمرا وشربه ورقد على وجهه وشخر. فقلت في نفسي: إنه غرق في النوم وكيف أقتله؟ ثم تذكرت الأسايخ، فأخذت منها سيخين ووضعتهما في النار وصبرت عليهما حتى صارا مثل الجمر، ثم قمت وشددت وسطي ونهضت على أقدامي وأخذت السيخين الحديد بيدي وتقرّبت من الملعون وأدخلتهما في عينيه وأتكأت عليهما بقوّتي، فنهض من حلاوة الروح قائما على قدميه وأراد أن يمسكني بعد أن عمي فهربت منه داخل المغارة وهو يسعي خلفي. فقلت للعميان الذين عنده: كيف العمل مع هذا الملعون؟ فقال أحدهم: يا ساعد انهض واصعد إلى هذه الطاقة تجد فيها سيفاً صقيلاً فخذه وتعال عندي حتى أقول لك كيف تعمل فصعدت إلى الطاقة وأخذت السيف، وأتيت عند ذلك الرجل فقال خذه وأضربه في وسطه فإنه يموت في الحال، فقمت وجريت خلفه وقد تعب من

الجري فجاء إلى العميان ليقتلهم فجئت إليه وضربته بالسيف في وسطه فصار نصفين، فصاح علي وقال لي يا رجل حيث أردت قتلي فاضربني ضربة ثانة فهممت أن أضربه ضربة ثانية، فقال الذي دلني على السيف لا تضربه ضربة ثانية فإنه لا يموت بل يعيش ويهلكنا، فامتثلت أمر ذلك الرجل ولم أضربه، فمات الملعون فقال لي الرجل، قم افتح المغارة ودعنا نخرج منها لعل الله يساعدنا ونستريح من هذا الموضع. فقلت له ما بقي علينا ضرر،بل نستريح ونذبح من هذه الأغنام ونشرب من هذا النبيذ لأن البر طويل، فأقمنا في هذا المكان مدة شهرين ونحن نأكل من هذه الأغنام ومن هذه الفواكه.فاتفق أننا جلسنا على شاطيء الجزيرة يوما من الأيام فرأينا مركبا كبيرة تلوح في البحر، فأشرنا إلى أهلها وصحنا عليهم، فخافوا من ذلك الغول وكانوا يعرفون أن هذه الجزيرة فيها غول يأكل الآدميين فطبلوا الهروب، فأشرنا إليهم بفاضل عمايمنا وقربنا منهم وصرنا نصيح عليهم. فقال واحد من الركاب وكان حديد البصر: يا معشر الركاب، إني أرى هذه الأشباح آدميين مثلنا وليس عليهم زي الغيلان. ثم إنهم ساروا جهتنا قليلا إلى أن قربوا منا، فلما تحقّقوا أننا آدميون سلّموا علينا فرددنا عليهم السلام و بشّرناهم بقتل الغول الملعون فشكرونا. ثم إننا تزودنا من الجزيرة بشيء من الفواكه التي فيها، ثم

نزلنا المركب وسار بنا في ريح طيبة مدة ثلاثة أيام،وبعد ذلك سارت علينا ريح وازداد ظلام الجو، فما كان غير ساعة واحدة حتى جذبت الريح المركب في جبل فانكسر وتمزقت ألواحه فقدّر الله العظيم أني تعلقت بلوح منه فركبته فسار بي يومين، وقد أتت بي ريح طيبة فسرت فوق اللوح أقذف برجلي ساعة زمانية حتى أوصلني الله تعالى إلى البر بالسلامة فطلعت إلى هذه المدينة وقد صرت غريباً فريداً وحيداً لا أدري ما أصنع وقد أضرني الجوع وحصل لي الجهد الأكبر، فأتيت إلى سوق المدينة وقد تواريت وقلعت القباء وقلت في نفسي أبيعه وآكل بثمنه حتى يقضي الله ما هو قاض ثم إني يا أخي أخذت القباء في يدي والناس ينظرونه ويتزايدون في ثمنه حتى أتيت أنت ونظرتني وأمرت بي إلى

القصر فأخذني الغلمان وسجنوني ثم إنك تذكرتني بعد هذه المدة فأحضرتني عندك وقد أخبرتك بما جرى لي والحمد لله على الاجتماع. فلما سمع سيف الملوك، وتاج الملوك أبي دولة خاتون حديث الوزير ساعد تعجبا من ذلك عجباً شديداً وقد أعد تاج الملوك أبو دولة خاتون مكاناً مليحاً لسيف الملوك وأخيه وصارت دولة خاتون تأتي لسيف الملوك وتتحدث معه وتشكره على إحسانه فقال الوزيرساعد: أيتها الملكة المرادمنك المساعدة على بلوغ غرضه،فقالت:

نعم أسعى في مراده حتى يبلغ مراده إن شاء الله تعالى ثم التفت إلى سيف الملوك وقالت له طب نفساً وقر عيناً.هذا ما كان من أمر سيف الملوك ووزيره ساعد.

وأما ما كان من أمر الملكة بديعة الجمال، فإنها وصلت إليها الأخبار برجوع أختها دولة خاتون إلى أبيها ومملكتها فقالت لابد من زيارتها والسلام عليها في زينة بهية وحلي وحلل فتوجهت إليها، فلما قربت من مكانها قابلتها الملكة دولة خاتون وسلمت عليها، وعانقتها وقبلتها بين عينيها وهنتها الملكة بديعة الجمال بالسلامة ثم جلستا تتحدثان، فقالت بديعة الجمال لدولة خاتون أي شيء جرى لك في الغربة، فقالت دولة خاتون يا أختي لا تسأليني جرى لي من الأمور يا ما تقاسي الخلائق من الشدائد فقالت لها بديعة الجمال وكيف ذلك؟ قالت: يا أختي إني كنت في القصر المشيد وقد احتوى علىّ فيه ابن الملك الأزرق ثم حدثتها ببقية الحديث من أوله إلى آخره وحديث سيف الملوك وما جرى له في القصر وما قاسى من الشدائد والأهوال حتى وصل إلى القصر المشيد وكيف قتل ابن الملك الأزرق، وكيف قلع الأبواب وجعلها فلكاً لها مجاذف وكيف دخل إلى ههنا فتعجبت بديعة الجمال ثم قالت: والله يا أختي إن هذا من أغرب الغرائب فقالت دولة خاتون: أريد أن أخبرك بأصل حكايته لكن يمنعني

الحياء من ذلك فقالت لها بديعة الجمال :ما سبب الحياء وأنت أختي ورفيقتي وبيني وبينك شيء كثير، وأنا أعرف أنك ما تطلبين إلا الخير فمن أي شيء تستحين مني فأخبريني بما عندك ولا تستحي مني ولا تخفي عني

شيئاً من ذلك، فقالت لها دولة خاتون: إن صورتك في القباء الذي أرسله أبوك إلى النبي سليمان بن داود عليهما السلام، فلم يفتحه ولم ينظر ما فيه بل أرسله إلى الملك عاصم بن صفوان ملك مصر في جملة الهدايا والتحف التي أرسلها إليه والملك عاصم أعطاه لولده سيف الملوك قبل أن يفتحه، فلما أخذه سيف الملوك فتحه وأراد أن يلبسه رأى فيه صورتك فعشقها وخرج في طلبك وقاسى هذه الشدائد كلها من أجلك.فقالت بديعة الجمال وقد احمر وجهها وخجلت من دولة خاتون: إن هذا شيء لا يكون أبداً، فإن الإنس لا يتفقون مع الجان فصارت دولة خاتون تصف لها سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته ولم تزل تثني عليه وتذكر لها حتى قالت: يا أختي لأجل الله تعالى ولأجلي تحدثي معه ولو كلمة واحدة، فقالت بديعة الجمال: إن هذا الكلام الذي تقولينه لا أسمعه ولا أطيعك فيه وكأنها لم تسمع منها شيئاً ولم يقع في قلبها شيء من محبة سيف الملوك وحسن صورته وسيرته وفروسيته ثم إن دولة خاتون صارت تتوسل

إليها وتقبل رجليها وتقول: يا بديعة الجمال بحق اللبن الذي رضعناه أنا وأنت وبحق النقش الذي على خاتم سليمان عليه السلام أن تسمعي كلامي هذا فإني تكفلت له في القصر المشيد بأني أريه وجهك فبالله عليك أن تريه صورتك مرة واحدة لأجل خاطري وأنت الأخرى تنظرينه وصارت تبكي لها تتوسل إليها وتقبل يديها ورجليها حتى رضيت وقالت: لأجلك أريه وجهي مرة واحدة، فعند ذلك طاب قلب دولة خاتون وقبلت يديها ورجليها وخرجت وجاءت إلى القصر الأكبر الذي في البستان وأمرت الجواري أن يفرشنه وينصبن فيه تختاً من الذهب، ويجعلن أواني الشراب مصفوفة، ثم إن دولة خاتون قامت ودخلت على سيف الملوك وساعد وزيره وهما جلسان في مكانيهما وبشرت سيف الملوك ببلوغ اربه وحصول مراده وقالت له: توجه إلى البستان أنت وأخوك وادخلا القصر واختفيا عن أعين الناس بحيث لا ينظركما أحد ممن في القصر حتى أجيء أنا وبديعة الجمال.فقام سيف الملوك وساعد وتوجها إلى المكان الذي دلتهما عليه دولة خاتون فلما دخلاه رأيا تختاً من الذهب منصوباً وعليه الوسائد وهناك الطعام والشراب فجلسا ساعة من الزمان، ثم إن سيف الملوك تذكر معشوقته فضاق صدره وهاج عليه الشوق والغرام، فقام ومشى حتى خرج من دهليز القصر فتبعه أخوه ساعد

فقال له: يا أخي اقعد أنت مكانك ولا تتبعني حتى أجيء إليك، فقعد ساعد ونزل سيف الملوك ودخل البستان وهو سكران من خمر الغرام وحيران من فرط العشق والهيام وقد هزه الشوق وغلب عليه الوجد.ثم اجتمع سيف الملوك وساعد أخوه وصارا يتفرجان في البستان ويأكلان من الفواكه. هذا ما كان من أمر ساعد وسيف الملوك، وأما ما كان من أمر دولة خاتون فإنها لما أتت هي وبديعة الجمال إلى القصر دخلتا فيه بعد أن أتحفته الخدام بأنواع الزينة وفعلوا فيه جميع ما أمرتهم به دولة خاتون وقد أعدوا لبديع الجمال تختاً من الذهب لتجلس عليه، فلما رأت بديعة الجمال ذلك التخت جلست عليه وكان بجانبها طاقة تشرف على البستان وقدا أتت الخدام بأنواع الطعام الفاخرة فأكلت بديعة

الجمال هي ودولة خاتون وصارت دولة خاتون تلقمها حتى اكتفت ثم دعت بأنواع الحلويات فأحضرتها الخدام وأكلتا منها بحسب الكفاية وغسلتا أيديهما، ثم إنها هيأت الشراب وآلات المدام وصفت الأباريق والكاسات وصارت دولة خاتون تملأ وتسقي بديعة الجمال ثم تملأ الكأس وتشرب هي ثم إن بديعة الجمال نظرت من الطاقة التي بجانبها إلى ذلك البستان ورأت ما فيه من الأثمار والأغصان، فلاحت منها التفاتة إلى جهة سيف الملوك ينشد الأشعار وهو يذري

الدموع الغزار، فلما نظرته نظرة أعقبتها تلك النظرة ألف حسرة. فالتفتت إلى دولة خاتون وقد لعب الخمر بأعطافها وقالت لها يا أختي من هذا الشاب الذي أراه في البستان وهو حائر ولهان كئيب فقالت لها دولة خاتون هل تأذنين في حضوره عندنا حتى نراه قالت لها إن أمكنك أن تحضريه فاحضريه فعند ذلك نادته دولة خاتون وقالت له يا ابن الملك اصعد إلينا واقدم بحسنك وجمالك علينا فعرف سيف الملوك صوت دولة خاتون فصعد إلى القصر، فلما وقع نظره على بديعة الجمال خر مغشياً عليه، فرشت عليه دولة خاتون قليلاً من ماء الورد فأفاق من غشيته ثم نهض وقبل الأرض قدام بديعة الجمال فبهتت من حسنه وجماله وقالت دولة خاتون: اعلمي أيتها الملكة أن هذا سيف الملوك الذي كانت نجاتي بقدرة الله على يديه وهو الذي جرى عليه كامل المشقات من أجلك وقصدي أن تشمليه بنظرك، فقامت بديعة الجمال وقد ضحكت وقالت من بقي بالعهود حتى بقي بها هذا الشاب لأن الانس ليس لهم مودة فقال سيف الملوك أيتها الملكة إن عدم الوفاء لا يكون عندي أبداً وما كل الخلق سواء.

فقالت له بديعة الجمال يا ابن الملك إني أخاف أن أقبل عليك بالكلية فلا أجد منك ألـــفة ولا محبة فإن الانس ربما كان خيرهم

قليلاً وغدرهم جليلاً ..فقال لها سيف الملوك ويا عزيزتي ما خلق الله كل الإنس سواء وأنا إن شاء الله أفي بالعهد وسوف تبصرين ما أفعل موافقاً لما أقول والله على ما أقول وكيل، فقالت له بديعة الجمال اقعد واطمئن واحلف لي على قدر دينك ونتعاهد على أننا لا نخون بعضنا ومن خان صاحبه ينتقم الله تعالى منه فلما سمع سيف الملوك منها ذلك الكلام قعد ووضع كل منهما يده في يد صاحبه وتحالفا أن كلاً منهما لا يختار على حبه أحد من الإنس ولا من الجن ثم إنهما تعانقا ساعة زمانية وتباكيا من شدة فرحهما.

وبعد أن تحالفت بديعة الجمال هي وسيف الملوك قام سيف الملوك يمشي وقامت بديعة الجمال تمشي أيضاً ومعها جاريتها حالة شيئاً من الأكل وقنينة ملآنة خمراً ثم قعدت بديعة الجمال ووضعت الجارية بين يديها الأكل والمدام فلم تمكثها غير ساعة إلا وسيف الملوك قد أقبل فلاقته بالسلام وتعانقا وقعدا يأكلان ويشربان مدة ساعة، فقالت بديعة الجمال يا ابن الملك إذا دخلت بستان ارم ترى خيمة كبيرة منصوبة وهي من أطلس أحمر وبطانتها من حرير أخضر فادخل الخيمة وقوّ قلبك فإنك ترى عجوزاً جالسة على تخت من الذهب الأحمر مرصع بالدر والجواهر فإذا دخلت فسلم عليها بأدب واحتشام وانظر إلى جهة التخت تجد تحته نعالاً منسوجة بقضبان

الذهب مزركشة بالمعادن فخذ تلك النعل وقبلها وضعها على رأسك،ثم حطها تحت إبطك اليمين وقف أمام العجوز وأنت ساكت مطرق الرأس فإذا سألتك وقالت لك من أين جئت، وكيف وصلت إلى هنا ومن عرفك هذا المكان؟ ومن شأن أي شيء أخذت هذه النعال فاسكت أنت حتى تدخل جاريتي هذه، وتتحدث معها وتستعطفها عليك وتسترضي خاطرها بالكلام، لعل الله تعالى يعطف قلبها عليك وتجيبك ما تريد، ثم إنها نادت الجارية وكان اسمها مرجانة وقالت لها بحق محبتي أن تقضي هذه الحاجة في هذا اليوم ولا تتهاوني في قضيتها في هذا اليوم فأنت حرة لوجه الله تعالى،ولك الإكرام ولا يكون عندي أعز منك ولا أظهر سري إلا عليك، فقالت يا سيدتي ونور عيني قولي لي ما حاجتك حتى أقضيها لك على رأسي وعيني، فقالت لها أن تجعلي هذا الأنسي على أكتافك وتوصليه إلى بستان ارم عند جدتي أم أبي، وتوصليه إلى خيمتها وتحتفظي عليه، وإذا دخلت الخيمة أنت وإياه ورأيته أخذ النعال وخدمها وقالت له من أين أنت ومن أي طريق أتيت ومن أوصلك إلى هذا المكان، ومن أي شيء أخذت هذه النعال وأي شيء حاجتك حتى أقضيها لك، فعند ذلك ادخلي بسرعة وسلمي عليها وقولي لها، يا سيدتي أنا التي جئت به هنا وهو ابن ملك مصر وهو الذي

ذهب إلى القصر المشيد وقتل ابن الملك الأزرق وخلص الملكة دولة خاتون وأوصلها إلى أبيها سالمة، وقد أوصلته إليك لأجل أن يخبرك ويبشرك بسلامتها فتنعمي عليه، ثم بعد ذلك قولي لها بالله عليك يا سيدتي أما هذا الشاب مليح يا سيدتي فتقول نعم فعند ذلك قولي لها يا سيدتي إنه كامل العرض والمروءة والشجاعة وهو صاحب مصر وملكها، وقد حوى سائر الخصال الحميدة فإذا قالت لك أي شيء حاجته؟ فقولي لها سيدتي تسلم عليك، وتقول لك إلى متى هي قاعدة في البيت عازبة بلا زواج فقد طالت عليها المدة فما مرادكم بعدم زواجها ولأي شيء ما تزوجينها في حياتك وحياة أمها مثل البنات فإذا قالت لك وكيف نعمل في زواجها فإن كانت هي تعرف أحداً ووقع في خاطرها أحد تخبرنا عنه، ونحن نعمل لها على مرادها على غاية ما يمكن. فعند ذلك قولي لها يا سيدتي إن ابنتك تقول لك إن النبي سليمان عليه السلام أرسل القباء الذي فيه صورتي هدية لملك مصر فأعطاه لولده فرأى صورتي منقوشة فيه،فعشقني وترك ملك أبيه وأمه وأعرض عن الدنيا وما فيها،وخرج هاجعاً في الدنيا على وجهه وقاسى أكبر الشدائد والأهوال من أجلي.

ثم إن الجارية حمــلت سيف الملوك وقالت له غمض عينيك ففعل

فطارت به إلى الجو ثم بعد ساعة قالت يا ابن الملك افتح عينيك ففتح فنظر البستان وهو بستان ارم، فقالت له مرجانة ادخل يا سيف الملوك هذه الخيمة فذكر الله ودخل ومد عينيه بالنظر في البستان فرأى العجوز قاعدة على التخت وفي خدمتها الجواري فقرب منها بأدب واحتشام وأخذ النعال وقبلها وفعل ما وصفته له بديعة الجمال، فقالت له العجوز من أنت ومن أين جئت ومن أين أقبلت ومن أي البلاد أنت ومن جاء بك إلى هذا المكان ولأي شيء أخذت هذه النعال وقبلتها ومتى قلت لي حاجة ولم أقضها لك،فعند ذلك دخلت الجارية مرجانة وسلمت عليها بأدب واحتشام، ثم تحدثت جارية بديعة الجمال الذي قالته لها، فلما سمعت العجوز هذا الكلام صرخت عليها واغتاظت منها وقالت من أين يحصل بين الإنس والجن إتفاق. فقال سيف الملوك أنا أتفق معها وأكون غلامها وأموت على حبها وأحفظ عهدها ولا أنظر غيرها وسوف تنظرين صدقي وعدم كذبي وحسن مروءتي معها إن شاء الله تعالى، ثم إن العجوز تفكرت ساعة زمانية وهي مطرقة رأسها، ثم رفعت رأسها وقالت أيها الشاب هل تحفظ العهد والميثاق فقال لها نعم وحق من رفع السماء وبسط الأرض على الماء إني أحفظ العهد فعند ذلك قالت العجوز أنا أقضي لك حاجتك إن

شاء الله تعالى ولكن رح في هذه الساعة إلى البستان وتفرج فيه وكل من الفواكه التي لا نظير لها ولا في الدنيا مثلها، حتى أبعث إلى ولدي شهيال فيحضر وأتحدث معه في شأن ذلك وأزوجك بنته بديعة الجمال، فطب نفساً فإنها تكون زوجة لك يا سيف الملوك فلما سمع منها ذلك الكلام شكرها وقبل يديها ورجليها وخرج من عندها متوجهاً إلى البستان، وأما العجوز فإنها التفتت إلى تلك الجارية وقالت لها اطلعي فتمشي على ولدي شهيال وانظريه في أي الأقطار والأماكن وأحضريه عندي فراحت الجارية وفتشت على الملك شهيال فاجتمعت به وأحضرت عند أمه هذا ما كان من أمرها.

وأما ما كان من أمر سيف الملوك فإنه صار يتفرج في البستان، وإذا بخمسة من الجن وهم من قوم الملك الأزرق قد نظروه، فقالوا من أين هذا ومن جاء به إلى هذا المكان ولعله الذي قتل ابن الملك الأزرق،ثم قالوا لبعضهم إننا نحتال عليه بحيلة ونسأله ونستخبر منه، ثم صاروا يتمشون قليلاً قليلاً إلى أن وصلوا إلى سيف الملوك في طرف البستان، وقعدوا عنده وقالوا له أيها الشاب المليح إنك لم تقصر في قتل ابن الملك الأزرق وخلاص دولة خاتون منه فإنه كلب غدار قد مكر بها ولولا أن قيضك الله لها لما خلصت أبداً وكيف قتلته فنظر إليهم سف الملوك وقال لهم قد قتلته بهذا الخاتم الذي في إصبعي

فثبت عندهم أنه هو الذي قتله فقبض اثنان على يديه واثنان على رجليه والآخر على فمه حتى لا يصيح فيسمعه قوم الملك شهيال فينقذونه من أيديهم، ثم إنهم حملوه وطاروا به، ولم يزالوا طائرين حتى نزلوا عند ملكهم وأوقفوه بين يديه وقالوا يا ملك الزمان قد جئناك بقاتل ولدك، فقال وأين هو قالوا هذا فقال له الملك الأزرق هل قتلت ولدي وحشاشة كبدي ونور بصري بغير حق وبغير ذنب فعله معك فقال له سيف الملوك نعم أنا قتلته ولكن لظلمه وعدوانه لأنه كان يأخذ أولاد الملوك ويذهب بهم إلى بئر المعطلة والقصر المشيد ويفرق بينهم وبين أهليهم ويفسق فيهم، وقتلته بهذا الخاتم الذي في إصبعي وعجل الله بروحه إلى النار وبئس القرار فثبت عند الملك الأزرق أن هذا هو قاتل ولده بلاشك، فعند ذلك دعا وزيره وقال له هذا قاتل ولدي ولا محالة من غير شك فماذا تشير في أمره فهل أقتله أقبح قتلة وأعذبه أصعب عذاب أو كيف أعمل فقال الوزير الأكبر اقطع منه عضواً، وقال آخر اضربه كل يوم ضرباً شديداً، وقال آخر اقطعوا وسطه، وقال آخر اقطعوا أصابعه جميعاً

واحرقوها بالنار، وقال آخر اصلبوه، وصار كل واحد منهم يتكلم بحسب رأيه، وكان عبد الملك الأزرق أمير كبير له خبرة بالأمور ومعرفة بأحوال الدهور فقال له يا ملك الزمان إني أقول لك كلاماً

والرأي لك في سماع ما أشير به عليك وكان هو مشير مملكته ورئيس دولته وكان الملك يسمع كلامه ويعمل برأيه ولا يخالفه في شيء فقام على قدميه وقبل الأرض بين يديه وقال له يا ملك الزمان إذا أشرت عليك برأي في شأن هذا الأمر هل تتبعه وتعطيني الأمان فقال له الملك بين رأيك وعليك الأمان.

فقال يا ملك إن أنت قتلت هذا ولم تقبل نصحي ولم تعقل كلامي فإن قتله في هذا الوقت غير صواب لأنه تحت يدك وفي حماك وأسيرك ومتى طلبته وجدته وتفعل به ما تريد، فاصبر يا ملك الزمان فإن هذا قد دخل بستان ارم وتزوج بديعة الجمال بنت الملك شهيال وصار منهم واحد وجماعتك قبضوا عليه وأتوا به إليك وما أخفى حاله منهم ولا منك، فإذا قتلته فإن الملك شهيال يطلب ثأره منك ويعاديك ويأتيك بالعسكر من أجل بنته ولا مقدرة لك على عسكره وليس لك به طاقة فسمع منه ذلك وأمر بسجنه هذا ما جرى لسيف الملوك. وأما ما كان من أمر جدة بديعة الجمال فإنها لما اجتمعت بولدها شهيال أرسلت الجارية تبحث على سيف الملوك فلم تجده، فرجعت إلى سيدتها وقالت ما وجدته في البستان فأرسلت إلى عمال البستان وسألتهم عن سيف الملوك، فقالوا نحن رأيناه قاعداً تحت شجرة، وإذا بخمسة أشخاص من جماعة الملك

الأزرق نزلوا عنده وتحدثوا معه ثم إنهم حملوه وسدوا فمه وطاروا به وراحوا، فلما سمعت جدة بديعة الجمال ذلك الكلام لم يهن عليها واغتاظت غيظاً شديداً وقامت على أقدامها وقالت لابنها الملك شهيال كيف تكون ملكاً وتجيء جماعة الملك الأزرق إلى بستاننا ويأخذون ضيفنا ويروحون به سالمين وأنت بالحياة وصارت تحرضه وتقول لا ينبغي أن يتعدى علينا أحد في حياتك، فقال لها يا أمي إن هذا الإنسي قتل ابن الملك الأزرق وهو جني فرماه الله في يده فكيف أذهب إليه وأعاديه من أجل الإنسي فقالت له أمه إذهب إليه واطلب منه ضيفنا فإن كان بالحياة وسلمه إليك فخذه وتعال وإن كان قتله فأمسك الملك بالحياة وأولاده وحريمه وكل من يلوذ به من أتباعه وائتني بهم بالحياة حتى أذبحهم بيدي وأخرب دياره وإن لم تفعل ما أمرتك به لا أجعلك من حل من لبني والتربية التي ربيتها لك تكون حراما.فعند ذلك قام الملك شهيال وأمر عسكره بالخروج، وتوجه إليه كرامة لأمه ورعاية لخاطرها وخواطر أحبابها ولأجل شيء كان مقدراً في الأزل، ثم إن شهيال سافر بعسكره ولم يزالوا مسافرين حتى وصلوا إلى الملك الأزرق، وتلاقى العسكران فانكسر الملك الأزرق هو وعسكره وأمسكوا أولاده كباراً وصغاراً وأرباب دولته وأكابرها وربطوهم وأحضروهم بين يدي الملك شهيال

فقال له يا أزرق أين سيف الملوك الإنسي الذي هو ضيفي.فقال له الملك الأزرق يا شهيال أنت جني وأنا جني وهل لأجل إنسي قتل ولدي تفعل هذه الفعال وهو قاتل ولدي وحشاشة كبدي وكيف عملت هذه الأعمال كلها وأهرقت دم كذا وكذا ألف جني فقال له خل عنك هذا الكلام فإن كان هو بالحياة فأحضره، وأنا أعتقك وأعتق كل من قبضت عليه من أولادك وإن كنت قتلته فأنا أذبحك أنت وأولادك، فقال له الملك الأزرق يا ملك هل هذا أعز عليك من ولدي، فقال له الملك شهيال وإن ولدك ظالم لكونه يخطف أودلا الناس وبنات الملوك، ويضعهم في القصر المشيد والبئر المعطلة ويفسق فيهم، فقال له الملك الأزرق إنه عندي ولكن أصلح بيننا وبينه فأصلح بينهم وخلع عليهم وكتب بين الملك الأزرق وبين سيف الملوك حجة من جهة قتال ولده وتسلمه شهيال وضيفهم ضيافة مليحة، وأقام الملك الأزرق عنده هو وعسكره ثلاثة أيام، ثم أخذ سيف الملوك وأتى إلى أمه ففرحت به فرحاً شديداً وتعجب شهيال من حسن سيف الملوك وكماله وجماله وحكى له سيف الملوك حكايته من أولها إلى آخرها وما وقع له مع بديعة الجمال ثم إن الملك شهيال قال يا أمي حيث رضيت أنت وهي بذلك فسمعاً وطاعة لكما أمر فيه رضاك فخذيه وروحي به إلى سردنيب واعملي هناك فرحاً عظيماً، فإنه شاب مليح

قاسى الأهوال من أجلها، ثم إنها سافرت هي وجواريها إلى أن وصلن إلى سردنيب ودخلن البستان الذي رأته دولة خاتون ونظرته بديعة الجمال بعد أن مضين إلى الخيمة واجتمعن وحدثتهن العجوز بما جرى من الملك الأزرق وكيف كان أشرف على الموت في سجن الملك الأزرق وليس في الإعادة إفادة، ثم إن الملك سيف الملوك قال له يا ملك العفو أنا أطلب منك حاجة وأخاف أن تردني عنها خائباً. فقال له تاج الملوك لو طلبت أي شيء ما منعته عنك لما فعلت من الجميل فقال سيف الملوك أريد أن تزوج دولة خاتون بأخي ساعد حتى نصير كلنا غلمانك فقال تاج الملوك سمعاً وطاعة ثم إنه جمع أكابر دولته ثاني وعقد عقد ابنته خاتون على ساعد ولما خلصوا من كتب الكتاب نثروا الذهب والفضة وأمر أن يزينوا المدينة، ثم أقاموا الفرح ودخل سيف الملوك على بديعة الجمال ودخل ساعد على دولة خاتون في ليلة واحدة ولم يزل سيف الملوك يختل ببديعة الجمال أربعين يوماً فقالت له في بعض الأيام يا ابن الملك هل في قلبك حسرة على شيء، فقال سيف الملوك حاشى لله قد قضيت حاجتي وما بقي في قلبي حسرة أبداً ولكن قصدي الاجتماع بأبي وأمي بأرض مصر وانظر هل هما طيبين أم لا فأمرت جماعة من خدمها أن يوصلوه هو وساعد إلى أرض مصر، فوصلوها واجتمع سيف الملوك بأبيه وأمه

وكذلك ساعد وقعدا عندهم جمعة ثم إن كلاً منهما ودع أباه وأمه وسارا إلى جزيرة سردنيب وصارا كلما اشتاقا إلى أهلهما يروحان ويرجعان وعاش سيف الملوك هو وبديعة الجمال في أطيب عيش وأهنأه وكذا ساعد مع دولة خاتون إلى أن أتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت وقد خلق الخلق وقضى عليهم بالموت وهوالأول بلا إبتداء والآخر بلا إنتهاء سبحانه.

فراسة البدوي

أضاع رجل رفيقه مع بعير له في الصحراء، وظل ينشدهما طوال النّهار من غير جدوى،ثم لقي وقت العصر أعرابيا، ففرح بهذه المصادفة وسأله عمّ إذا كان قد رأي الرجل والبعير.فقال الأعرابي: هل كان رفيقك سمينا وأعرج؟فقال الرجل:نعم، وأين هو؟فقال الأعرابي: لا أدري أين هو،ولكن قل لي هل كان بيد رفيقك عصا؟ وهل كان البعير يحمل حِملا من التمر؟فكاد الرجل يطير فرحا وأجاب مسرع: نعم هو بنفسه رفيقي وبعيري،وقد انهكني التعب وأنا أنشدهما من غير جدوى في هذا الحر الشديد،بالله عليك دلني على محلهما، متى رأيتهما وأين ذهبا؟قال الأعرابي:انني لم أرهما قط...ولم أر إنسانا غيرك منذ البارحة..وإنما..فقاطعه الرجل غاضبا:أتمزح أم تهزأ؟هل تريد أن تخدعني؟ كيف تقول لي لم أر أحدا قط،وأنت تصف لي صاحبي وبعيري؟فأجابه الأعرابي بهدوء تام: نعم لم أره قط،ومع ذلك أعرف أنّه استراح مدة من الزّمن،ذلك قبل ثللث ساعات،فصاح الرجل وقد أعياه الصّبر: كيف كلّ ذلك إذا كنت لم تره؟فقال الأعرابي: لم أره بعيني،ولكنّي عرفته من آثاره..

ثم أمسك بيد الرجل وتقدّم به نحو آثار الأقدام الباقية على الرّمال. وقال له:انظر إلى هذه الآثار فهذه آثار قدم الرجل وهذه آثار خف

البعير وهذه آثار العصا،انظر إلى آثار قدمي الرجل تجد اليسري منهما أعمق وأكبر من اليمنى..أليس ذلك دليلا على أنّه كان أعرج؟ وقابل بين هذه الآثار آأثار قدمي أنا: أليست أعمق منها؟ ألا تفهم من ذلك أن الرجل كان أسمن منّي؟..

فدهش الرجل من هذه الاستدلالات،وصاح قائلا:كل ذلك حسن جدا ولكن قل كيف يمكنك أن تعرف أن البعير كان أعور والعّين لا تطأ الرّمل،ولا تترك أثرا في الأرض؟..

فضحك الأعرابي وقال: هذا صحيح إن العين لا تترك أثرا في الرّمال ولكنّها تركت أثرا في هذه الأعشاب:فانظر إلى هذا الكلأ وانتبه إلى آثار الأكل فيه وتعقب هذه الأثار، ألم تر أنّ المرعيّ منه في الجهة اليمنى فقط؟ ألم تفهم من ذلك أنّه كان أعور لا يرى إلّا الجهة اليمني؟فزاد استغراب الرجل. وسأله: والحِمل؟ والتّمر؟ هل يمكن أن يكون لهما آثار أيضا؟فتقدم الأعرابي نحو عشرين خطوة وقال: انظر إلى النمل في هذه البقعة ألم تر أنها تجمّعت تَروحُ وتَجيُ حول الدّبس، وهو عصارة التّمر،فأطرق الرجل مفكرا دَهِشا وصاح أخيرا: والسّاعة كيف يمكنك أن تعرفها؟فقال الأعرابي: انظر إلى هذه الآثار، ألم تفهم أن رفيقك كان قد استراح هنا والبعير معه؟..ولكن كيف عرفت أن ذلك كان قبل ثلاث ساعات.

فضحك الأعرابي مرة أخرى وقال: انظر إلى ظلّ النّخلة، أين هو الآن؟ هل تظن أن صاحبك ترك الظّلّ وجلس في الشمس؟ لا شك في أنّه استراح حيث كان الظّلّ،وأنا ابن البادية أعرف أن الظّلّ لا يتحوّل من مَحل هذه الآثار إلى المحَل الذي هو فيه الآن إلّا في نحو ثلاث ساعات. وبهذا عرفت أنّه ذهب من هنا قبل ثلاث ساعات.

صاحب شرطة

قال صاحب شرطة المأمون،و يُدعى العباس بن المسيب: كنت ذات يوم عند المأمون، وجيئ برجل مكبل. فقال لي أمير المؤمنين: (يا عباس)،فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين،قال: خذ هذا إلى دارك وأتني به غدا صباحا لأقطع رأسه..فأمرت الشرطة بنقله إلى داري،وامضيت بقية وقتي مع المأمون،ثم انصرفت إلى بيتي لأنام..وحين وصلت البيت قلت لأرى من يكون هذا الرجل؟جئته فقلت: من تكون أيها الرجل؟قال أنا من الشام وأهلها خير..قلت أتعرف فلان بن فلان؟ قال ومن أين تعرفه؟قلت له: لي معه قصة،قال لا أخبرك عنه إلا إذا قصصت ليي قصتك معه،قلت كنت صاحب شرطة في الشام فحصلت ثورة وقُتل الوالي وتدليت من الدار بزمبيل وحين وصلت الأرض فرّيت فالتجـأت إلى دار شخص لا عرفه وبقيت عنده أربعة شهور يقدم لي كل يوم طعاما شهيا وملابس نظيفة وأنا لا أعرفه وهو لا يعرفتي،وذات يوم قلت له أريد أهلي في العراق،فقال لي: حسنا،القافلة ستبحر بعد ثلاثة أيام وأنا أخبرك..وبعد ثلاثة أيام جاءني وقال لي: هيأ نفسك فالقافلة على أُهبة السفر وتركني،بدأت أفكر: قلت في نفسي وكيف لي بالسفر وأنا لا أملك مالا ولا نقيرا،وبينما كنت أفكر في هذا، عاد الرجل يحمل حزاما يسمى

هِميان وفيه سيف مُدلى،فقال هذا الهميان تمنطق به وفيه خمسمائة دينار وهي مصرفك في الطريق، وهذا الحسام سلاح لك، وهذه الفرس لتركبها،وهذا الخادم لخدمتك، وهذا البرذون(البغل) مُحمّل من نفائس الشام هدية منا لأهلك..وتلك والله مِنّة وأنا اتعقب أثره لعلي أفي ببعض هذه المِنّة،قال الرجل:أنا هو..

فقال العباس: فأبصرت في وجهه فإذا به صاحبي،فارسلت إلى حددٍ كسر قيده، وأدخلته الحمام، واغتسل والبسته ملابس نظيفة،وقلت له:هذه ألف دينار، وهذه فرسي خذها وأذهب، ودعنا أصارع المأمون..قال الرجل: والله لن أفعلها..قال العباس: لماذا؟قال الرجل: ذنبي عند المأمون عظيم وهو قاتلي لا محالة فإن ذهبت قتلك مكاني؛فلا أبرح..

قال العباس: فالححت عليه فلم يفعل،فقلت له: إذن أبقى هنا وأنا أذهب إلى المأمون التمسه، فإن أجابني فبها وإلا أرسلت إليك ليقطع رأسك،قال: هذه أقبلها،فقال العباس: فذهبت إلى البزاز واشتريت منه كفنا وابقيت الكفن معي إلى الصباح، وفي الصباح صليت الصبح،وجاءني رسول المأمون يطلب الرجل،فذهبت الى المأمون فرأيته يتمشّي في حديقة الدار،قال: أين الرجل؟عليّ عهد الله لو قلت فر قطع رأسك مكانه،قال العباس: قلت أسمع مني يا أمير

المؤمنين ولك أن تفعل بعدها ما تشاء،قال: قل،قال العباس: فقصصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها..فلمّا سمع المأمون القصة بكى،وقال: والله لا أعلم أيكم أكرم؟أهو الذي آواك وكرّمك دون معرفة؟أم أنت الذي أردت أن تفتديه بروحك بعد المعرفة؟! وأنا لا أريد أن أكون ألئمكما،فقد عفوت عن الرجل،احضره،فقال العباس: أنا طمع فيه..فقلت ذلك لا يكفي يا أمير المؤمنين،قال: بل،قلت: صِلوه..قال: وصلناه بخمسين ألف دينار،قلت: ذلك لا يكفي يا أمير المؤمنين،قال: لِما؟قلت: لأن ذنب الرجل كبير وهدايا الملوك على قدر ذنب الرعية، فأجزل له العطاء،قال: وصلناه بمائة ألف دينار،وولاية الشام وعفونا عنه، احضره،فلما حضر الرجل قبل العفو وصفح عن المال والولاية.وقال: أما المال فعندي ما يكفيني والولاية فيها ما صرت إليه..

سوء العاقبة

يحكي أنَّ شاباً بدوياً كانت توصيه أمه دائماً أن لا يصاحب (أبو نيتين) ..فقال لها كيف أعرف أن له نيتين يا أمي؟ قالت له:هو سيخبرك بأن له نيتين من تلقاء نفسه وبلسانه. ماتت أمه فحزن عليها، ثم قرر بأن يبيع البيت ويرحل عن البلدة فاشترى بعيرا وسلاحاً وأخذ باقي المال و غادر. وفي الطريق لقي رجل مصاب مكسور الساق يكاد يموت من العطش فنزل من البعير واسقاه الماء وفك عمامته وربط ساق الرجل وحمله على البعير وسار وفي اثناء الطريق أخذا يتبادلان أطراف الحديث فسأله الشاب:ما الذي اصابك وكيف اتيت إلى هنا؟ فقال:كنا في غزوة وأنهزمنا وأصبت في ساقي وهرب عني أصدقائي فأخذ الرجل المكسور يسأل الشاب عن حاله فأخبره..وقال له: إن أمي كانت توصيني دائما أن لا أصاحب أبو نيتين. فقال الرجل:أنا لي نيتين،فضحك الشاب وسارا معاً ووصلوا إلى بئر فقال المكسور دعني أنزل وأجلب الماء ..فقال الشاب: لا أنت مصاب أنا سأنزل فربط الحبل في عنق البعير ونزل البئر فملأ القربة ونزل في الثانية لسقي البعير فلما وصل ركوة البئر (الركوة صخرة بأسفل البئر بجانب الماء) قطع (أبو نيتين) الحبل ورماه على الشاب الذي قال له: يا أخي ماذا دها الحبل؟فقال الرجل: أنا

أخبرتك منذ البداية أن لي نيتين.. فقال له الشاب: حسنا البعير والسلاح والمال لك فقط أخرجني من البئر،قال الرجل: لتقتلني!قال الشاب: لك الله وأمانه إني لن اقتلك ،قال الرجل: لا،ثم أخذ البعير والسلاح والمال وسار تاركا الشاب المسكين في البئر وهو يتفكر في مقولة أمه بأن لا يصاحب أبو نيتين فلما حل الظلام وانتصف الليل فإذا بطيور تحط على طرف البئر فأخذت تتحدث مع بعضها فإذا هذين الغرابين من الجّن.

فقال الاول:فلان هل تعرف بنت الشيخ فلان المليحة؟قال الثاني:نعم،قال له:أتذكر بأن تقدم لخطبتها كثير من الرجال ورفضتهم،قال: نعم أذكر ذلك!قال: لقد عملت لها سحر عظيم فأصبحت كالمجنونة تقطع ثيابها وتصيح ولم يتقدم لخطبتها أحد وفك هذا السحر بسيط جدا،قال له: كيف؟ قال: يقرأون الفاتحة سبع مرات في ماء ويسقونها البنت فتشفى بإذن الله.

فقال الغراب الثاني: أنت لم تصنع شيء يذكر ياصديقي،هل تذكر مدينة الشيخ رباح المشهورة بالخضرة والمزارع والماء؟ قال:نعم قال:صنعت لها سحر عظيم فجففت ماء آبار وهي الآن خاوية على عروشها لا يسكنها أحد قال:كيف؟قال:سددت الماء بمجمع العيون في الــبئر الذي يقع تحت الجبل وهو مجمع العيون فأصبح جافا من

عملي وفك السحر بسيط جدا..فقال: كيف؟قال: يقرأون خواتيم سورة البقرة والمعوذتين في ماء ويصبونه على منبع الماء فينفك السحر ويعود يتدفق الماء.

وكان الشاب في أسفل البئر يسمع كلام الجّن، ولما طلع الصباح طارت الغرابان مرت قافلة بالبئر فأنزلو دلوه ،فأخذ الرجل الدلو فقطع ،فقالو ربما حيطان البئر قطعت الحبل، فأنزلو الدلو الثاني فقطعه والثالث فقطعه ،قال كبير القافلة: والله إن البئر فيها بلاءمن ينزل ليرى ماذا هناك؟..فتشجع أحدعم وقال: أنا انزل..فلما وصل ركوة البئر فإذا بشاب فقال: بسم الله ..أأنت جن أم إنس فقال الشاب : يا أخي أنا إنس وقصتي كذا وكذا ..فقال له الرجل: لماذا قطعت الدلو؟..قال: لو تعلقت بالدلو ورأيتموني لخفتم وتركتم الحبل فسقطت فمت ،فأخرج القوم الشاب من البئر وحكى لهم قصته فتحمدوا له السلامة..وقالوا له: إلى أين أنت ذاهب؟ قال: إلى بلدة الشيخ رباح (مدينة البنت المسحورة)فقالوا :نحن في طريقنا إليها فلما وصلوا كان من يستقبل الضيوف هو شيخ القبيلة(رباح) فلما جلسوا عنده وأكرمهم سمع الشاب صياح بالبيت قال: يا شيخ ما هذا الصياح؟قال الشيخ: هذه بنتي مريضة أصابها بلاء من منذ أربع سنوات ولم أجد حكيم ولا طبيب إلا وأتيته بها ولكن دون فائدة.

قال الشاب: ما الذي تعطيني إياه إن تسببت في شفاء بنتك بإذن الله؟ قال الشيخ: لك ماتريد،فقال الشاب: تزوجني إياها وتعطيني مالا،فقال الشيخ:أبشر لكن هل تقدر على ذلك؟ قال : بحول الله وقدرته،فقط أتوني ماء،وكانت البنت تصرخ وتمزق ثيابها فقرأ به ورش عليها وأسقاها ففاقت وأخذت تتستر ودخلت عند النساء فشفيت. فزوجها له أبوها وأعطاه مالا وبيت بجواريه. وبعد أن أقام الشاب أياما مع عروسه..سأل الشيخ عن طريق البلدة التي جف ماؤها،فقال الشيخ رباح: يا ولدي؛ماذا تريد من بلد ميت ليس فيه ماء،قال الشاب:لي حاجة هناك،ثم تجهّز وأخذ زوجته معه ورحل.فلما وصل البلدة،لم يجد فيها سوى ثلاثة بيوت وأما البقية فهجروها ويأتون بالماء من مسافات بعيدة فذهب إلى بيت الشيخ في البلدة،وقال له: ما الذي أصاب هذه الديار: قال الشيخ: كانت هذه الديار غنية بالماء والخيرات ومن أربع سنوات أصابها قحط وجفت مياه الآبار وهي كما ترى،فقال الشاب: ما لي إذا تسببت في رجوع ماء آبارها؟قال الشيخ: لك ماتريد لكن هل تقدر على ذلك؟فقال الشاب:أريد مزرعة ومال وبيت فقال له الشيخ لك ذلك،فقال الشاب:أين البئر الرئيسة (مجمع العيون)؟فقام معه الشيخ إلى موضع البئر وقال له: هنا،قال شاب: أتوني بماء فقرأ به آيات من القرآن

الكريم وصبه على منبع الماء فانفجر الماء كالنافورة وعاد الخير وأخذ مزرعته وعاش مكرم معزز عند الشيخ وأهل البلدة،وفي يوم من الأيام جاء للشاب ضيف،فإذا هو أبو نيتين،فعرفه الشاب وقال:يا فلان هل تذكرني؟

فقال أبو نيتين :لا،قال: أنا أبو نية الذي تركته في البئر،فاحمر وجه الرجل خجلا وخاف أن ينتقم منه الشاب،لكن الشاب أعطاه الأمان،عندها سأله الرجل قائلا: كيف أصبحت كما أرى؟فحكى الشاب قصته من أولها إلى آخرها..

فخرج أبو نيتين يطلب المبيت في البئر،فقال له الشاب: إلى أين ؟ قال: أطلب السفر فأنا في عجلة من أمري،قال له الشاب: يارجل انتظر وفي الصباح رباح،قال أبو نيتين: لا عليك يا هذا،لابد لي من أبيت في مقصودتي الليلة،ثم ودع مضيفه وذهب فلما وصل ونزل إلى ركوة البئر وجاء آخر الليل فإذا بالغرابين يحطان على البئر لأنهما يجتمعان عند هذه البئر كل نهاية عام فأخذا يتحدثان قال الأول:فلان هل تدري ماذا حل ببنت الشيخ رباح قال:ماذا؟ قال: لقد انفك السحر عنها.قال الاخر: وأنا أيضاً البلدة التي كنت أحبس الماء عنها رجع الماء لها وإنفك سحرها،ثم قال:والله يافلان بظني عندما كنا نتــحدث في تلك السنة أن إنسيّا ما كان في البئر،فقال

الآخر: ما رأيك أن ندفن هذه البئر المشؤمة؟ففوراً دفنا البئر فوق رأس أبونيتين...

طبيب الأميرة

يحكى أن في زمن من الأزمان،تزوج رجل حاد الطبع من فتاة طيبة مهذّبة، وكانت تلك الفتاة تؤدّي واجبها نحو زوجها على أتم وجه وتسهر على راحته كلمّا عاد من عمله في المساء. ولكن عبد الكريم وهذا اسمه كان يضربها إذا أمسى الليل،ويؤذيها بلسانه إذا أصبح الصباح، حتى جعل حياتها معه جحيما لا يطاق. وفي صباح أحد أيام الخريف، وقبل أن يذهب عبد الكريم إلى مزرعته ضرب زوجته كعادته ضربا شديدا،ثم خرج، وقد تركها غاضبة مغتاظة تقول في نفسها: كيف لها أن تصلح هذا الرجل، وبينما هي في هذه الحالة هيأ الله لها من هذا الضيق مخرجا، بأن مر بها فارسان من حرس السّلطان وطلبا كوبا من الماء، فبعد أن سقتهما سألتهما قائلة:

ما الذي جاء بكما إلى هذه القرية؟

فقال لها الفارس الأول: جئنا نبحث عن طبيب يعالج ابنة السلطان.

قالت لهما: وماذا ألم بابنة السلطان؟

قال لها الفارس الثاني: مالك تكثرين من السؤال هكذا؟

قالت له: ربما استطعت أن أقدم لكما بعض المساعدة.

قال الفارس الأول: لقد كانت ابنة السلطان تتلاعب بإبرة صغيرة وحدث أن وضـــعتها في فمها فوقفت الإبرة في حلقها ومنعتها الأكل

والشرب والكلام.

قالت لهما: إن حظكما حسن، وسأدلكما على الطّبيب الذي يمكنه أن يعالج ابنة السلطان.

فقال الفارس الثاني: وأين هو ذلك الطّبيب؟

قالت: إنّه زوجي، ويهو يعمل الآن في مزرعته خارج القرية.

قال الفارس الأول: أواثقة أنت ممّا تقولين؟

قالت له: نعم، اذهبا إليه، وإذا رفض أن يذهب معكما وقال إنّه لا يعرف شيّئا في الطّب فلا تصدّقاه واضرباه حتّى يعترف.

قال الفارس الثاني ضاحكا: إنّه علاج بسيط، هيّا بنا إليه يا أخي..

وقالت الفتاة في نفسها ضاحكة: أن زوجها سينال حسابا عسيرا جزاء ما قدّمت يداه.

خرج الفارسان من القرية يبحثان عن عبد الكريم ولّما وصلا اليه ،طلبا منه أن يرافقهما لمقابلة السّلطان، فخاف عبد الكريم واضطّرب، فلم يكن من الذين يقابلون السّلطان أو يتحدثون إليه في أي أمر من الأمور. ثم سأل الفارسين عن سبب المقابلة، فقالا له: (إنّ السّلطان قد عرف أنّك طبيب ماهر، ولهذا يدعوك لكي تعالج ابنته المريضة. فبهت عبد الكريم من هول المفاجأة–انّه لا يعرف شيئا في الطّب. ولم يحدث له أن عالج إنسانا قط، وإنّ عمله محصور في الزراعة والحصد

فقط،ولكن كيف يستطيع أن يتخلّص من هذا المأزق؟ ومرّت بذهنه أفكار كثيرة، وأخيرا جمع أطراف شجاعته وقال للفارسين: لن أرافقكما لأنني لا أستطيع علاج ابنة السلطان..فاقترب منه أحد الفارسين، ولكمه لكمة أطارت صوابه، فوقع على الأرض مغشيا عليه، ولمّا أفاق وجد الفارسين واقفين بالقرب منه، فاقشعر بدنه خوفا وقال: حسنا.. سأذهب معكما خذاني إلى أي مكان، وسأفعل كلّ ما تريدان..ثم تبع الفارسين ذليلا إلى قصر السّلطان.

ولمّا وصلوا القصر. ابتدر السّلطان قائلا: يهمني أيّها الطبيب أن تعمل كل ما تستطيع لعلاج الأميرة ولك عندي جائزة قيّمة إذا تمّ لك النجاح..فقال عبد الكريم: والله يا مولاي لا أعرف من الطّب شيئا..فدهش السّلطان ونظر إلى الفارسين نظرة حادّة، فقال أحدهما: لا تعجب يا مولاي. فقد تعوّد أن ينكر أنّه طبيب وسترى الآن كيف نضطّره إلى الاعتراف..وسحب كلّ من الفارسين سوطه؛وانهالا على عبد الكريم المسكين ضربا ولكما فصاح: أنا طبيب الأميرة، دعوني أعالجها–أنا طبيب الأميرة..فضحك السّلطان. وأمر الفارسين أن يوقفا عقابه. ثمّ طلب منه أن يدخل على الأميرة ليعالجها. دخل عبد الكريم غرفة الأميرة، واستطاع أن يعالجها قبل أن يصل إليها! فلقد كان يئن من ألم الضّرب، وكانت يداه ترتعشان، وعيناه

تتحركان بسرعة عجيبة. وكان يفتح فمه ويقفله من غير أن يتكلّم ومنظره وحركاته تعبث على الضحك. فما أن رأته الأميرة حتّى انفجرت ضاحكة. فوقعت الإبرة من حلقها فتكلّمت. ثم طلبت طعاما فأكلت.وعادت إلى حالتها الطّبيعيّة. سرّ السّلطان سرورا عظيما لشفاء ابنته. وقدّم لعبد الكريم كثيرا من الهدايا الثّمينة. ثمّ طلب منه أن يبقى معه بالقصر بعض الوقت. وشاع الخير في مدينة السّلطان. وتحدث النّاس عن الطّبيب الماهر الّذي عالج الأميرة، وتجمّع حول قصر السلطان في اليوم التّالي مئات المرضى طامعين في الشفاء على يدي الطّبيب عبد الكريم.نزل السّلطان إلى هؤلاء المرضى في ساحة القصر، يصحبه عبد الكريم ووراءهما الفارسان. ووقف المرضى ينتظرون حديث السّلطان. وتحدّث السّلطان. وبشّرهم أنّ عبد الكريم سيعالجهم جميعا بإذن الله، ولّما رأى عبد الكريم المرضى، وسمع كلام السّلطان، قال: هذا عدد كبير كيف أتصرّف مع هؤلاء جميعا ثم من قال انّني طبيب؟ وسمعه الفارسان فلكمه أحدهما لكمة قوية فاعتدل وقال: هيّا بنا إلى العمل هيّا بنا..وقف عبد الكريم وسط المرضى وقال: هل يسمح مولاي السّلطان بالانصراف؟ وأرجو أيضا أن ينصرف جميع الأصحاء وأن يبقى المرضى وحدهم..ولما انصرف السّلطان. أوقد عبد الكريم نارا عظيمة ثمّ قال للمرضى: سأضع كلاّ

منكم وسط هذه النّار الحامية وأتركه مدّة ثم أخرجه، وأدهن جسمه بمرهم معي فيعود سليما قويّا كما كان ان شاء الله..خاف المرضى وارتبكوا؛ ولم يتقدّم واحدا منهم للعلاج، وحينئذ أشار عبد الكريم إلى الرّجل منهم يبدو عليه الألم الشديد وقال له: تعال أنت نبدأ بك..فانزعج الرّجل وقال: سيّدي قد شُفيت، وصرت الآن قويّا وأجو أن تسمح لي بالانصراف. وخرج الرّجل يجري؛فقابله السّلطان وسأله عن حاله فقال له: لقد شُفيت يا مولاي، شُفيت،وهكذا فعل عبد الكريم ببقيّة المرضى؛فلم يجد منهم من كان مستعدا للمجازفة بحياته. وخرجوا جميعا وهم يقولون: لقد شُفينا..فزاد سرور السّلطان؛ وأعطى عبد الكريم هدايا كثيرة أخرى فقبلها عبد الكريم شاكرا وانصرف. عاد عبد الكريم إلى زوجته بعد هذه المحنّة القاسية وقد صُلح حاله وامتنع عن ضربها بعد أن ذاق ألم الضرّب؛ وعاشا بعد ذلك سعيدين مسرورين.

الفصل الثاني

قصص الأمثال

العصا من العصية

يحكى أن نزار بن معد لما حضرته الوفاة جمع بنيه مضر وإياد وربيعة وأنمار وقال يا بني القبة الحمراء لمضر والفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة والخادمة الشمطاء لأنمار ومجلس القومي ونديه لإياد يجلس فيه،فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فأسعوا للأفعى الجرهمي ومنزله بنجران،ولما اختلفوا في الميراث توجهوا إلى الأفعى الجرهمي فبينا هم في مسيرهم إليه إذ رأى مضر أثر كلأ قد رُعى فقال إن البعير الذي رعى هذا الكلأ لأعور وقال ربيعة إنه لأزور وقال إياد إنه لأبتر وقال أنمار أنه لشرود فساروا قليلاً فإذا برحل ينشد بعيره فسألهم عن البعير فقال مضر:أهو أعور؟ قال:نعم،وقال ربيع: أهو أزور ؟فقال: نعم،وقال إياد:أهو أبتر؟ فقال: نعم،وقال أنمار: أهو شرود؟فقال:نعم وهذه والله صفة بعيري فدلوني عليه فقالوا ولله ما رأيناه ، قال هذا والله الكذب تعلق بهم وقال كيف أصدقكم وأنت تصفون بعيري!..

فقرروا المسير إلى أرض نجران فلما نزلوا قال صاحب البعير إن هؤلاء قد أخذوا بعيري ووصفوا لي صفته.ثم قالوا لم نره فاختصموا إلى الأفعى ، فقال: كيف وصفتموه ولم تروه ؟ فقال مضر: رأيته رعى جانبًا وترك جانبًا فقلت أنه أعور ،وقال ربيعة: رأيت إحدى يديه

ثابتة الأثر والأخرى فاسدته فقلت أزور ، وقال إياد: عرفت أنه ابتر باجتماع بعره ولو كان له ذيل لمصع به وقال أنمار: عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى في المكان الملتف نبته فعلمت أنه شرود. فقال الأفعى للرجل ليسوا هم أصحاب بعيرك،ثم سألهم من أنتم فأخبروه بالذي أتى بهم إلية وقصوا عليه قصتهم وأخبرهم بما أوصى به أبوهم:

فقال القبة الحمراء يعنى كل مال أحمر من دنانير وذهب والإبل الحمر لمضر (فقيل مضر الحمراء) وصاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود وكل شيء أسود لربيعة، والخادم الشمطاء يعنى الماشية البلق لإياد (فقيل إياد الشمطاء) وقضى بالدراهم الفضية ومجلس القوم لأنمار،ثم أكرمهم وذبح لهم شاه وأتاهم بخمر وجلس لهم الأفعى حيث لا يرى وهو يسمع كلامهم بعد ما رأى من فراستهم، فقال ربيعة: ما رأيت أطيب من هذا اللحم لولا أن شاته غُذيت بلبن كلبة،وقال مضر:شراب طيب لولا أن كرمته زرعت على قبر،ثم قالوا: مارأيكم في هذا الرجل(الأفعى الجرهمي)،فقال أنمار: إنه من سراة القوم، وهو سيد إلا أنه ليس ابن أبيه..وقال إياد: و اللّه ما رأينا كلاما أحسن من كلامنا مع بعض،فقام الأفعى واستدعى الراعي وسأله عن أمر الشاة التي ذبحها للقوم،فجأبه الراعي أنها عناق أرضعها بلبن كلبة لأن أمها ماتت ولم يكن في الغنم شاة ولدت

غيرها. ثم دعا القهرمان ، فقال ما هذه الخمر وما أمرها فقال هي كرمة غرستها على قبر أبيك ولم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها ،ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له قالت فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك فأمكنت نفسي لابن عمه،ثم صدوا من عنده على ذلك،فقال الأفعى: (إن العصا من العصية) أي أنهم يشبهون أباهم في جودة الرأي..فصارت مثلا.

طارت بهم العنقاء

العنقاء طائرة كبيرة الحجم ، وقيل أنه قد سُميت بهذا الاسم بسبب بياض كالطوق كان موجود في عنقها ، وقيل أيضًا بسبب طول عنقها ، وتبدأ قصة المثل التي حينما كان هناك نبي لأهل الرس يُدعى (حنظلة بن صفوان)، وكان لديهم جبل في أرضهم معروف باسم (دمخ)؛ والذي كان مصعده ميل في السماء.وكانت هناك طائرة عظيمة ذات عنق طويل تنتاب هذا الجبل ، وتميزت بأنها من أجمل الطيور ، حيث كانت تتلون من كل الألوان ، وكانت تسقط منتصبة ، فتنـــقض على الطـــير فوق الجبل وتـــأكله بكل سهولة

وذات يوم أعوزت الطير وأصبح من الصعب عليها الحصول عليه فقامت بالانقضاض على صبي فأكلته ، حتى أُطلق عليها لقب (عنقاء مُغرب) بمعنى أنها تغرب كل شيء تأخذه ، كما أنها انقضت على جارية وطارت بها وهي تضمها إلى جناحيها.فشكى الناس إلى نبيهم سوء فعل العنقاء ، فقام بالدعاء عليها قائلاً:(اللهم خذها ، واقطع نسلها ، وسلط عليها آفة)، فاحترقت العنقاء بعد أن أصابتها صاعقة ، وضرب بها العرب المثل في أقوالهم وأشعارهم والذي كان منه قولهم (طارت بهم العنقاء) في إشارة إلى الهلاك.

كل شاة برجلها معلّقة

أول قال ذلك هو وكيع بن سلمة بن زهير بن أياد وكان ولي البيت بعد جرهم، فبنى صرحا بأسفل مكة وجعل فيه أمة لها حَزْورة وبها سميت خَزْورة مكة، وجعل في الصرح سلّما، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجي الله تعالى.وكان ينطق بكثير من الخبر. وكان علماء العرب يزعمون أنه صدّيق من الصدّيقين، وكان من قوله: مرضعة أو فاطمة،ووداعة وقاصمة،القطيعة والفجيعة، وصلة الرحم،وحسن الكلم. ومن كلامه: زعم ربكم ليجزينّ بالخير ثوابا وبالشرّ عقابا،وإن من في الأرض عبيد لمن في السماء. هلكت جُرهم وربلت إياد، وكذلك الصلاح والفساد. فلما حضرته الوفاة جمع إيادا فقال لهم: اسمعوا وصيتي، الكلم كلمتان والأمر بعد البيان، من رشد فاتبعوه، ومن غوى فارفضوه، وكلُّ شاةٍ برِجلِها معلقة،فأرسلها مثلا.

حديث خُرافة

كان هناك في قديم الزمان قبيلة تُدعى (عُذرة)، والتي كانت تعيش بين تيماء والمدينة المنورة ، وكان يوجد رجل بتلك القبيلة يُدعى (خُرافة)، والذي خرج مسافرًا ذات مرة ، ولكن غيابه عن قبيلته وعائلته قد طال ، حيث مرت العديد من الأيام ، ثم تلتها العديد من الأسابيع والشهور ، حتى انقضت الكثير من الأعوام. كانت عائلة خُرافة في انتظاره على أمل رجوعه ذات يوم ، إلا أنه بمرور الكثير من الأعوام اعتقد جميع الناس أن خُرافة قد مات ، فأقاموا مراسم العزاء والحداد على فقيدهم ، ولكنه عاد بعد مرور تلك الأعوام العديدة ، فسألوه :أين كنت يا خُرافة؟

فأجابهم قائلاً:لقد كنت أسير في الصحراء ، ثم مررتُ بأحد الأماكن التي خطفتني فيها قبائل من الجن ، حيث أنني لم أجد بشرًا يعيشون معهم.قام خُرافة بسرد قصته مع الجن ، كما قام بوصف شكله ، حتى بدا الحديث شيئًا من درب الخيال ، فلم يستطع أحد أن يصدّق ذلك الكلام ، حتى أصبحت قصة خُرافة مع الجن مثلاً يُضرب للأحاديث الخارقة عن العادة أو القصص الخيالية حيث يقال (هذا حديث خُرافة)، أي أنه يُشبه ما قاله خُرافة عن قصته الخيالية مع الجن بعد عودته إلى قبيلته.

زرقاء اليمامة

زرَقاء بني نَمير كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء في اللبن، وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام، وكانت تنذر قومها الجيوش إذا غزتهم، فلا يأتيهم جيش إلا وقد استعدوا له، حتى اَحتال لها بعض من غزاهم، فأمر أصحابه فقطعوا شجرا أمسكوه أمامهم بأيديهم، ونظر الزرقاء فقالت: إني أرى الشجر قد أقبل اليهم. قالوا لها قد خَرِفت ورق عقلك وذهب بصرك. فكذبوها، وصبّحتهم الخيل وأغارت عليهم وقُتلت الزرقاء. فقوّروا عينيها فوجدوا عروق عينها قد غرقت في الإثمد من كثرة ما كانت تكتحل به.

وقيل أنها هي امرأة من جديس،فلما قتلت جديس طسمًا خرج رجل من طسم إلى حسّان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم ، فجهز إليهم جيشًا ، فلما صاروا على مسيرة ثلاث ليال،صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش وقد أُمروا أن يحمل كل رجل منهم غصن شجرة يستتر به ليلبسوا عليها ، أي يخدعونها بالتضليل في الرؤية..فقالت يا قوم قد أتتكم الشجر ، أو أتتكم الحمير ، فلم يصدقوها فقالت:

أقسم بالله لقد دب الشجر ..أو حمير قد أخذت شيئًا يُجر

فلم يصدقوها ، فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلاً ، ينهس كتفًا أو يخصف النعل ، فلم يصدقوها ، ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان

فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشق عينيها ، فإذا فيهما عروق سود من الإثمد ، وكانت أول من اكتحل بالإثمد من العرب.

شن وطبقة

كان شن رجلا من دهاة العرب وعقلائهم . فقال يوما (والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلي أتزوجها) فبينما هو في بعض مسيره إذ رافقه رجل في الطريق، فسأله شن (أين تريد) فقال: (موضع كذا) يريد القرية التي يقصدها شن. فرافقه حتى إذا أخذا في مسيرهما قال شن: (أتحملني أم أحملك؟) فقال الرجل: (يا جاهل؛ أنا راكب وأنت راكب؛ فكيف أحملك أو تحملني؟) فسكت عنه شن.وبعد حين قال شن: أترغب في أعز مفقود وأذل موجود؟ فقال الرجل: يا هذا كفى جهلا كيف يكون الشيء عزيز وذليل في آن واحد؟فسكت عنه شن. وسارا حتى إذا قربا من القرية إذا بزرع قد استحصد فقال شن: (أترى هذا الزرع أُكل أم لا؟) فقال له الرجل: يا جاهل ترى نبتا مستحصدا فتقول: أُكل أم لا؟ فسكت عنه شن. حتى إذا دخلا القرية صادفا جنازة؛ فقال شن أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا؟ فقال له الرجل : ما رأيت أجهل منك! ترى جنازة فتسأل عنها أميت صاحبها أم حي؟فسكت شن وأراد مفارقته ؛ فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى داره ؛ فمضى معه.وكان للرجل بنت يقال لها طبقة ؛ فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه ؛وشكا إليها جهله وحدثها بحديثه، فقالت:

يا أبت ما هذا بجاهل! أما قوله: أتحملني أم أحملك؛ فأراد: أتحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا. أما قوله أعز مفقود وأذل موجود فأراد هل تريد ماءا. أما قوله: أترى هذا الزرع أُكل أم لا فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا.أما قوله في الجنازة؛ فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا.فخرج الرجل فجلس إلى شن؛فحادثه ساعة؛ ثم قال: أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه؟ قال: نعم. ففسره. فقال شن: ما هذا من كلامك فأخبرني من صاحبه؟ فقال: ابنة لي. فخطبها إليه ؛ فزوجها إياها ؛ وحملها إلى أهله ؛ فلما رأوها قالوا: (وافق شن طبقة) فصارت مثلا.

إن غدا لناظره قريب

ومعنى لِناظِرِهِ أي لِمُنتَظِرِه، يقال.نظَرتُه أي انتظرته.وأوّل من قال ذلك قراد بن أجْدع وذلك أنَّ النُّعمان بن المنذر خَرجَ يتَصيَّد على فرسه اليَحْمُوم فأجراهُ على أثَرِ عير فذهب به الفرس في الأرض ولم يَقدر عليه، وانفرد عن أصحابه، وأخذَته السماء، فَطلبَ مَلْجأً يلجأ إليه فدفِع إلى بناء، فإذا فيه رجل من طيء يقال له حَنْظَلة ومعه امرأة له،فقال لهما:هل مِن مأوى؟ فقال حنظلة:نعم .فخرج إليه فأنزله و لم يكن للطائيّ غير شاة وهو لا يعرف النعمان، فقال لامرأته:أرى رجلاً ذا هيئة وما أخلقه أن يكون شريفا خطيرا(مهمّا) فما الحيلة؟ قالت:عندي شيء من طحين كنت ادّخرته، فاذبح الشاة لأتَّخذَ من الطحين ملَّة، قال:فأخرجت المرأة الدقيق فخبزت منه ملَّة وقام الطائيّ إلى شاته فاحتلبها ثُمّ ذَبحها فاتخذَ من لحمها مرقة مضيرة وأطعمه مِن لحمها وسقاه مِن لبنها واحتال له شرابا فسقاه وجعل يحدثه بقية ليلته (أي يؤنس ضيفه ويكرمه بالحديث إليه) فلما أصبح النعمان لبس ثيابه وركب فرسه ثُم قال:يا أخا طيء، اطلب ثَوابك، أنا الملك النعمان، قال: أفعل، إن شاء الله .ثُمّ لحق الخيل فمضى نحو الحيرة ومكث الطائي بعد ذلك زمانا حتى أصابته نكبة وجهد وساءت حاله،فقالت له امرأته:لو أتيتَ الملك

لأحسن إليك، فأقبل حتى انتهى إلى الحيرة فوافق يوم بؤس النعمان (وهو يوم كان النعمان يقتل فيه أولّ من يراه) فإذا هو واقف في خيله في السلاح فلما نظر إليه النعمان عرفه وساءه مكانه، فوقف الطائيّ المنزول به بين يدي النعمان، فقال له: أنت الطائيّ المنزول به؟قال: نعم، قال: أفلا جئت في غير هذا اليوم؟قال: أبيت اللعن وما كان علمي بهذا اليوم؟قال: والله لو سنح لي في هذا اليوم قابوس ابني لم أجد بدّا من قتله، فاطلب حاجتك من الدّنيا وسل ما بدا لك، فإنك مقتول، قال: أبيت اللعن وما أصنع بالدنيا بعد نفسي..قال النعمان: إنَّه لا سبيل إليها، قال: فإن كان لا بدّ فأجّلني حتى أُلمَّ بأهلي فأُوصي إليهم وأُهيئ حالهم ثُمّ أنصرف إليك..قال النعمان: فأَقم لي كفيلا بموافاتك، فالتفت الطائيّ إلى شريك بن عمرو بن قيس من بني شيبان وكان يكَنّى أبا الحوفزان وكان صاحب الردافة وهو واقف بجنب النعمان فقال له:

يا شُريكا يا ابن عمرو ..هل مِن الموت محالة

يا أخا كل مُضَاف... يا أخا من لا أخا له

يا أخا النعمان فُكّ اليوم ضيفا قد أتى له

طالما عالج كرب الموت لا ينعم باله

فأبى شريك أن يتكفل به، فوثب إليه رجل من كلب يقال له قراد

بن أجدع، فقال للنعمان: أبيت اللَّعن هو عليّ..قال النعمان: أفعلت؟ قال: نعم، فضمّنه إياه ثم أمر للطائي بخمسمائة ناقة، فمضى الطائيّ إلى أهله وجعل الأجل حولا من يومه ذلك إلى مثل ذلك اليوم من قابل، فلما حال عليه الحول وبقي مِن الأجل يوم، قال النعمان لقراد: ما أراك إلا هالكا غدا فقال قرَاد:

فإن يَكُ صَدر هذا اليوم وَلىّ ... فإنَّ غَداً لناظرِهِ قَريبُ

فلما أصبح النعمان ركب في خيله متَسَلِّحا كما كان يفعل حتى أتى الغريَّين فوقف بينهما وأخرج معه قرادا وأَمر بقتله،فقال له وزراؤُه: ليس لك أن تَقتله حتى يستوفي يومه فتركه وكان النعمان يشتهي أن يقتُل قرادا ليُفلت الطائي من القتل، فلما كادت الشمس تَجب وقراد قائم مجرد في إزار على النِّطع والسياف إلى جنبه أقبلت امرأته وهي تقول:

أيا عين ابكى لي قراد بن أجدعا ... رَهينا لقتل لا رهينا مودّعا

أتته المنايا بغتة دون قومه ... فأمسى أسيرا حاضر البيت أضرعا

فبينا هم كذلك إذ رفع لهم شخص من بعيد وقد أمر النعمان بقتل قراد.. فقيل له: ليس لك أن تقتله حتى يأتيك الشخص فتعلم من هو فكفّ حتى انتهى إليهم الرجل فإذا هو الطائي، فلما نظر إليه النعمان شقَّ عليه مجيئه..فقال له: ما حملكَ على الرجوع بعد إفلاتك

مِن القتل؟ قال: الوفاء، قال: وما دعاك إلى الوفاء؟ قال: دينِي. قال النعمان: فاعرضها عليّ (أي أعرض ديانتك عليّ)فعرضها عليه فتنصَّر النعمان وأهل الحيرة أجمعون وكان قبل ذلك على دين العرب، فترك القتل منذ ذلك اليوم وأبطل تلك السّنَّة وأَمر بِهدم الغَرِيّيْن وعفا عن قراد والطائي، وقال: والله ما أدري أيهما أوفى وأكرم أهذا الذي نجا مِن القتل فعاد أم هذا الذي ضمنه؟ والله لا أكون ألأم الثلاثة فأنشد الطائيّ يقول:

ما كنت أُخلِف ظنه بعد الذي ... أسدى إليّ من الفعال الخالي
ولقد دعتنِي للخلاف ضلالتي ... فأبيت غير تمجُّدي وفعالي
إني امرؤ منِّي الوفاء سجِية ... وجزاء كل مكارم بذَّال

وقال أيضاً يمدح قرادا:

ألا إنما يسمو إلى المجد والعُلا ... مخاريق أمثال القراد بن أجدعا
مخاريق أمثال القراد وأهله ... فإنهم الأخيار من رهطِ تبعا

يا أبوزيد ما غزيت

مرت على بني هلال فترة من السنوات العجاف بلغت ثمان سنوات فهلكت دوابهم وعانوا من الفقر والجوع،ولما ضاق بهم الحال ذهبوا إلى أميرهم حسن بن سرحان واتفقوا على أن يحطوا رحالهم بأرضٍ جديدة ، تكسوها الخضرة ويرويها الماء واتفقوا على إرسال فريق منهم يستكشف الأرض الجديدة التي سيرتحلون إليها.ووقع الاختيار على فارس بني هلال المغوار أبو زيد الهلالي ، ولكنه اشترط أن يأخذ معه في تلك الرحلة ابني الأمير يحيى ويونس وانطلق الفريق معًا حتى وصلا إلى مشارف مصر ثم تجاوزها غربًا حتى تونس الخضرة ، فلما رأوها أعجبتهم خضرتها ، واستقروا فيما بينهم أنها هي البلد المنشود .ولكن بلغ أمر وصولهم مسامع ملك البلاد الزناتي الذي كان قد رأى في المنام أن هناك من سيأتي وينتزع الأرض والملك منه ، فلما رأى أبو زيد الهلالي ومن معه أدرك أن رأياه قاربت على الحدوث ، ولما حاورهم الزناتي كي يتأكد من هويتهم كذبوا عليه وادعوا أنهم حجاج ضلوا الطريق ولكن الملك لم يصدقهم فسجنهم جميعًا .ولكن استطاع أبو زيد الهلالي أن يخرج من السجن بمساعدة الصفيرا ابنة الملك ، حيث أخبرت أباها أنه عبد وليس فارس كما يظنوا وبالطبع ليس من شيمهم أسر العبيد فتركه الملك بالفعل وعمل

طباخًا بقصره ولكن الزناتي أوصى العلام وهو أحد فرسانه بمراقبة الهلالي ، فقام العلام بحيلة صغيرة استطاع أن يكشف بها أمر أبو زيد الهلالي .حيث قام بعرض للخيل والفرسان أمامه ، فلما رأى ذلك أبو زيد ترك ما بيده وأخذ يراقب عرض الفروسية بلهفة كبيرة ، فتيقن العلام من أنه ليس عبد وواجه أبو زيد بالأمر فاعترف له بالــحقيقة ، لكنه استطاع

إقناع العلام بألا يفتش سره ويخلي سبيله ، وفي المقابل وعده ألا يُقتل إن غزت بني هلال تونس ، ووعده العلام ألا يمسه بأذى حينها أيضًا.فعاد أبو زيد على الفور ليخبر قومه عن تونس الخضراء فأعدوا العدة وزحفوا إلى تونس ولكن علياء زوجة الهلالي لم ترافقهم حينها ، فقد كانت على خلاف معه ، وبعد ثلاثة شهور من المعارك الطاحنة التي تزعمها الهلالي وذياب بن غانم انتصر بنو هلال على الزناتي ، وأرسل أبوزيد لزوجته كي تأتي لبلادهم الجديدة ، فأرسلت إليه بأن لا حاجة لذلك فقد عمت الأمطار وانتشرت الخيرات في ديار الهلالية من جديد ، وكأنك يا أبو زيد ما غزيت. فصارت مثلا..

العرق دساس

أتى بدوي إلى المدينة وهو ينادي:أنا سياسي أحل المعضلات والمشاكل بين العشائر وبين الأفراد..فسمعه الملك وهو جالس في قصره فقال لجنده آتوني بهذا المنادي.دخل الرجل وبعد التحية والسلام سأله الملك:أنت سايس؟قال الرجل: بل أنا سياسي يا سيدي،فقال الملك:لا أنا سمعت أنك سايس وها قد تم تعيينك عندنا سايس للخيل ولي فرس أحبها وأريد منك أن تسوسها،رد الرجل: لكني لست سايس..يا سيدي..أنا سياسي.

قال الملك: قلت لك إنك سايس وإلا أمرت السياف بقطع عنقة.

فما كان من الرجل إلا الإمتثال لأمر الملك خوفا من قتله فتسلم الفرس من السايس السابق وحذره قائلا:هذه الفرس عزيزة على الملك وأحذر أن تخبره عن عيوبها وإلا أمر بإعدامك،التفت السايس إلى الملك قائلا:سيدي أماتعفيني؟قال الملك:كيف أعفيك قد عينتك سايس،ثم نادى على خدمه فجهّزوا للرجل غرفة وفراش وأعطوه وجباته من مرق ورز ليباشر مهمته ويسوس الفرس.باشر الرجل عمله وبدأ يسوس الفرس وبعد عشرون يوما هرب خوفا من الملك فأمر الملك بإحضاره وسأله لماذا هربت ؟أوجدت عيبا في الفرس؟قال الرجل مولاي:اعفيني،قال الملك: بل أخبرني ماذا وجدت في الفرس وإلا

أعدمتك،فقال الرجل:إذن أعطني الأمان. قال الملك:لك الأمان قال الرجل: هذه الفرس ليست أصيلة ومن يقول لك إنها أصيلة،أسمع ولا تصدق،لأنها لم ترضع من أمها الأصيلة.

حمل الملك سيفه لقطع رأس الرجل وقال له كيف تقول عن فرسي إنها لم ترضع من أمها الأصيلة،وأمر خدمه برمي الرجل في السجن وأرسل في طلب الوزير الذي أهداه الفرس..فأتى الوزير وسأله الملك قائلا:كيف تعطيني هذه الفرس وهي لم ترضع من أمها الاصيلة؟

قال الوزير:مولاي سامحني لقد ماتت أمها عند ولادتها.

قال الملك:وما أرضعها..أجابه الوزير:لم يكن لدي في ذلك الزمان إلا بقرة مرضع فأرضعتها،قال الملك:إذا ما قاله السايس صحيح،فأمر الملك بأخراج الرجل من السجن وقال له يبدو أنك رجل حكيم،الأن أخبرني كيف عرفت أن الفرس لم ترضع من أمها؟قال الرجل: الفرس الأصيلة عادة تأكل في معلف أو تعليقة في رقبتها تأكل منها وهي مرفوعة الرأس أما فرسك يا سيدي فإنها تبحث عن الطعام على الأرض مثل البقر،الفرس الأصيلة لا تضع راسها في الأرض بل دائما تكون مرفوعة الرأس،فقال الملك للسايس احسنت وقال للخدم خذوا هذا الرجل وأسكنوا في أحسن الغرف واطعموه من أجود الطعام، ثم أمره أن يسوس زوجته الملكة وقال سوف ألحقك بخدمتها،لكن

توسل الرجل للمك قائلا: سيدي أعفيني من هذه المهمة،قال الملك: لا،هذا أمر وعليك تنفيذه،ثم أمر أحد غلمانه أن يذهب للملكة ويخبرها أن هناك خادم جديد وسيكون نديما لها ومستشارا بأمر الملك ولها أن تطلب منه قضاء حاجاته،دخل الرجل على الملكة وسلم عليها،ثم بعد فترة من الزمن قال له الملك:قل ماذا وجدت؟ فقال الرجل متوسلا إلى الملك أن يعفيه إلا أن الملك أصر أن يعرف منه ماذا وجد في الملكة وقال له: لك الأمان قل لي ماذا وجدت،قال الرجل: إنها تربية ملوك وشرف ملوك وأخلاق ملوك وكرم ملوك لكن من يقول لك أنها ابنة ملوك أسمع ولا تصدق!جن جنون الملك وقال له :كيف تقول أن زوجتي ليست ابنة ملوك فأمر بسجنه وقطع الطعام عنه وذهب إلى أم الملكة وأبوها وهو ملك لبلاد أخرى ليستوضح الأمر منهما فحاصرهما بجيشه وقال لهما: أخبراني وإلا قمت بقتلكما الآن..هذه البنت ابنة من؟فقالا له:أعطينا الأمان ونحن نخبرك فقص عليه الملك قصة البنت: بأن ابنتهما كانت مخطوبة له وهذا كان إتفاق بينهما وبين أبيه منذ عمرها سنتين وكان أبوه ملكا ظالما وقد أصاب المرض ابنتهما وماتت ثم أضاف الملك:وفي هذا الوقت أمرني أبوك بإجلاء جماعة من الغجر عن المنطقة..وبما أني كنت

من أتباعه خرجت بنفسي مع الجند لتنفيذ الأمر..فوجدت هذه الطفلة عمرها عامين لوحدها بعد فرّ أهلها فأخذتها وقمنا بتربيتها.

رجع الملك لبلدته وأمر بجلب الرجل من سجنه وسأله كيف عرفت إنها ليست ابنة ملوك وهي من عمرها سنتين قد تربت عند ملوك وعاشت معهم حتى هذا العمر الذي هي فيه؟

قال الرجل: مولاي قلت لك إنها تربية ملوك وكرم وملوك وشرف ملوك وأخلاق ملوك لكنها ليست ابنة ملوك لان عندها غمزة بعينها تتغامز عندما تتكلم وهذه من عادات الغجر يتغامزون عندما يتكلمون وهذه العادة عند الملكة لذلك عرفت أنها ليست ابنة ملوك..فقال الملك هذا الرجل داهية،اطعموه خروف الصبح وآخر عند الغداء وثالث عند العشاء وتجلس هنا تسوسني!..هنا اضطربت فرائص السايس واحتار كيف يخلص من هذا المأذق وحاول وتوسل لكن لا فائدة أصر الملك أن يقوم الرجل بمهمته الجديدة فقال الرجل: أأسوسك يا سيدي؟ قال الملك: نعم.

هرب الرجل من ليلته، لكن أعاده جند الملك الذي قال له: يبدو أني مكشوف لك!قال السايس له بعد أعطي الأمان: من قال لك أنك ابن ملك أسمع ولا تصدق،بل إذهب وابحث عن أصلك!

فهاج الملك وقـــام من فوره ودخـــل على أمه غاضبا وقال لها أنا ابن

من؟ أريد أن أعرف ها الساعة فقالت له أمه:كان أبوك ظالما ولا ينجب ثم يتزوج البنت وبعد تسعة أشهر إذا لم تلد يقتلها وعلى هذا المنوال قضى على الكثير من بنات البلدة حتى وصل الأمر لي ففكرت ماذا علي أن أفعل إما أن ألد أو يقتلني وكان في القصرطباخ وأنت ابنه!أتى الملك إلى السايس السياسى وسأله: كيف عرفتني؟ قال له معروف يا سيدي أن الملك عندما يعطي ويهب يعطي ذهب وفضه أما أنت فتعطي مرق ورز ولحم ودجاج ،الذي يرافق الطباخ ماذا ينال منه عندما يرضى عليك يعطيك طعام وعندما يغضب يقطع عنك الطعام.ومن هذه القصةضرب المثل(العرق دساس).

النصيحة بجمل

يحكى أن رجلا ضاقت به سبل العيش، فقرر أن يسافر بحثا عن الرزق، فترك بيته وأهله وسار بعيدا، وقادته الخطى إلى بلدة التقى فيها بأحد شيوخها الذي رحب به وأكرم وفادته، ولما عرف حاجته عرض عليه أن يعمل عنده، فوافق الرجل على الفور، وعمل عند الشيخ يرعى الإبل.وبعد عدة سنوات اشتاق فيها الرجل لبيته ورؤية أهله ، فأخبر الشيخ عن رغبته في العودة إلى بلده، فعزّ عليه فراقه لصدقه وأمانته، فكافأه وأعطاه بعضا من الإبل والماشية.

سار الرجل عائدا إلى أهله، وبعد أن قطع مسافة طويلة في الصحراء القاحلة، رأي شيخا جالسا على قارعة الطريق، ليس عنده شيء سوى خيمة منصوبة بجانب الطريق، وعندما وصل إليه حيّاه وسأله ماذا يعمل لوحده في هذا المكان الخالي وتحت حر الشمس، فقال له:أنا أعمل في التجارة،فتعجب الرجل وقال له:وما هي تجارتك؟ فقال له الشيخ:أنا أبيع نصائح،فقال الرجل:وبكم النصيحة؟!فقال الشيخ:كل نصيحة بجمل.فاطرق الرجل مفكرا في النصيحة وفي ثمنها الباهظ الذي عمل طويلا من أجل الحصول عليه، ولكنه في النهاية قرر أن يشتري نصيحة، فقال له:أعطنى نصيحة..فقال الشيخ: إذا طلع سهيل لا تأمن مراقد السيل..قال الرجل في نفسه: ما لي

ولسهيل في هذه الصحراء القاحلة، وماذا تنفعني هذه النصيحة في هذا الحر،وعندما وجد أنها لا تنفعه قال للشيخ:أعطني نصيحة أخرى وسأعطيك جملا آخر،فقال الشيخ: لا تأمن لأبو عيون زرق وأسنان فُرْق،تأمل الرجل هذه النصيحة أيضا وأدارها في فكره ولم يجد بها أي فائدة..فقال للشيخ:أعطني النصيحة الثالثة وسأعطيك جملا ثالثا،فقال الشيخ: نام على النَّدَم ولا تنام على الدم،فقال الرجل في نفسه: لم تكن النصيحة الثالثة بأفضل من سابقتيها، فترك الرجل ذلك الشيخ وأعطاه الجمال الثلاثة، وساق ما بقي معه من إبل وماشية وسار في طريقه عائدا إلى أهله عدة أيام نسي خلالها النصائح من كثرة التعب وشدة الحر.وفي أحد الأيام أدركه المساء فوصل إلى قوم نصبوا خيامهم في قاع واد كبير، فتعشى عند أحدهم وبات عنده، وبينما كان يتأمل النجوم شاهد نجم سهيل، فتذكر النصيحة التي قالها له الشيخ فقام سريعا وأيقظ صاحب البيت وأخبره بقصة النصيحة، وطلب منه أن يخبر قومه حتى يخرجوا من قاع ذلك الوادي، ولكن المضيف لم يكترث له فقال الرجل:والله لقد اشتريت النصيحة بجمل ولن أنام في قاع هذا الوادي، فقرر أن يبيت على مكان مرتفع، فأخذ إبله وماشيته وصعد إلى مكان مرتفع بـــجانب الوادي، وفي آخر الليل هطل المطر

بشدة وجاء السيل يهدر كالرعد، فهدم البيوت وشرد القوم.

وفي الصباح سار عائدا نحو أهله، وبعد يومين وصل إلى خيمة في الصحراء، فرحب به صاحب الخيمة وكان رجلا نحيفا ذو عيون زرْق وأسنان فُرْق، خفيف الحركة، وقد أخذ يزيد في الترحيب به والتودد إليه حتى أوجس منه خيفة، فنظر إليه وإذا به ذات الذي أوصاه عنه الشيخ، وأن به نفس المواصفات لا ينقص منها شيء.

وفي الليل تظاهر الرجل بأنه يريد أن يبيت خارج البيت قريبا من إبله وأغنامه وأخذ فراشه وجره في ناحية، ووضع حجارة تحت الفرش، وانتحى مكانا غير بعيد يراقب منه حركات مضيفه، وبعد أن أيقن المضيف أن ضيفه قد نام، أخذ يقترب منه على رؤوس أصابعه حتى وصله ثم هوى عليه بسيفه بضربة شديدة، ولكن الضيف كان يقف وراءه، فقال له: لقد اشتريت النصيحة بجمل، ثم ضربه بسيفه فقتله، وساق إبله وماشيته وقفل سائرا نحو أهله.وبعد مسيرة عدة أيام وصل ليلا إلى بلدته أهله، وسار ناحية بيته ودخله فوجد زوجته نائمة وبجانبها رجل، فاغتاظ لذلك ووضع يده على حسامه وأراد أن يهوي به على رؤوس الاثنين، وفجأة تذكر النصيحة الثالثة التي تقول(نام على الندم ولا تنام على الدم)فهدأ وتركهما على حالهما، وخرج من البيت إلى إبله وأغنامه ونام عندها

حتى الصباح..وبعد شروق الشمس ساق إبله وأغنامه واقترب من البيت فعرفه الناس ورحبوا به، واستقبله أقاربه وقالوا له: لقد تركتنا فترة طويلة، انظر كيف كبر خلالها ابنك حتى أصبح رجلا. ونظر الرجل إلى ابنه وإذا به ذلك الشاب الذي كان ينام بالأمس بجانب زوجته،فحمد الله على أن هداه إلى عدم قتلهم، وقال في نفسه: حقا..كل نصيحة أحسن من جمل..وهذه هي قصة المثل القائل (النصيحة بجمل)..

الحديث ذو شجون

كان لضبة بن أدّ ابنان سعد وسعيد، فخرجا ذات مرة في طلب إبل لهما، فرجع سعد ولم يرجع سعيد، فكان ضبة كلما رأى رجلاً مقبلاً قال: أسعدٌ أم سعيد..فذهبت مثلا. ثم إن ضبة بينما هو يسير يوما ومعه الحارث بن كعب في الشهر الحارم إذ أتى على مكان، فقال له الحارث: أترى هذا الموضع! فإني لقيت فتى هيئته كذا وكذا، فقتلته وأخذت منه هذا السيف. فإذا بصفة سعيد، فقال له ضبة: أرني السيف أنظر إليه. فناوله إياه فعرفه فقال له: إن الحديث ذو شُجون..فذهب مثلا.ثم ضربه به حتى قتله. فلامه الناس في ذلك،وقالوا: أقتلت في الشهر الحرام؟ قال: سَبَق السيْف العذل.. فذهب مثلا.

خالف تذكر

قيل أول من قال ذلك هو الحطيئة وكان وقد ورد الكوفة فلقى رجلا فقال له: دلّني على أفتى المصر نائلا، قال: عليك بعتيبة بن النهّاس العجلي، ،فمضى نحو داره، فصادفه، فقال: أنت عتيبة؟قال: لا. قال فأنت عتّاب؟قال: لا، قال: إن اسمك لشيبه بذلك،قال: أن عتيبة،فمن أنت؟ قال: أن جرول،قال: ومن جرول؟ قال: أبو مليكة؟قال: والله ما ازددت الا عمَى.

قال: أنا الحطيئة. قال مرحبا بك.

قال الحطيئة: فحدثني عن أشعر الناس من هو؟ قال: أنت..قال الحطيئة(خالف تُذكر) بل أشعر الناس مني الذي يقول (يعني زهير بن أبي سُلمى):

ومن يجعلِ المعروفَ دون عِرْضِه يَفِره ومن لا يتّقِ الشّتمُ يُشْتمِ

ومن يكُ ذا فضلِ فيبخلُ بفضله على قومه يُستغن عنه و يُذممِ

قال: صدقت، فما حاجتك؟

قال: ثيابك هذه فانها قد أعجبتني، وكان عليه مطرف خَز، وجبّة خز، فدعا بثياب فلبسها ودفع ثيابه اليه، ثم قال له: ما حاجتك أيضا؟ قال: ميرة أهلي من حب وتمر وكسوة، فدعا عونا له فأمره أن

يميرهم وأن يكسو أهله، فقال الحطيئة: العَودُ أحَمْدُ..ثم خرج من عنده وهو يقول:

سُئلت فلم تبخلْ ولم تُعطِ طائِلَا فسيّان لا ذمّ عليك ولا حَمْدُ

الموضوع فيه إنَّ

يحكى أنه كان في مدينةِ حلَب أميرٌ ذكيٌّ فطِنٌ شجاعٌ اسمه علي بن مُنقِذ، وكان تابعًا للملك (محمود بن مرداس)، وقد حدثَ خلافٌ بين الملكِ والأميرِ، وفطِن الأمير إلى أنّ الملكَ سيقتله، فهرَبَ مِن حلَبَ إلى بلدة دمشق.وطلب الملكُ مِنْ كاتبه أن يكتبَ رسالةً إلى الأمير عليٍّ بنِ مُنقذ، يطمئنُهُ فيها ويستدعيه للرجوعِ إلى حلَب،وكان الملوك يجعلون وظيفةَ الكاتبِ لرجلٍ ذكي، حتى يُحسِنَ صياغةَ الرسائلِ التي تُرسَلُ للملوك الاخرين وغيرهم.فشعَرَ الكاتبُ بأنّ المِلكَ ينوي الغدر بالأمير،فكتب له رسالةً عاديةً جدًا، ولكنه كتبَ في نهايتها:

(إنَّ شاء اللّهُ تعالى) بتشديد النون!ولّما قرأ الأمير الرسالة، وقف متعجبًا عند ذلك الخطأ في نهايتها، فهو يعرف حذاقة الكاتب ومهارته، لكنّه أدرك فورًا أنّ الكاتبَ يُحذِّرُه من شئ ما حينما شدّدَ تلك النون!ولمْ يلبث أنْ فطِنَ إلى قولِه تعالى:(وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) (الآية ٢٠ من سورة القصص)،ثم بعث الأمير رده برسالة عاديّةٍ يشكرُ للملكَ أفضالَه ويطمئنُه على ثقتِهِ الشديدةِ به، وختمها بعبارة:(أنّا الخادمُ المُقِرُّ بالإنعام)،بتشديد النون! فلما قرأها الكاتبُ فطِن إلى أنّ الأمير يبلغه أنه قد تنبّه إلى تحذيره

المبطن، وأنه يرُدّ عليه بقولِه تعالى: (قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (الآية ٢٤ من سورة المائدة).

واطمئن إلى أنّ الأمير ابنَ مُنقِذٍ لن يعودَ إلى حلَبَ في ظلِّ وجودِ ذلك الملكِ الغادر.ومنذ هذه الحادثةِ، صارَ الجيلُ بعدَ الجيلِ يقولونَ للموضوعِ إذا كان فيه شكٌّ أو غموض: (الموضوع فيه إنّ)..فصارت مثلا..

ولّا اشتدَّ ساعده رماني

قال معن أوس:

فيا عجبَا ربَّيْت طفلًا ألقّمهُ بأطراف البنانِ
أعلّمهُ الرمايةَ كل يومٍ فلما اشتدَّ ساعده رماني
وكم علَّمتُهُ نظم القوافي فلمَّا قال قافيةً هجاني
أُعلّمه الفتوَّة كل وقتٍ فلما طرَّ شاربهُ جفاني

الفصل الثالث

طرائف ونوادر

حكاية النُّورَة

وتآمر الجنّ على زواج النبي سليمان من بلقيس

عندما قرر النبي سليمان عليه السلام الزواج من بلقيس،ملكة سبأ اجتمعت الجن وقالوا: إن هو تزوج منها أتته بولد تجتمع فيه فطنة الإنس والجن وكيد النساء، فلا نصيب راحة ولا نأمن على أنفسنا الهلكة،وينحجب عنا كل خير وينزل بنا كل سوء وشر.تعالوا فنزهّده فيها، فإنه قد ذكر أنه يريد الزواج منها.

فقال عفريت من الجن يقال له زوبعة:أنا أكفيكم سليمان.ثم أتاه فقال: يا نبيّ الله، بلغني أنك تريد الزواج من بلقيس،وأمها من الجن،ولم تلد جنيّة من إنسي ولدا قط إلا كانت رجله كحافر الحمار وساقه شعراء (كثيفة الشعر)،حادّ النفس حارّ الجسم،قال النبيّ سليمان:فكيف لي أن أنظر إلى ذلك منها، وأعلم من غير أن تعلم ما أريد؟

قال زوبعة: أنا أكفيك ذلك.وصنع زوبعة لنبيّ سليمان قصرا من زجاج أبيض ووضع سريره في صدره، ثم أرسل المائ تحته وألقى فيه السمك وغيره. ثم قال زوبعة للنبيّ سليمان: أرسل في طلبها،فلتدخل عليك فإنك ترى الذي تريد. فبعث إليها النبيّ سليمان وهو على كرسيه، ليس في البيت مجلس غيره. فلما رأت الماء والسمك تسبح

فيه، حسبته لجُّة (بحر) فكشفت عن ساقيها لتخوض الماء. فلما رآها سليمان ونظر إلى بياض ساقيها وعليهما شعر كثير أسود،قال لها: لا تكشفي عن ساقيك(قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ) (الآية ٤٤ من سورة النّمل). فنظرت فإذا ملكها ليس بشيء عند الله. ولما سمعت ذلك استترت، وتعجبت منه واستدلّت به على التوحيد والنبوّة. وقالت: يا نبيّ الله، لقد ظهر الحقّ وذهب الباطل.

ثم قالت: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأية ٤٤ من سورة النمل) ثم تردّد النبيّ سليان في أمر بلقيس شهرا، فقال له رجل صالح من الجن، كان يحب ما يوافق النبيّ سليمان: كرهت منها غير ذاك الشعر؟قال:كلاّ! قال فني سأجعلها لك مثل الفضة من غير ريب. قال النبيّ سليمان: وكيف؟قال: سوف ترى فصنع لها الجنّي حمّاما ونُورَة، وهي كانت أول نورة(أخلاط تستخدم لإزالة الشعر) عملها مخلوق وأول حمّام من صنع ذلك الجنّي.

قصة سيدنا سليمان مع النمل

بعث الله تعالى سليمان نبيًّا لمعشر الإنس والجن والحيوان وجعله قائدهم وملكهم، وتبدأ قصة سيدنا سليمان مع النمل عندما جمع سليمان عليه السلام الإنس والجنّ والشياطين والطير، وسار هذا الجيش العظيم بقيادته يطيعونه ويستجيبون لأوامره، وقد جاء ذكرهم في قوله تعالى: (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)(الآية ١٧من سورة النمل). ثمّ لّما وصل هذا الحشد العظيم إلى وادٍ سماه القرآن الكريم (وادي النمل) سمع سيدنا سليمان صوتًا غير كلّ تلك الأصوات التي كانت في جيشه، صوتًا أتاه من ذاك الوادي ألا وهو صوت نملةٍ رأت جيش سليمان العظيم وجعلت تنادي معشر النمل لتحذّرهم من النبي سليمان وجنوده، وقد ذكر الله تعالى ما قالته النملة في محكم كتابه فقد قال: (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) (الآية ١٨ من سورة النمل) وقد طلبت من قومها أن يدخلوا مساكنهم خوفًا عليهم من أن يحطهم جيش سليمان العظيم فلمّا سمعها سيدنا سليمان عليه السلام: تبسّم معجبًا بقولها وفصاحتها وحسن أدبها، فهي قد التمست العذر لسليمان وجنود بأنّهم قد يحطمون منازل النمل وهم لا يشعرون، ثمّ شكر ربه ودعاه

أن يهديه ويوفقه لحسن عبادته وشكره على ما آتاه من العلم هو وآباؤه، فقد قال تعالى: (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)(الآية ١٩ من سورة النمل)، وبالرغم من أنّه من أنبياء الله إلاّ أنّه دعا ربّه أن يدخله في رحمته ويجعله من عباده الصالحين، وهذه لفتةٌ من الله تعالى على وجوب دوام الدعاء وطلب الرحمة والمغفرة من الله جلّ وعلا ودوام الشكر والحمد والثناء على نعمه التي لا تُحص.

يقول العلماء: ما أعقلها من نملة وما أفصحها استخدمت معظم أساليب اللغة والفصاحة فقالت: (يَا) وهنا نادت، (أَيُّهَا) نبّهت، (ادْخُلُوا) أمرت (مساكنكم) نصت، (لايَحْطِمَنَّكُمْ) نهت، وأكدت وبالغت (سُلَيْمَانُ) خصّت، (وَجُنُودُهُ) عمّت، (وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ)اعتذرت؛ فلقد تكلمت بمعظم أنواع الخطاب في هذه النصيحة المختصرة. أيضا؛ تأملوا في قولها: لا يحطمنكم، ولم تقل: لا يطأنكم والتحطيم هو أنسب الأوصاف على تكسير الزجاج، حيث أثبت العلم أن للنمل هيكلاً عظمياً صلباً يتركب من السليكون الذي يدخل في صناعة الزجاج، ولذلك قال تعالى: (لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ). وعلى الرغم من أنّ كلمات النملة لقومها كانت قليلةً إلاّ

أنّها تحوي الكثير من الدروس والعبر التي يمكن لمعشر الإنسان الاستفادة والاقتداء بها، وقدّ أراد الله جلّ وعلا تسليط الضوء عليها بأن سُميّت سورة من سور القرآن الكريم بسورة النمل، ومن الدروس والعبر التي وردت في القصة أن هذه النملة تُعَلِّمُنا الانتماء الحقيقي للوطن وللمجتمع، هذه النملة أبدت أعلى درجات التضحية في سبيل وطنها وقومها وكان بوسعها أن تنتحي جانبا ولا تفكر إلا في إنقاذ نفسها؛ مبررة ذلك بماذا أفعل منفردةً أمام هذا الجيش العظيم؟ لكنها اعتبرت نفسها حارسة أمام قومها، وما رضيتْ أن يمسهم أي سوء، فاختارت المخاطرة بالسير في نفس خط سير الجيش لإنقاذ قومها،مما يدل على التضحية العالية، وإنكار الذات أمام الوطن والمصلحة العامة. وبهذا الشعور، وذلك الصدق،وتلك الروح الأخوية الفذة؛ أنجت النملة وادي النمل بأكمله،وسطَّرها القرآن مثالاً ناصعاً على حب الوطن والأخوة ونكران الذات، وبذل ما في الوسع لخدمة الآخرين. كذلك تعلمنا هذه النملة كيف يتقن المسلم عمله في مجاله مهما كانت طبيعة العمل الذي أسند إليه، فلا شك أن لعمله أثرا إيجابيا مادام يؤديه بإتقان وأمانة، فلا يستقل المرء في جهده الفردي؛ ولذلك تأملوا قوله تعالى:(قَالَتْ نَمْلَةٌ) بصيغة النكرة، وليس بالتعريف، فلم يقل:(قالت النملة)وهذا يدل على أنها كانت نملة

عادية في قومها. قال المفسرون: إن هذه النملة كانت تقوم بمهمة الاستطلاع والحراسة، وهذا مثبت علميا في حياة النمل، فهذه النملة أدت الدور المنوط بها على خير وجه،أقل ما يمكن أن نصفه به أنه أعلى درجات الإتقان،فلقد أنذرت قومها في الوقت المناسب دون تلكؤ أو تواكل على غيرها. كذلك تعلمنا هذه النملة إحسان الظن بالآخرين قال المفسرون: إن سليمان أكثر ما أعجبه في قولها هي كلمة: (وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) فالتمست لهم عذرا، وهذا من عدالة حكمها وإحسان ظنها وحَرِيٌّ بنا نحن المكلفين أن نمتثل لأمر الله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرَاً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ)(الآية ١٢ من سورة الحجرات)...حقيقة القصة تحض على أداء العمل بإتقانٍ وعلى أكمل وجه،الانتباه واليقظة والتزام قواعد العمل، تقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، تقسيم العمل واتباع النظام، حسن إدارة الأزمات بوعيٍ وانتباه، الشعور بالمسؤولية، تنامي روح المبادرة والإنجاز.

قصة سيدنا سليمان مع الهدهد

كان سيّدنا سليمان بن داود عليه السلام نبيًّا من أنبياء الله تعالى مثل والده، وقد ورثَ عن والده ملكًا عظيمًا وسخَّر له الله تعالى الجنَّ والريح، وقد علَّمه الله تعالى منطقَ الطيور والحديث إلى الحيوانات فكان يفهمُ لغةَ الحيوانات بما أعطاه الله تعالى من سعةٍ في العلم والبصيرة ويفهمُ ماذا تريدُ منه الطيور إذا صدحت بأصواتها، وكانت الطيور تطيعه وتسمعُ أوامره وهذه أيضًا من النعم العظيمة التي أنعم الله تعالى عليه بها، وله قصص كثيرة مع الحيوانات منها هذه القصة قصة هدهد سليمان عليه السلام.ذكر الله تعالى قصة هدهد سليمان عليه السلام في القرآن الكريم، ففي يوم من الأيام جمعَ سيدنا سليمان عليه السلام جميع الطيور حوله وبدأ يتفقدهم واحدًا واحدًا، ولاحظَ أن الهدهد غير موجود بين الطيور ومن هنا تبدأ قصة هدهد سليمان حيثُ غضبَ سيدنا سليمان عليه السلام؛ لأنَّ الهدهد غابَ عن هذا الاجتماع دون عذرٍ وتوعَّده بعقابٍ شديد قد يصلُ إلى الذبح إذا لم يكن له عذرٌ واضح وقوي وقد ذكر الله تعالى ذلك في قوله: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ(٢٠)لأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ(٢١)(الآيتان ٢٠و٢١ من سورة النمل)،وبعد أن علم الهدهد بذلك عاد إلى سيدنا

سليمان حتى يبرِّر غيابه، قال تعالى: (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقالَ أَحَطْتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)(الآية ٢٢ من سورة النمل) فأخبره أنَّه وجدَ قومًا في منطقة يقال لها سبأ وهي في أرض اليمن حاليًا في جنوب شبه الجزيرة العربية تحكمهم امرأةٌ، وتقودُ هذه المرأة جيشًا عظيمًا هناك وعندها كل ما يحتاج إليه الملوك من متاع وقوة ومال وسلاح، ولكنَّ الخبر الأكثر أهمية هو أنَّهم كانوا يعبدون غير الله تعالى ويسجدون للشمس من دون الله جلَّ وعلا، قال الله تعالى في ذلك: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شيءٍ وَلَها عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)وَجَدْتُها وَقَوْمَها يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ(٢٤)(الآيتان ٢٣و٢٤ من سورة النمل) عند ذلك ذهب الغضب عن سيّدنا سليمان لأنَّ هذا الأمر خطير، فهناك قوم يسجدون للشمس من دون الله على هذه الأرض وهذا الهدهد هو الذي وجدهم، فكتبَ سيدنا سليمان رسالةً إلى ملكة سبأ يدعوها فيها إلى الإيمان بالله هي وقومها، وأمر الهدهد أن يلقيها على قصر ملكة سبأ دون أن يشعرَ به أحد، وقال له: سنتأكدُ من صدقك ونرى أصدقتَ أم كنت من الكاذبين؟، فذهب الهدهد وألقى الرسالة كما أمره سيدنا سليمان عليه السلام،وعندما قرأت ملكة سبأ الرسالة جمعت قومها وأخذت مشورتهم ثمَّ قررت أن

ترسل هدية إلى سليمان لترى كيف سيتعامل معها، وعند ذلك تأكد سيدنا سليمان من صدق الهدهد، ولكنَّ سيدنا سليمان عليه السلام رفض الهدية ودعا بلقيس ملكة سبأ وقومها إلى الإسلام وإلا سيغزو مملكتها بجيش عظيم،فقبلت ذلك وجاءت إليه مسلمةً هي وقومها بعد ذلك.

في قصة هدهد سليمان عليه السلام الكثير من العبر الثمينة فأولاً: المسلم يجب أن يكون همُّه الأول الدعوة إلى الله تعالى، فرغم أن الهدهد طائر إلا أنه لم يقبل أن يُعبدَ غير الله تعالى في الأرض وثانيًا:على المسلم أن يكون منضبطًا وملتزمًا في حياته وتعامله مع الناس فلو لم يقدِّم الهدهد عذرًا قويًّا لكان عقابه شديدًا وهذا يدل على ضرورة الالتزام وثالثًا:التبيُّن من صحة الأخبار التي يسمعها المسلم مهما كان مصدرها والله أعلم.

شعر الجّن

قيل أن أول من قال بسمك اللهمّ هو أمية بن أبي الصلت، وذلك أنه خرج في جماعة من قريش في سفر فيهم حرب بن أمية والد أبي سفيان، فقال أمية: أنهم مروا في مسيرتهم بحية فقتلوها، فلما أمسوا جاءتهم امرأة من الجان فعاتبتهم في قتل الحية، ومعها قضيب فضربت به الأرض ففرت الإبل عن أخرها، ثم قاموا في طلبها فردوها، فلما اجتمعوا جاءتهم المرأة ثانية فضربت الأرض بقضيبها فنفرت الإبل ، فذهبوا في طلبها، فلما أعياهم ذلك قالوا: يا أمية آو الله هل عندك لما نحن فيه من مخرج؟ فقال أمية: لا والله و لكن سأنظر في ذلك، قال: فسرنا في تلك البقاع لعلنا نجد أحدا نسأله عما حل بنا من العناد، فإذا بنار تلوح على بعد، فجئناها فإذا بشيخ على باب الخيمة يوقد نارا وإذا هو من الجان في غاية الضآلة والذمامة، فسلمنا عليه، فسألناه عما نحن فيه، فقال: إذا جاءتكم فقولوا: باسمك اللهمّ، فتهرب، فلما جاءتهم في المرة الثالثة، قال أمية: باسمك اللهمّ، فشردت ولم يقر لها قرار .. لكن عادت الجن على حرب بن أمية فقتلوه بتلك الحية، فقبره أصحابه هنالك حيث لا جار و لا دار، و في ذلك قالت الجن:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

صحيفة المتلمّس

وفد المُتَلممّسُ هو ابن أخته طَرفة بن العبد على عمرو بن هند، فنزلا منه في خاصّته، وكانا يركبان معه للصيد، فيركضانِ طولَ النهار، فيتعبان وكان يشرب فيقفان على بابه كله لا يصلان إليه؛ فضجر طرفة فقال فيه:

فليت لنا مكان الملك عمرو رعوثا حول قبتنا تخور

وكان طرفة عدوّا لابن عمه عبد عمرو وكان كريما على عمرو بن هند فهجاه طرفة فقال:

ولا خير فيه غير أنّ له غنَى وأن له كَشْحا اذا قام أَهْضما

تظلّ نساء الحيّ يعكُفن حوله يقُلَن عَسِيبُ من سرَارة مَلَهَما

فهمّ عمرو بقتل طرفة، وخاف من هجاء المتلمّس له؛لأنهما كانا خليلين، فقال لهما: لعلّكما قد اشتقتُما لأهلِكما،وسرّكما أن تنصرفا! فقالا: نعم! فكتب لهما بصحيفتين وختمهما، وقال لهما: اذهبا إلى عاملي بالبحرين، فقد أمرته أن يصِلكما بجوائز!

فذهبا فمرّا في طريقهما بشيخ لم يرُقُهما أمرُه؛فقال المتلمّس: ما رأيت شيخا كاليوم أحمق من هذا! فقال الشيخ: ما رأيت من حُمقى؟ وإنّ أحمق منّي من يحمل حتفه بيده، وهو لا يدري!فاستراب المتلمّس بقوله، وطلع عليهـــما غلام من أهل الحيرة، فقال المتلمّس:أتقرأ يا

غلام؟

قال: نعم! ففضّ الصحيفة، وقرأها فإذا فيه:

(إذا أتاك كتابي مع المتلمّس فاقطعْ يديه ورجليه وادّفنه حيًّا)!

فقال لطرفة: ادفع إليه صحيفتك، فإن فيها مثل هذا! فقال: كلاّ لم يكن ليجترئ عليّ فقذف المتلمّس بصحيفته في نهر الحيرة وقال:

وألقيتُها بالثّني من جَنْب كافرٍ كذلك أَقنُو كلّ قِطّ مضلّلِ

رضيت لها بالماء لما رأيتُها يجولُ بها التيّار في كل جَدْولِ

ثم مضى المتلمّس حتى لحق بملوك بني جَفْنة بالشام؛وذهب طرفة إلى عامل البحرين،فأعطاه صحيفته، ففصده من أكْحَليه (عرقين في اليد) فنَزَف حتى مات!..

شكوى امرأة

يحكى أن امرأة جاءت إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه،فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار،ويقوم الليل،فقال لها: نِعْمَ الرجل زوجك،وكان في مجلسه رجل يسمى كعبا،فقال: يا أمير المؤمنين: إن هذه المرأة تشكو زوجها في أمر مباعدته إياها عن فراشه،فقال له: كما فهمت كلامه احكم بينهما، فقال كعب:عليّ بزوجها،فأحضر، فقال له: إن هذه المرأة تشكوك،قال:أفي أمر طعام أم شراب؟ قال: بل في أمر مباعدتك إياها عن فراشك، فأنشدت المرأة تقول:

يا أيّها القاضي الحكيمُ أنشده ألهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقدُه فلستُ في أمر النساء أحمده

فأنشأ الزوج يقول:

زهّدني في فرشها وفي الحلل أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبَع الطوَل وفي كتاب الله تخويف يجل

فقال له القاضي:

إنّ لها عليك حقًّا لم يزل في أربع نصيبها لمن عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال: إن الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع،فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم وليلة، فقال سيدنا عمر ضى الله عنه: لا أدري أبكم أعجب أمن كلامها أم حكمك بينهما اذهب يا كعب فقد وليتك البصرة. وذك هو القاضي كعب الأزدي.

الحطيئة

يحكى أن الزبرقان بن بدرالتميمي سيد قومه،وكان يجمع زكاتهم ويؤديها لهم.وقد اشتكى لسيدنا عمر بن الخطاب (أمير المؤمنين رضي الله عن) لما هجاه الحطيئة. فقال له سيدنا عمر :وما قال لك؟ قال:قال لي:

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها واقعدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسي

فقال سيدنا عمر: ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة..فقال الزبرقان :أو لا تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبسّ والله يا أمير المؤمنين ما هُجيت ببيت قط أشد عليَّ منه. فدعا سيدنا عمر حسان بن ثابت وسأله: أتراه هجاه؟ قال حسان:نعم وسلح عليه!فحبس سيدنا عمر الحطيئة، فجعل الحطيئة يستعطفه ويرسل إليه الأبيات، فمن ذلك قوله:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ زغبُ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

فلم يلتفت إليه عمر، حتى أرسل إليه الحطيئة:

ألقيت كاسبَهم في قعر مُظلمة فاغفر،عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمامُ الذي من بعد صاحبه ألقى إليك مقاليدَ النُّهي البشرُ

لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثرُ

فامنن على صبيةٍ بالرَّمْلِ مسكنُهم بين الأباطح يغشاهم بها القدرُ

نفسي فداؤك كم بيني وبينَهُمُ من عَرْضِ واديةٍ يعمى بها الخبرُ

فبكي سيدنا عمر رضي الله عنه لم سمع الأبيات ورحم الحطيئة وأولاده ورق لحالهم،ثم فقال له:فإياك والمقذع من القول فقال الحطيئة:وما المقذع؟قال سيدنا عمر رضي الله عنه:أن تخاير بين الناس فتقول فلان خير من فلان وآل فلان خير من آل فلان؛ثم قال له سيدنا عمر:والله لولا أن تكون سُنّة لقطعت لسانك.فاشترى سيدنا عمر رضي الله عنه منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم، وأخذ عليه عهداً ألا يهجو أحداً فقال الخطيئة لك عهد الله يا أمير المؤمنين.فقال سيدنا عمر رضي الله عنه:لكأني بفتىً من قريش قد نصب لك نمرقة، فاتكأت عليها وأقبلت تنشده في أعراض المسلمين.قال:أعوذ بالله يا أمير المؤمنين. فأطلقه الخليف، فتوقف عن الهجاء،قال بعض الرواة:فوالله لقد رأيته عند عبيد الله بن زياد على الحال التي ذكرها عمر رضي الله عنه، فقلت له: لكأن أمير المؤمنين عمر كان حاضراً لك اليوم فتأوه.

وقال:رحم الله ذلك المرء، فما أصدق فراسته.

الحجاج وغلام من بني هاشم

خرج الحجاج بن يوسف ذات يوم للصيد فرأى تسعة كلاب إلى جانب صبي صغير السن عمره نحو عشر سنوات وله ذوائب.

فقال له الحجاج: ماذا تفعل هنا أيها الغلام؟

فرفع الصبي طرفه إليه وقال له: ياحامل الأخبار لقد نظرت إلى بعين الاحتقار وكلمتني بالافتخار وكلامك كلام جبار وعقلك عقل حمار.

فقال الحجاج له: أما عرفتني؟

فقال الغلام: عرفتك بسواد وجهك لأنك اتيت بالكلام قبل السلام.

فقال الحجاج: ويلك أنا الحجاج بن يوسف.

فقال الغلام: لا قرب الله دارك ولا مزارك فما أكثر كلامك وأقل إكرامك.

فما أتم كلامه إلا والجند حلقت عليه من كل جانب وكل واحد يقول السلام عليك أيها أمير..فقال الحجاج: احفظوا هذا الغلام فقد أوجعني بالكلام فأخذوا الغلام..ثم رجع الحجاج إلى قصره فجلس في مجلسه والناس حوله جالسون ومن هيبته مطرقون وهو بينهم كالأسد ثم طـــلب احضار الغلام فلما مثل بين يدي؛ورأى الوزراء وأهل الدولة لم يخشى منهم بل قال: السلام عليكم فلم يرد الحجاج

السلام فرفع الغلام رأسه وأدار نظره فرأى بناء القصر عاليا ومزين بالنقوش والفسيفساء وهو في غاية الأبداع والاتقان.

فقال الغلام: اتبنون بكل ربع أية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين فاستوى الحجاج جالسا وكان متكئا..فقالوا للغلام: ياقليل الأدب لماذا لم تسلم على الأمير السلام اللائق ولماذا لم تتأدب في حضرته؟..

فقال الغلام: يابراغيث الحمير منعني من ذلك التعب في الطريق وطلوع الدرج أما السلام فعلى أمير المؤمنين وأصحابه يعني السلام على سيدما علي بن أبي طالب واصحابه رضى الله عنهم أجمعين.

فقال الحجاج:ياغلام لقد حضرت في يوم تم فيه أجلك وخاب فيه أملك.

فقال الغلام: والله ياحجاج إن كان في أجلي تأخير لم يضرني من كلامك لاقليل ولا كثير.

فقال بعض الغلمان: لقد بلغت من جهلك ياخبيث أن تخاطب الأمير كما تخاطب غلاما مثلك ياقليل الأدب انظر من تخاطب وأجبه بأدب واحترام فهو أمير العراق والشام.

فقال الغلام:أما سمعتم قوله تعالى:(يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)(الآية١١١من سورة

النحل).

فقال الحجاج: فمن عنيت بكلامك أيها الغلام؟

قال: عنيت به علي بن أبي طالب وأصحابه وأنت ياحجاج على من تسلم؟

فقال الحجاج: على عبد الملك بن مروان.

فقال الغلام: عبد الملك الذي لا بارك الله فيه.

فقال الحجاج: ولم ذلك ياغلام؟

فقال: لأنه أخطأ خطيئة عظيمة مات بسببها خلق كثير.

فقال بعض الجلساء: اقتله يا أمير فقد خالف الطاعة وفارق الجماعة وشتم الخليفة عبد الملك بن مروان.

فقال الغلام: ياحجاج اصلح جلسائك فأنهم جاهلون فأشار الحجاج لجلسائه بالصمت.

ثم سأله الحجاج: هل تعرف أخي؟

فقال الغلام: أخوك فرعون حين جاءه موسى وهارون ليخلعوه عن عرشه فاستشار جلسائه.

فقال الحجاج: اضربوا عنقه.

فقال له الرقاشي: هبني إياه يا أمير المؤمنين أصلح الله شأنك.

فقال الحجاج: هو لك لابارك الله فيه.

فقال الغلام: لا شكر للواهب ولا للمستوهب.

فقال الرقاشي: أنا أريد خلاصك من الموت فتخاطبني بهذا الكلام ثم التفت الرقاشي إلى الحجاج وقال له: أفعل ماتريد يا أمير.

فقال الحجاج: لقد كثرت جواباتك علي وقلبي يحدثني بقتلك.

فقال الغلام: لو كان أجلي بيدك لما عبدت سواك.

فقال الحجاج للغلام: من أي بلد انت؟

فقال: من أهل طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال الحجاج: نعمت المدينة أهلها أهل الإيمان والإحسان فمن أي قبيلة أنت؟

فقال الغلام: من نسل بني غالب من سلالة علي بن أبي طالب عليه السلام وكل نسب وحسب ينقطع إلا حسبنا ونسبنا فأنه لاينقطع إلى يوم القيامة فاغتاظ الحجاج غيظا شديدا وأمر بقتله.

فقال له كل من حضر من الوزراء: ولكنه لايستحق القتل وهو دون سن البلوغ أيها الأمير.

فقال الحجاج: لابد من قتله ولو يناد منادي من السماء.

فقال الغلام: ما أنت بنبي حتى يناديك مناد من السماء.

فقال الحجاج: ومن يحول بيني وبين قتلك.

فقال الغلام: يحول بينك وبين قتلي مايحول بين المرء وقلبه.

فقال الحجاج: وهو الذي يعينني على قتلك.

فقال الغلام: كلا إنما يعينك على قتلي شيطانك وأعوذبالله منك ومنه.

فقال الحجاج: أراك تجاوبني على كل سؤال فأخبرني مايقرب العبد من ربه؟

فقال الغلام: الصوم والصلاة والزكاة والحج.

فقال الحجاج: أنا أتقرب إلى الله بدمك.

فقال الغلام: من غير خوف ولا جزع أنا من أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان أجلي بيدك فقد حضر شيطانك يعينك على فساد أخرتك.

فأجابه الحجاج: أتقول إنك من أولاد الرسول وتكره الموت؟

قال الغلام: قال الله تعالى: (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(الآية١٩٥من سورة البقرة).

قال الحجاج: ابن من أنت؟

قال الغلام: أنا ابن أبي وأمي.

فقال الحجاج: أخبرني من أكرم العرب؟

فأجاب الغلام: بنو طي.

فسأله الحجاج: ولم ذلك؟

فقال الغلام: لأن حاتم الأصم منهم.

فقال الحجاج: فمن أشرف العرب؟

قال الغلام: بنو مضر.

فقال الحجاج: ولم ذلك؟

فقال الغلام: لأن محمد صلى الله عليه وسلم منهم.

فقال الحجاج: فمن أشجع العرب؟

فقال الغلام: بنو هاشم لأن علي بن أبي طالب منهم.

فقال الحجاج: ومن أنجس العرب وأبخلهم وأقلها خيرا؟

فقال الغلام: بنو ثقيف لأنك أنت منهم وفي الحديث الشريف يظهر من بنو ثقيف نمرود وكذاب فالكذاب مسيلمة والنمرود أنت.

فأغتاظ الحجاج غيظا شديدا وأمر بقتله فشفع به الحاضرون فشفعهم فيه وسكن غضبه قليلا وقال الحجاج: أين تركت الأبل ذات القرون؟

فقال الغلام: تركتها ترعى على أوراق الصوان.

فصاح الحجاج به قائلا: ياقليل العقل ويا بعيد الذهن هل للصوان ورق؟

فقال الغلام: وهل للأبل قرون؟

فقال الحجاج: هل حفظت القرأن؟

فقال الغلام: وهل القرأن هارب مني حتى أحفظه.

فسأله الحجاج: هل جمعت القرأن؟

فقال الغلام: وهل هو متفرق حتى أجمعه؟

فقال له الحجاج: اما فهمت سؤالي..

فأجابه الغلام: ينبغي لك أن تقول هل قرأت القرأن وفهمت ما فيه.

فقال الحجاج: فأخبرني عن آية في القرأن أعظم ؟ وآية أحكم؟وآية أعدل؟وآية أخوف؟وآية أرجى؟وآية فيها عشر آيات بينات؟وآية كذب فيها أولاد الأنبياء؟وآية صدق فيها اليهودوالنصارى؟وآيه قالها الله تعالى لنفسه؟وآية فيها قول الملائكة؟وآية فيها قول أهل الجنة؟وآيةفيها قول أهل النار؟وآية فيها قول إبليس؟..

فقال الغلام: أما أعظم آيه فهي آية الكرسي..قال تعالى: (اللَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)(الآية ٢٥٥ من سورة البقرة).وأحكم آية قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (الآية٩٠ من سورة النحل). وأعدل آية قوله

تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)(الآية ٧ من سورة الزلزلة) وأخوف آية قوله تعالى: (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ) (الآية ٣٨ من سورة المعارج). وأرجى آية قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)(الآية٥٣من سورة الزمر) وآية فيها عشر آيات بينات هي قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُّولِي الأَلْبَابِ)(الآية١٩٠ من سورة آل عمران) وأما الآية التي كذب فيها أولاد الأنبياء فهي قوله تعالى: (وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)(الآية١٨من سورة يوسف) وهم إخوة يوسف عليه السلام فكذبوا ودخلوا الجنة وأما الآية التي صدق فيها اليهود والنصارى فهي قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)(الآية١١٣ من سورة البقرة) فصدقوا ودخلوا النار والآية التي قالها الله تعالى لنفسه قوله سبحانه: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ

(٥٧)إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) (سورة الذاريات).

وآية فيها قول الأنبياء..قوله تعالى: (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)(الآية١١ من سورة ابراهيم).وآية فيها قول الملائكة..قوله تعالى: (قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)(الآية ٣٢ من سورة البقرة) وآية فيها قول أهل الجنة..قوله تعالى:(وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ)(الآية٣٤ من سورة فاطر)وآية فيها قول أهل النار..قوله تعالى:(رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ)(الآية١٠٧ من سورة المؤمنون)وآية فيها قول إبليس..قوله تعالى:(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)(الآية ١٢ من سورة الأعراف).

فقال الحجاج:أخبرني عمن خُلق من الهواء؟ ومن حُفظ بالهواء؟ ومن هُلك بالهواء؟

فقال الغلام:الذي خلق من الهواء سيدنا عيسى عليه السلام والذي حفظ بالهواء سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وأما الذي هلك بالهواء فهم قوم هود.

فقال الحجاج: فأخبرني عمن خُلق من الخشب؟ والذي حُفظ بالخشب؟ والذي هُلك بالخشب؟

فقال الغلام: الذي خلق من خشب هي الحية خلقت من عصى سيدنا موسى عليه السلام والذي حفظ بالخشب سيدنا نوح عليه السلام والذي هلك بالخشب سيدنا زكريا عليه السلام.

فقال الحجاج: فأخـــبرني عمن ُلق من ماء؟ومن نُجي من الماء؟ومن هُلك بالماء؟

فقال الغلام: الذي خلق من الماء فهو أبونا أدم عليه السلام والذي نجا من الماء سيدنا موسى عليه السلام والذي هلك بالماء فرعون.

فقال الحجاج: فأخبرني عمن خُلق من النار؟ومن حُفظ من النار؟

فقال الغلام: الذي خلق من النار إبليس عليه لعنة الله والذي نجا من النار إسيدنا براهيم عليه السلام.

فقال الحجاج: فأخبرني عن ـنهار الجنة وعددها؟

فقال الغلام: أنهار الجنة كثيرة لايعلم عددها إلا الله تعالى كما قال في كتابه العزيز(فيها أنهار من ماء غير آسن وآنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذ للشاربين وأنهار من عسل مصفى) وكلها تجري في محل واحد لايختلط بعضها ببعض.

فقال الحجاج: فأخـــبرني عن العـــقل؟والإيـــمان؟ والحياء؟ والسخاء؟

والشجاعه؟ والكرم؟ والشهوة؟

فقال الغلام: إن الله قسم العقل عشرة أقسام جعل تسعة في الرجل وواحدا في النساء.والإيمان عشرة تسعة في اليمن وواحد في بقية الدنيا.والحياء عشرة تسعة في النساء وواحدا في الرجال.والسخاء عشرة تسعه في الرجل وواحدا في النساء.والشجاعة والكرم عشرة تسعة في العرب وواحدا في بقية الدنيا.والشهوة عشر أقسام تسعة في النساء وواحدا في الرجال.

فقال الحجاج: فأخبرني مايجب على المسلم في السنة مرة؟

فقال الغلام: صيام رمضان.

فقال الحجاج: ومايجب في العمر مرة؟

فقال الغلام: الحج إلى بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا.

فقال الحجاج: فأخبرني عن أقرب شي إليك؟

فقال الغلام: الآخرة.

ثم قال الحجاج: سبحان الله يأتي الحكمة من يشاء من عباده مارأيت صبيا أتاه الله العلم والعقل والذكاء مثل هذا الغلام.

فقال الغلام: أنا أهل لذلك.

فقال الحجاج: فمن أحق الناس بالخلافة؟

فقال الغلام: الذي يعفو ويصفح ويعدل بين الناس.

فقال الحجاج: فأخبرني عن النساء؟

فقال الغلام: اتسألني عن النساء وأنا صغير لم أطلع بعد على أحوالهن ورغائبهن ومعاشرتهن ولكني سأذكر لك المشهور من أمورهن..فبنت العشر سنين من الحور العين..وبنت العشرين نزهة للناظرين..وبنت الثلاثين جنة نعيم..وبنت الأربعين شحم ولين وبنت الخمسين بنات وبنين..وبنت الستين مابها فائدة للسائلين... وبنت السبعين عجوز في الغابرين..

فقال الحجاج: أخبرني ياغلام عن أجود بيت قالته العرب في الكرم

فقال الغلام: هو بيت حاتم طي الذي يقول فيه:

واكرم الضيف حتما حين يطرقني قبل العيال على عسر وإيسار

فقال الحجاج: أحسنت ياغلام وأجملت وقد غمرتنا ببحر علمك ثم أمر له بألف دينار وكسوة حسنة وجارية وسيف وفرس.

وقال الحجاج في نفسه: إن أخذ الفرس نجا وإن أخذ غيرها قتلته فلما قدمها له.

ثم قال الحجاج: خذ ماتريد ياغلام.

فقال الغلام: إن كنت تخيرني فأنني اختار الفرس أما إن كنت ابن حلال فتعطيني الجميع.

فقال الحجاج: خذهم لابارك الله لك فيهم.

فقال الغلام: قبلتهم لا أخلف الله عليك غيرهم ولا جمعني بك مرة أخرى.

ثم قال الغلام: من أين أخرج ياحجاج؟

فأجابه الحجاج: أخرج من ذاك الباب فهو باب السلام.

فقال الجلساء للحجاج: هذا جلف من أجلاف العرب أتى إليك وسبك وأخذ مالك فتدله على باب السلام ولم تدله على باب النقمة والعذاب؟

فقال الحجاج: إنّه استشارني والمستشار مؤتمن.

وخرج الغلام من بين يدي الحجاج سالما غانما بفضل ذكائه وفهمه ومعرفته وحسن إطلاعه.

الحجاج وأهل العراق

قال عبد الملك بن عمير: فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة إذا أتانا آت فقال: هذا الحجاج قدم أميرا على العراق،فتطاولت الأعناق نحوه وأفرجوا له عن صحن المسجد،فإذا نحن به يمشي وعليه عمامة حمراء متلثما بها،ثم صعد المنبر،فلم يتكلم كلمة واحدة، ولا نطق بحرف حتى غصّ المسجد بأهله،وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة، فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه عليهم الخز والديباج،قال: وكان في المسجد يومئذ عمير بن صابئ التميمي،فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له:أسبه لكم؟قال:اكفف حتى نسمع ما يقول،فأبى ابن صابئ وقال:لعن الله بني أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق،وضاع العراق حيث يكون هذا أميرها، فوالله لو دام هذا أميرا كما هو ما بشيء،والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا، فلما رأى المسجد قد غصّ بأهله قال: هل اجتمعتم؟ فلم يرد عليه أحد شيئا،فقال: إني لا أعرف قدر اجتماعكم،فهل اجتمعتم؟فقال رجل من القوم:قد اجتمنا أصلح الله الأمير، فكشف عن لثامه،ونهض قائما فكان أول شيء نطق به أن قال: والله إني لأرى رؤوسا أينعت وقد حان قطافها وإني

لصاحبها،وإني لأرى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى، والله يا أهل العراق إن أمير المؤمنين نثر كنانة بين يديه فعجم عيدانها،فوجدني أمرّها عودا،وأصلبها مكسرا،فرماكم بي لأنكم طالما أثرتم الفتنة،واضطجعتهم في مراقد الضلال،والله لأنكلن بكم في البلاد، ولأجعلنكم مثلا في كل واد،ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل،وإني يا أهل العراق لا أعد إلا وفيت، ولا أعزم إلا أمضيت، فإياي وهذه الزرافات والجماعات، وقيل وقال وكان ويكون،يا أهل العراق: إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان،فكفرت بأنعم الله،فأتاها وعيد القرى من ربّها،فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولاتميلوا،وتابعوا وبايعوا واجتمعوا واستمعوا، فليس مني الإهدار والإكثار إنما هو هذا السيف ثم لا ينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم، ويقيم له أودكم ثم إني وجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة،ووجدت الكذب مع الفجور،ووجدت الفجور في النار،وقد وجهني أمير المؤمنين إليكم، وأمرني أن أنفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوّكم مع المهلب بن أبي صفرة، وإني أقسم بالله لا أجد رجلا ينخلّف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه، يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين:

فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم، فلم يرد أحد شيئا، فقال الحجاج: اكفف يا غلام، ثم أقبل على الناس فقال: أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيئا عليه؟هذا أدبكم الذي تأدبتم به،أما والله لأؤدبنكم أدبا غير هذا الأدب، اقرأ يا غلام، فقرأ حتى بلغ قوله: سلام عليكم فلم يبد أحد إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام،ثم نزل بعدما فرغ من خطبته وقراءته،ووضع للناس عطاياهم، فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يؤعش، فقال: أيها الأمير إني على الضعف كما ترى، ولي ابن هو أقوى مني على الأسفار،أفتقبله بديلا مني؟فقال: نقبله أيها الشيخ، فلما ولى قال له قائل: أتدري من هذا أيها الأمير؟ قال: لا.قال هذا ابن صابئ الذي يقول:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول، فوطئ في بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه، فقال الحجاج: ردزه فلما ردوه قال له الحجاج: أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل الدار؟إن قتلك أيها الشيخ فيه صلاحا للمسلمين.يا سياف اضرب عنقه،فضرب عنقه.

الحجاج وهند بنت المهلب

كانت هند بنت المهلب بن أبي صفرة ذات جمال وذكاء وفصاحة ولما ذكروها عند الحجاج بن يوسف الثقفى،أنفذ إليها يخطبها وبذل لها مالا جزيلا، تزوّج بها رغما عنها وعن أبيها، وقد وشرط لها عليه بعد الصدق مائتي ألف درهم ودخل بها. ثم انحدرت بها من بلدة أبيها (المعرة) إلى العراق فأقامت معه ماشاء الله.وذات مرة وبعد مرور سنة على زواجهما جلست هند أمام المرآة تترنم بهذين البيتين:

وما هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحلّلها بغل

فإن ولدت مهر فلله درها وإن ولدت بغل فقد جاء به البغل

فسمعها الحجاج فغضب وهو داخل عليها دون أن تحس به ، فعاد إلى مجلسه من فوره وأمر حاجبه عبد بن طاهر وقال له إذهب إلي هند وبلغها أني طلقتها في كلمتين فقط لو زدت ثالثة قطعت لسانك،وأعطها هذه المائتي ألف درهم،فذهب إليها ابن طاهر وقال لها:

كنتِ..فبنتِ.

كنتِ يعني كنتِ زوجته،فبنتِ يعني أصبحت طالق..

فردت على الخادم قائلة:

كنا فما فرحنا ..فبنا فما حزنا ..

ثم قالتله: خذ هذه المائتي ألف درهم التي جئت بها لك بشارة بخلاصي من كلب بني ثقيف.

وقيل أنها بعد طلاقها من الحجاج لم يجرؤ أحد على خطبتها وهي لم تقبل بمن هو أقل من الحجاج ، فأغرت بعض الشعراء بالمال فامتدحوها وامتدحوا جمالها عند عبد الملك بن مروان فأعجب بها وطلب الزواج منها وأرسل إلى عامله على الحجاز ليخَبرها له..أي يصفها له ، فأرسل له يقول إنها لاعيب فيها ، فلما خطبها كتبت له وقالت له إن الإناء قد ولغ فيه الكلب،فارسل لها أغسليه سبعآ إحداهن بالتراب..ووافقت وبعثت إليه برسالة أخرى تقول:أوافق بشرط، هو أن يقود الحجاج محملي من المعرى إلى بلدك التي أنت فيها، ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولّا، فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا، وأنفذ الى الحجاج وأمره بذلك، فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتثل الأمر و لم يخالف، وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهز،فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند، فركبت هند محمل الزفاف، وركب حولها جواريها وخدمها، وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تتواغد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها، ثم

قالت للهيفاء: يا داية اكشفي لي سجف المحمل، فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج، فضحكت عليه فأنشأ يقول:

فإن تضحكي منّي فيا طول ليلة تركتك فيها ماقباء المفرّج

فأجابته هند تقول:

وما نبالي إذا أرواحنا سلمت بما فقدناه من مالٍ ومن نشب

فالمال مكتسبٌ والعز مرتجعٌ إذا النفوس وقاها اللّه من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة،فإذا بها توقع من يدها ديناراً متعمدة ذلك،فقالت للحجاج يا غلام لقد وقع مني درهم فأعطنيه فأخذه الحجاج فقال لها إنه دينار وليس درهما. فنظرت إليه وقالت: الحمد للّه الذي أبدلني بدل الدرهم دينارا.. ففهمها الحجاج وأسرها في نفسه أي أنها تزوجت خيرا منه..وعند وصولهم تأخر الحجاج في الأسطبل والناس يتجهزون للوليمة فأرسل إليه الخليفة ليطلب حضوره فرد عليه:

ربتني أمي على ألا آكل فضلات الرجال.

ففهم الخليفة وأمر أن تدخل زوجته بأحد القصور ولم يقربها إلا أنه كان يزورها كل يوم بعد صلاة العصر،فعلمت هي بسبب عدم دخوله عليها، فاحتالت لذلك وأمرت الجواري أن يخبروها بقدومه لأنها أرسلت إليه أنها بحاجة له في أمر.

فتعمدت قطع عقد اللؤلؤ عند دخوله ورفعت ثوبها لتجمع فيه اللآليء فلما رآها عبد الملك..أثارته روعتها وحسن جمالها وتندم لعدم دخوله بها لكلمة الحجاج تلك..

قصة الحجاج مع الغضبان

قال الحجاج للغضبان: يا غضبان، إني موجهك إلى ابن الأشعث وافداً، فماذا أنت قائل له؟ قال: أصلح الله الأمير! أقول ما يرديه ويؤذيه ويضنيه! فقال: إني أظنك لا تقوله له ما قلت، وكأني بصوتك يجلجل في قصري هذا، قال: كلا، أصلح الله الأمير!

سأحدد له لساني، وأجريه في ميداني. فعند ذلك أمره بالمسير إلى كرمان، فلما توجه إلى ابن الأشعث، بعث الحجاج عيناً عليه وكان يفعل ذلك مع جميع رسله.

فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له: إن الحجاج قد هم بخلعك وعزلك، فخذ حذرك، وتغد به قبل أن يتعشى بك، فأخذ حذره عند ذلك .ثم أمر للغضبان بجائزة سنية، وخلع فاخرج فأخذها وانصرف راجعاً. فأتي إلى رملة كرمان في شدة الحر والقيظ وهي رملة شديدة بالرمضاء فضرب قبته فيها، وحط عن رواحله فبينما هو كذلك إذا بأعرابي من بني بكر بن وائل، قد أقبل على بعير، قاصداً نحوه، وقد اشتد الحر، وحميت الغزالة وقت الظهيرة، وقد ظمى ظمأ شديداً فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، فقال الغضبان: هذه سنة وردها فريضة، قد فاز قائلها وخسر تاركها، ما

حاجتك يا أعرابي؟ فقال: أصابتني الرمضاء وشدة الحرة والظمأ، فتيممت قبتك، وأرجو بركتها.

قال الغضبان: فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم!

قال: ايتهن تعني؟ قال: قبة الأمير ابن الأشعث! قال: تلك لا يوصل إليها! قال: إن هذه أمنع منها! فقال الأعرابي: ما اسمك يا عبدالله؟ قال: آخذ، فقال: وما تعطي؟ قال: أكره أن يكون لي اسمان!

قال: بالله من أين أتيت؟ قال: من الأرض الذلول! قال: فأين تريد؟ قال: أمشي في مناكبها أمشي في مناكبها، وآكل من رزق الله الذي أخرج لعباده منها، فقال الأعرابي وهو يرفع رجلاً، ويضع أخرى من شدة الحر أتقرض الشعر؟ قال: إنما يقرض الفأر! قال: أفتنشد؟ فقال: إنما تنشد الضالة! قال: أفتسجع؟ قال: إنما تسجع الحمامة! قال: أفتقول؟ قال: إنما يقول الأمير! قال الأعرابي: تالله ما رأيت مثلك قط. قال الغضبان: بل رأيت ولكنك نسيت، قال الأعرابي: فكيف أقول؟ قال: أخذتك الغول، في العاقول وأنت قائم تبول. قال الأعرابي: أتأذن لي أن أدخل عليك؟ قال الغضبان: وراؤك أوسع لك، قال الأعرابي: قد أحرقتني الشمس. قال الغضبان: الآن يفئ عليك الفئ إذا غربت. قال الأعرابي: إن الرمضاء قد أحرقت قدمي. قال الغضبان: بل عليها تبرد. قال الأعرابي: إن الوهج

شديد.قال الغضبان: ما لي عليه سلطان. قال الأعرابي: إني والله ما أريد طعامك ولا شرابك. قال الغضبان: لا تعرض بهما، فوالله لا تذوقهما.قال الأعرابي: وما عليك لو ذقتهما؟ قال الغضبان: نأكل ونشبع .فإن فضل شئ من الأكرياء والغلمان، فالكلب أحق به منك.قال الأعرابي: سبحان الله! قال الغضبان: نعم، من قبل أن يطلع رأسك وأضراسك إلى الدنيا، قال الأعرابي: ما عندك إلا ما أرى؟ قال الغضبان: بل عندي هراوتان أضرب بهما رأسك حتى ينتثر دماغك. فاستغاث الأعرابي: يا آل حارث بن كعب، قال الغضبان: بئس الشيخ أنت! فوالله ما ظلمك أحد فتستغيث!

فقال الأعرابي: ما رأيت رجلاً أقسى منك، أتيتك مستغيثاً فحجبتني وطردتني، هلا أدخلتني قبتك وطارحتني القريض؟ قال: مالي بمحادثتك من حاجة!

فقال الأعرابي: بالله ما اسمك؟ ومن أنت؟ فقال: أنا الغضبان بن القبعثري.

قال: اسمان منكران، خلقا من غضب! قال: قف متوكئاً على باب قبتي برجلك هذه العوجاء! فقال: قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك هذه الشنعاء!

قال الغضبان: لو كنت حاكـــماً لجرت في حكومتك، لأن رجلي في

الظل قاعدة، ورجلك في الرمضاء قائمة.

قال الأعرابي: إني لأظن عنصرك فاسداً.قال: ما أقدرني على إصَلاحه!

فقال الأعرابي: لا أرضاك الله ولا حياك، ثم ولي وهو يقول:

لا بارك الله في قوم تسودهم

إني أظنك –والرحمن –شيطاناً

أتيت قبته أرجو ضيافته

فأظهر الشيخ ذو القرنين حرماناً

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الأشعث وبين الأعرابي قال له الحجاج: يا غضبان، كيف وجدت أرض كرمان؟ قال: أصلح الله الأمير! أرض يابسة، الناس بها ضعاف إن كثروا جاعوا، وإن قلوا ضاعوا!

فقال له الحجاج: ألست صاحب الكلمة التي بلغني أنك قلتها لابن الأشعث: (تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك)؟ فوالله لأحبسنك عن الوسادة، ولأنزلنك عن الجياد، ولأشهرنك في البلاد.

قال: الأمان أيها الأمير! فوالله ما ضرتْ من قِيلتْ فيه، ولا نفعت من قيلت له!

فقال له: ألم أقل لك: ؛كأني بصوتك يجلجل في قصري هذا! اذهبوا

به إلى السجن. فذهبوا به، فقيد وسجن، فمكث ما شاء الله.

ثم إن الحجاج ابتنى الخضراء بواسط فأعجب بها، فقال لمن حوله: كيف ترون قبتي هذه وبناءها؟ فقالوا: أيها الأمير، إنها حصينة مباركة، منيعة نضرة بهجة، قليل عيبها، كثير خيرها، قال: لم لم تخبروني بنصح؟ قالوا: لا يصفها لك إلا الغضبان..فبعث إلى الغضبان فأحضره، وقال له: كيف ترى قبتي هذه وبناءها؟ قال: أصلح الله الأمير، بنيتها في غير بلدك لا لك ولا لولدك، لا تدوم لك، ولا يسكنها وارثك، ولا تبقى لك، وما أنت لها بباق! فقال الحجاج: فقال الحجاج: قد صدق الغضبان، ردوه إلى السجن.

فلما حملوه قال: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين).

فقال: اضربوا به الأرض، فلما ضربوا به.

فقال: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى).

فقال: أنزلوه، فلما أنزلوه قال: (رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين).

فقال: جروه.

فأقبلوا يجرونه وهو يقول: (بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم).

فقال الحجاج: ويلكم اتركوه، فقد غلبني دهاء وخبثاً، ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلى سبيله.

أسد عليّ وفي الحروب نعامة

قَدِم الحجاج على الوليد بن عبد الملك؛فدخل وعليه درع وعمامة سوداء وقوس عربية وكنانة، فبعثت إليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان،فقالت: من هذا الأعرابي المُسْتَلْئم في السلاح عندك،وأنت في غِلالة(شعار تحت الثوب)! فبعث إليها: إنّه الحجاج. فأعادت الرسول إليه،فقال: تقول لك: والله لأنْ يخلو بك ملك الموت أحب اليّ من أن يخلو بك الحجاج!فأخبره الوليد وهو يمازحه؛فقال: يا أمير المؤمنين: دع عنك مُفاكهة النساء بزخْرف القول؛فإنّما المرأة ريحانة، وليست قهرمانة (وكيلة حافظة) فلا تُطلعها على سرّك، ومكايدة عدوّك.

فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج؛ فقالت: يا أمير المؤمنين حاجتي إليك أن تأمره غدا بأن يأتيني مستلئما، ففعل ذلك. وأتاه الحجاج؛فحجبته ثم أدخلته ولم تأذنْ له بالقعود، فلم يزلْ قائما، ثم قالت: إيه يا حجاج!أنت الممتنُّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزّبير وابن الأشعث! أما والله لولا أن الله علم أنك شر خلقه ما ابْتَلَاك برمي الكعبة الحرام ولا بقتل ابن ذات النّطاقين؛أوّل مولود في الاسلام.

وأما نهيُك أمير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ أوطاره،فان كُنّ

يلْدنَ مثلك فما أحقه بالقبول منك،وان كن يلدن مثله فهو غير قابل لقولك. أما والله لقد نَفَض نساء الطيب من غدائرهن والْحَلْى من أيديهن وأرجلهن فبِعْنه في أعطية أهل الشام،حين كنت في أضيق من القَرَن(الجُعبة من الجلد) ،فقد أظَلّتك رماحهم وأثخنك كفاحهم، وحين كان أمير المؤمنين أحبّ اليهم من آبائهم وأبنائهم،فأنجاك الله من عدوّ أمير المؤمنين بحبّهم إياه؛ قاتل الله القائل حين نظر إليك وسِنان غزالة(امرأة شيب الخارجي) بين كتفيك:

أسدٌعلي وفي الحروب نعامةٌ فَتْخاء تنفِرُ من صفير الصّافرِ

هلاْ كرَرْت على غَزاله في الْوغى بل كان قَبْلُك في جوانَحِ طائرِ

ثم قالت لجواريها: أخْرِجْنه؛فأُخرج!

فدخل على الوليد،فقال: ما كنت فيه يا حجاج؟قال: يا أمير المؤمنين: ما سكتت حتى ظننت نفسي قد ذهبت،وحتى كان بطن الأرض أحبّ إليّ من ظهرها، وما ظننت أن امرأة تبلغ بلاغتها،وتحسن فصاحتها! قال:إنها بن عبد العزيز!.

غلامي الحجاج

كان للحجاج بن يوسف الثقفي غلامان، أحدهم أبيض والثاني أسود، فقال لهما كل واحد منكما يمدح نفسه ويذم صاحبه ومن يجيد سوف أعطيه جائزة قيمة:

فقال الأبيض:

ألم تر أن البدر لا شيء مثله وأن سواد الفحم حمل بدرهم

وأن رجال الله بيض وجوههم وأن الســود أهل جهنم

فقال الأسود:

ألم تر أن المسك لا شيء مثله وأن بياض اللفت حمـل بدرهم

و أن سواد العين لا شك نورها وأن بياض العين لا شيء فاعلم

فضحك الحجاج و كافأهما معا.

الحجاج والغلمان الثلاثة

يحكى أن الحجاج قد أعلن أنه سيبعث بأحد حارسه ليتجول بعد العشاء وإن وجد أحدًا في الشارع ؛ فسيقوم بقطع رأسه دون رحمة. وبينما كان الحارس يقضي مهمته في التجوال بالشوارع ليلاً ؛ قابله ثلاثة غلمان يترنحون وكأن هناك أثارًا لشربهم الخمر ، حينها قال الحارس بصرامة: مَن أنتم لتقوموا بمخالفة أمر الأمير ؟ لم يشعر الغلمان بالخوف من أسلوب الحارس؛ بل وقفوا صامدين يُجيبون على سؤال الحارس بكل بلاغة.

أجاب الغلام الأول قائلاً :

أنا ابن من دانت الرقاب له...ما بين مخزومها وهاشمها

تأتي إليه الرقاب صاغرة....يأخذ من مالها ومن دمها

وهنا قام الحارس بالإمساك عن قتله لأنه اعتقد أنه قد يكون أحد أقارب أمير المؤمنين.

وقام الغلام الثاني بالإجابة البليغة على نهج زميله الأول ؛ حيث قال:

أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدره.. وإن نزلت يومًا فسوف تعود

ترى الناس أفواجًا على ضوء ناره ..فمنهم قيام حولها وقعود

فامتـــنع الحـــارس أيضًا عن قتـــله لأنه ظنّ أنه ابن أحد أشراف

العرب.

لم يكن الصبي الثالث أقل فصاحة من زميليه ؛ حيث أجاب قائلاً:

أنا ابن الذي خاض الصفوف بعزم..وقومّها بالسيف حتى استقامت

ركاباه لا تنفك رجلاه منهما ..إذا الخيل في يوم الكريهة ولّت

ولم يقم الحارس بقتله اعتقادًا منه أنه أحد أبناء شجعان العرب.

في اليوم التالي قام الحارس برفع شأن الثلاثة غلمان إلى الحجاج الذي أمر بإحضارهم ، وكانت المفاجأة أنه اكتشف أن الغلام الأول ابن حَجّام ؛ وكان الثاني ابن فوال ؛ أما الثالث فكان ابن حائك .

أثارت إجابات الغلمان الثلاثة تعجب الحجاج من تلك الفصاحة التي تحدثوا بها ؛ فنظر إلى جلسائه قائلاً:علموا أولادكم الأدب فوالله لولا فصاحتهم لضُربت أعناقهم ، وبالفعل أمر الحجاج بالعفو عنهم ، ثم قال مُنشدًا:

كن ابن مَن شئت واكتسب أدبًا ..يُغنيك محموده عن النسبِ

إن الفتى مَن يقول(ها أنا ذا)..ليس الفتى مَن يقول(كان أبي)

استطاع الثلاثة غلمان أن ينقذوا رقابهم من سيوف الحجاج بفصاحة لسانهم.

كيف رأيتم فراستي في الأعرابي

قدم على الحجاج ابن عم له من البادية، فنظر اليه يولّي الناس؛ فقال له: أيها الأمير؛ لم لا توليني بعض هذا الحضر؟فقال الحجاج: هؤلاء يكتبون ويحسبون وأنت لا تحسب ولا تكتب!فغضب الأعرابي، وقال: بلى إني لأحسب منهم حَسْبَا (حسابا)، وأكتبُ منهم كَتْبا!فقال الحجاج: فان كان كما تزعم فاقسم ثلاثة دارهم بين أربعة أنفس، فما زال يقول: ثلاثة دارهم بين أربعة؛ثلاثة بين أربعة، لكل واحد منهم درهم يبقى الرابع بلا شيء! كم أيّها الأمير؟ قال:هم أربعة، قال: نعم! أيها الأمير، قد وقَفْتُ على الحساب، لكل واحد منهم درهم،وأنا أعطي الرابع منهم درهما من عندي! وضرب بيده الى تِكَّتِه(رباط السراويل)، فاستخرج منها درهما، وقال:أيكم الرابع؟ فوالله ما رأيت كاليوم زُورَا مثل حساب هؤلاء الحَضرِيين!

فضحك الحجاج ومن معه،وذهب بهم الضحكُ كلّ مذهب، ثم قال الحجاج: إن أهل أصبهان أخرجوا خراجهم ثلاث سنين، كلما أتاهم والٍ أعجزوه، فلأرمينهم بهذا، فأَخْلق به أن يُنجب!

فكتب عَهْدَه على أصبهان..فلما خرج استقبله أهل أصبهان واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبّلون يدخ ورجله وقالو: أعرابي بدويّ!

ما يكون منه!

فلما أكثروا عليه،قال: أما يَشْغَلكُم ما أَخْرَجني له الأمير؟.

فلما استقرّ في داره بأصبهان جمع أهلها، فقال: ما لكم تعصون ربكم وتُغْضبون أميركم، وتُنْقِصون خراجكم؟، فقال قائلهم: جَوْرَ من كان قبلك، وظلم من ظلم! قال: فما الأمر الذي فيه صلاحُكم؟،فقالوا: تؤخْرُنا بالخراج ثمانية أشهر ونجمعه لك! قال: لكم عشرة وتأتوني بعشرة ضُمناء..فأتوه بهم، فلما توثق منهم أمهلهم؛وكلما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما نُدِبوا (دعاهم وحثهم)) إليه من الأجل وطال ذلك، فجمع الضُمنَاء ؛ وقال لهم: المال! ، فقالوا: أصابنا من الآفة نقص ذلك!..فلما رأي ذلك منهم آلى ألا يفطر..وكان في شهر رمضان.. حتى يُجمَع ماله أو يضربَ أعناقهم!

ثم قدّم أحدهم وضرب عُنُقه، وكتب عليه. فلان ابن فلان أدّى ما عليهّ وجعل رأسه في بَدْرة (كيس يوضع به عشرة ألف درهم) وختم عليها! ثم قدّم الثاني ففعل به مثل ذلك!فلما رأي القوم الرؤوس تجزّ، و تجعل في الأكياس بدلا من البدَر، قالوا: أيها الأمير؛توقف علينا حتى نحضر لك المال؛ففعل،فأحضروه في أسرع وقت!..فبلغ ذلك الحجاج فقال: إنا معشر آل محمد–يعني جدّه–ولدنا

نجيب،فكيف رأيتم فراستي في الأعرابي؟! و لم يزل واليّا على أصفهان حتى مات الحجاج!..

الإمام أبو حنيفة النعمان والفتي الجار

كان للإمام أبي حنيفة جار شاب بالكوفة إسكاف،يعمل نهاره أجمع حتى إذا جنه الليل رجع إلى منزله،وقد حمل لحما فطبخه،أو سمكة فيشويها، ثم لا يزال يشرب(أي يشرب خمر)حتى إذا دب الشراب فيه (أي سكر) غنى بصوت وهو يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا .. ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب (يسكر)ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم ، وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل يوم ،كان أبو حنيفة يصلي الليل كله،فقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه،فقيل:أخذه العسعس(الشرطة)منذ ليال وهو محبوس،فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من غد وركب بغلته واستاذن على الأمير، قال الأمير (والي الكوفة) أنذاك:إذنوا له وأقبلوا به راكبا،ولا تدعوه ينزل (من بغلته)حتى يطأ البساط ففعل فلم يزل الأمير يوسع له من مجلسه،وقال:ما حاجتك يا إمام؟! قال:لي جار إسكاف أخذه العسعس منذ ليال، يأمر الأمير بتخليته،فقال:نعم وكل من أخذ في تلك الليـــلة إلى يومنا هذا فأمر بتخليتهم أجمعين إكراما للإمام أبي حنيفة ، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه فقال :يا فتى أأضعناك؟!

فقال: لا بل حفظت ورعيت ، وجزاك الله خيرا عن حرمة الجوار ورعاية الحق وتاب الفتى ولم يعد إلى ما كان عليه.

قصة واصل بن عطاء مع الخوارج

يروى عن واصل بن عطاء أنه كان في قوم على سفر، فإذا بخيول الخوارج تطوقهم، فأثرن بهم نقعا، فوسطن بهم جمعاً، فذعر القوم؛فقال لهم لا عليكم ودعوا الأمر لي.فلما اقتربوا صاحوا بهم من القوم؟ أجاب واصل:نحن قوم من المشركين. ولو كان الجواب نحن من المسلمين لقتلوهم. وتابع واصل قد طلبنا إجارتكم. أجاب مقاتلو الخوارج لكم ذلك. قال واصل ونريد أن تعلموننا مما علمكم اللّه؟ وكان يريد أن يستشهد بالآية السادسة من سورة التوبة(وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ). قال الخوارج أنتم آمنون، فانطلقوا في حال سبيلكم.قال واصل لا قبل أن تسمعونا كلام اللّه ثم تبلغوننا مأمننا. وكان يريد تذكيرهم ببقية الآية(ثم أبلغه مأمنه)؛ فالتفت الخوارج إلى بعضهم وقالوا قد صدقوا، ثم مشوا معهم في حراسة مشددة، طول الطريق حتى وصل عطاء وجماعته حيث يريدون.

وردت القصة في كتاب الكامل للمبرد. وهي قصة تروي أمرين في غاية الخطورة:اجتماع(التقوى) مع (الجهل) والتشدد مع سفك دماء المسلمين في خلطة شديدة التفجير. وفي الحديث هلك المتنطعون، وإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى. ويذكر التاريخ أنهم كانوا

مقاتلين أشداء،وخرجت منهم فرق في غاية الخطر على الأمة الإسلامية، مثل الأزارقة، لأنهم كانوا يوفرون دماء المشركين، كما وردت في خدعة واصل معهم، ويستبيحون ويسفكون دماء المسلمين. وكانوا يؤمنون بالخروج المسلح على الحاكم، ولذلك أتعبوا الدولة الأموية فنزفت من جراحهم حتى الموت. وجاء في الحديث ما يصفهم أنهم سيكونون على غاية من العبادة، ولكن بدون فقه .وفي الحديث أن خيار الناس الذين يدخلون الإسلام ويشبهون معادن الذهب والفضة، من كان ذو عقل راجح، قبل دخوله الإسلام، لأنه سيفيد المسلمين (تجدون الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) وشبه الحديث مصير الخوارج مثل السهم الذي يدخل الصيد، ثم يخرج منه فلا يثبت فيه.يريد الحديث أن يقول إنهم يخرجون من الإسلام على نحو غريب غير ظاهر، وهو التمادي في الأشياء، لأن السهم يقصد منه، أن يستقر في الصيد وليس أن يخرج منه. وهم في شدة مبالغتهم في الأشياء أفقدوا أنفسهم التوازن، وخسروا العدل، وهو الميزان الذي قامت عليه السموات والأرض.

فراسة أعرابي

قال أبو السّمراء: خرجنا مع الأمير عبد الله بن طاهر متوجهين إلى مصر، حتى إذا كنّا بين الرّملة ودمشق إذا نحن بأعرابي قد اعترض،فإذا شيخ فيه بقية، على بعير له أوْرق، فسلم علينا فرددنا عليه السلام، وكان معنا إسحق بن إبراهيم الرافقي، وإسحق بن أبي ربعيّ، ونحن نساير الأمير، وكنا يومئذ أفْرَه من الأمير دَوَابَّ وأجوده منه كُسَا.فجعل الأعرابي ينظرُ في وجوهنا، فقلت: يا شيخ؛قد ألححت في النظر! أعرفت شيئا أم أنكرته؟ قال: لا، والله ما عرفتكم قبل يومي هذا، ولا أنكرتكم لسوء أراه فيكم؛ولكنّي رجلٌ حسنُ الفراسة في الناس،جيد المعرفة بهم؛فأشرت له إلى اسحق بن أبي ربعي،فقلت: ما تقول في هذا؟فقال:

أرى كاتبا دَاهي الكتابة بينٌ عليه وتأديبُ العراق منيرُ
له حركاتٌ قد يشاهدْنَ إنّه عليم بتقسيط الخراج بصيرُ

ونظر إلى اسحق بن إبراهيم الرافقي، فقال:

ومُظهر نُسْكِ ما عليه ضميره يحبُّ الهدايا بالرجال مَكورُ
إخال به جبنًا وبُخْلا وشيمةً تُخبّرت عنه انه لَوزيرُ

ثم نظر إليّ؛وأنشأ يقول:

وهذا نديمٌ للأمير ومُؤْنِس يكونُ له بالقرب منه سرورُ

وأحسبه للشعرِ والعلم راويًا فبعض نديم مرةً وسميرُ

ثم نظر إلى الأمير؛ وأنشأ يقول:

وهذا الأمير المرتجى سَيْب كَفّه فما إن له فيمن رأيتُ نظيرُ

عليه رداءٌ من جمال وهَيْبة ووجه بإدراك النجاح بشيرُ

لقد عُصم الاسلام منه بذائد به عاش معروفٌ ومات نكيرُ

ألا إنما عبد الإلهِ بن طاهر لنا والدٌ برٌّ بنا وأمير

فوقع ذلك من الأمير عبد الله أحسن موقع، واعجبه ما قال الشيخ، فأمر له بخمسمائة دينار، وأمره أن يصحبه.

اللّص الفقيه

قال المعدل البصري: كنت جالسا عند عبد الملك بن عبد العزيز الماجشون،فجاءه بعض جلسائه، فقال:أعجوبة. قال: ما هي؟ قال: خرجت إلى حائطي بالغابة،فلما أن أصحرت وبعدت عن بيوت المدينة تعرض لي رجل، فقال:اخلع ثيابك.فقلت:و ما يدعوني إلى خلع ثيابي؟قال:أنا أولى بها منك.قلت:ومن أين؟ قال: لأني أخوك وأنا عريان وأنت مكس.قلت:فالمواساة؟قال:كلا قد لبستها برهة،وأنا أريد أن ألبسها كما لبستها.قلت:فتعريني وتبدى عورتي.قال: لا بأس بذلك قد روينا عن مالك أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسل عريانا.قلت: فليقاني الناس فيرون عورتي؟ قال:لو كان الناس يرونك في هذه الطريق ما عرضت لك فيها،فقلت:أراك ظريفا،فدعني حتى أمضي إلى حائطي وأنزع هذه الثياب، فأوجه بها إليك.قال:كلا أردت أن توجه إليّ أربعة من عبيدك،فيحملوني إلى السلطان، فيحبسني،ويمزق جلدي، ويطرح في رجليّ القيد،قلت: كلا.أحلف لك إيمانا أنى أوفي لك بما وعدتك ولا أسوءك.قال:كلا روينا عن مالك أنه قال: لا تلتزم الإيمان التي يحلف بها اللصوص. قلت:فأحلف إني لا أحتال في إيماني هذه. قال: هذه يمين مركبة على اللصوص.قلت:فدع المناظرة بيننا،فوالله لأوجهن إليك هذه

الثياب طيبة بها نفسي،فأطرق، ثم رفع رأسه وقال:تدري فيم فكرت؟قلت:لا،قال:تصفحت أمر اللصوص من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا،فم أجد لصّا أخذ تسئمه،وأكره أن أبتدع في الإسلام بدعة يكون عليّ وزرها ووزر من عمل بها بعدي إلى يوم القيامة.اخلع ثيابك.قال:فخلعتها ودفعتها إليه،فأخذها وانصرف.

الأصمعي والأعرابي

يقول الأصمعي دعاني بعض الأعراب الكرام إلى قرى الطعام فخرجت معهم إلى البرية فأتوا بباطية لها أذنين وعليها السمن غارق فجلسنا للأكل فإذا بأعرابي ينسف الأرض نسفا حتى جلس من غير نداء فأخذ السمن يسيل على كوعيه فقلت لأضحكنَّ الحاضرين عليه فقلت يا هذا:

كانك أثلة في أرض هش أتاه وابل من بعد رش

فالتفت إلي بعين مبحلقة وقال لي:الكلم أنثى والجواب ذكر وأنت:

كأنك بعرة في ذيل كبش مدّلاة وذاك الكبش يمش

قال الاصمعي فضحك الحاضرون أكثر مما ضحكوا عليه،فقلت يا أعرابي أتعرف شيئا من الشعر أو ترويه قال: فاشمخر بأنفه ورفع رأسه فقال:كيف لا أعرف الشعر وهو أمي وأبي..قال الأصمعي فغطست في بحور الشعر أبحث عن قافية صعبة أعْجز بها هذا الأعرابي فوجدت أصعب قافيهةعند العرب الواو المجزومة فقلت يا أعرابي اسمع قال نعم، قلت:

قوم برجز عهدناهم سقاهم اللّه من النوّ

فقلت أتدري النوّ ماذا؟ قالَ:

نو تلألأ في دجى ليلةٍ حالكةٍ مظلمةٍ لو

قلت لو ماذا؟ قال:

لو سار فيها فارس لانثنى علي بساط الأرض منطو

قلت منطو ماذا؟قال:

منطو الكشح هضيم الحشا كالباز ينقض من الجوّ

قلت له الجو ماذا؟قال:

جو المساء والريح تعلو به فاشتم ريح الأرض فاعلوّ

قلت اعلوا ماذا؟قال:

فاعلو لما قد عيل من صبره فصار نجوى القوم ينعو

قلت ينعو ماذا؟قال:

ينعو رجال للفناء شرعت كفيت ما لاقوا وما يلقوا

فعلمت أن لا شيء بعد الفناء ولكن أردت أن أثقل عليه

قلت يلقوا ماذا؟ قال:

إن كنت لا تفهم ماقلت فانت عندي رجل بو

قلت وما البو؟قال:

البو سلخ قد حشي جلده بألف قرنان تقوم أو

قلت أو ماذا؟قال:

أو أضرب الرأس بصوانة تقول من ضربتها كو

يقول الأصمعي والله إني خفت أن أقول كو ماذا فيضربني فسكت

ثم قلت له أنت ضيفي الليلة فقال:لا يأبي الكرامة إلا لئيم فقلت لزوجتي اصنعي لنا دجاجة ففعلت فأتيته بها وجئته أنا وزوجتي وابناي وابنتاي وقلت فرق يا بدوي،فقال الرأس للرأس وأعطاني الرأس.وقال الولدان جناحان ولهما الجناحان.والبنتان لهما الرجلان والمرأة لها العجز وأنا الزائر لي الزور وأكل الدجاجة ونحن ننظر إليه وبتنا نتحدث فلما أصبحنا قلت لزوجتي اصنعي لنا خمس دجاجات ففعلت وأتيته بالدجاج وقلت له اقسم يا بدوي فقال:

تريد شفعا أو وترا فقلت :إن الله وتر يحب الوتر ، فقال كأنك تريدبالفرد.فقلت نعم فقال:أنت وزوجتك ودجاجة،وابناك ودجاجة وبنتاك ودجاجة،وأنا ودجاجتين.فقلت لا أرضي بهذه القسمة فقال: كأنك تريد شفعا.فقلت نعم فقال:أنت وولداك ودجاجة وزوجتك وبنتاها ودجاجة،وأنا وثلاث دجاجات،ووالله لا أحول عن هذه القسم،قال الأصمعي فغلبني مرتين في الشعر وفي الدجاج ثم انصرف..

الأصمعي وأحد الأعراب

وقف أعرابيّ في طائفة من أهل الأدب والفضل، وكان الأصمعي واحدا منهم، فقال: أفيكم الأصمعي الشاعر؟ قال الأصمعي: أنا ذاك. فاستأذن عليهم وجلس وقال: يا أصمعي أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أثقفهم معرفة بالشعر والعربية وحكايات الأعراب؟

فقال الأصمعي: ولكنّ بينهم من هو أعلم مني ومن هو دوني. قال الأعرابي: أفلا انشدني من شعر أهل الحضر؟ فأنشد الأصمعي شعرا لرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك:

أمسلم أنت البحر إن جاء وارد وليثّ إذا ما الحرب طار عقابها

وأنت كسيف الهند وإنّي إن غدت حوادث من حرب يعب عبابها

وما خلقت أكرومة في امرئ له ولا غاية إلّا إليك مآبها

كأنك ديّان عليها موكل بها وعلى كفّيك يجري حسابها

إليك رحلنا العيس إذا لم نجد لها أخا ثقة يرجى لديه ثوابها

عند ذلك تبسّم الأعرابي وهزّ رأسه، وقال: يا أصمعي هذا شعر مهلهل خلق النسيج خطؤه أكثر صوابه يغطّي عيوبه حسن الرويّ ورواية المنشد، يشبّهون الملك بالأسد والأسد أبخر(كريه الرائحة) شئيم(قبيح) المنظر، وربما طاردته شرذمة من إماتنا وتلاعب به صبياننا، ويشبّهونه بالبحر والبحر صعب على من ركبه مُرّ على

شربه، ويشبّهونه بالسيف والسيف ربما خان في الحقيقة ونبأ عند الضريبة، وأين هذا مما قال صبيّ من حيّنا:

إذا سألت الورى عن كلّ مكرمةٍ لم يعز أكرامها إلّا إلى الهول

فتى جوّاد أذاب المال نائله فالنيل يشكر منه كثرةُ النيل

الموت يكره أن يلقى منيّته في كرهِ عند لفّ الخيل بالخيل

لو زاحم الشمس أبقى الشمس كاسفةً أو زاحم الصمّ الجاها إلى المَيْل

أمضى من النجم ان نابته نائبةً وعند أعدائه أجرى من السيل

لا يستريح من الدُّنيا وزينتها ولا تراه اليها ساحبُ الذَيْل

يقصر المجدُ عنه في مكارمه كما يقصر عن أفعاله قولي

فبهت الأصمعي ومن معه،وقال لهم: اكتبوا ما سمعتم ولو بأطراف المُدَي(جمع مدية وهي السكّين) على رقاب الأكباد.

قصة الأصمعي مع الأعرابي

كان الأصمعي عالم من علماء لغة العرب وكان يجلس فى مجلس هارون الرشيد مع باقي العلماء،فكان إذا اختلف العلماء التفت إليه هارون أمير المؤمنين قائلاً :قل يا أصمعي فيكون قوله الفصل ولذلك وصل الأصمعي من مرتبة اللغة الشيء العظيم وكان يُدرس الناس لغة العرب وفي يوم بينما هو يدرسهم كان يستشهد بالأشعار والأحاديث الشريفة والآيات الكريمة فمن ضمن استشهاداته قال:(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

فواحد من الجلوس(أعرابي) قال :يا أصمعى كلام من هذا؟

فقال الأصمعي: كلام الله!

قال الأعرابى:حاشا لله إن يقول هذا الكلام!

فتعجب الأصمعي وتعجب الناس ..قال :يا رجل أنظر ما تقول ..هذا كلام الله!

قال الأعرابي: حاشا لله ان يقول هذا الكلام ..لا يمكن أن يقول الله هذا الكلام!

قال الأصمعي له:يا رجل تحفظ القرآن؟!

قال:لا

قال: أقول لك هذه آية في سورة المائدة!

قال: يستحيل لا يمكن ان يكون هذا كلام الله!

كاد الناس أن يضربوه كيف يكفر بآيات الله!!

قال الأصمعي: اصبروا ..هاتوا المصحف وأقيموا عليه الحجة ..فجاؤوا بالمصحف..ففتحوا وقال اقرؤوا فقرؤوها: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(الآية ٣٨ من سورة المائدة).

إذا بالاصمعي فعلا أخطأ في نهاية الآية ..فآخرها (عزيز حكيم) ولم يكن آخرها (غفور رحيم)

فتعجب الأصمعي وتعجب الناس وقالوا: يا رجل كيف عرفت وأنت لا تحفظ الآية؟!

قال الأعرابي للأصمعي تقول:

يا أصمعي ،عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع!

لقد لاحظ الأعرابي بفطرته أن الآية تتحدث عن حكم شديد من أحكام الإسلام، وهو قطع اليد للسارق درءا للمفاسد وتخويفا لغيره،فالموقف موقف عزة وحكمة وليس بموقف مغفرة ورحمة.

الأصمعي والجارية

وروي عن الأصمَعي قال: اجتزت ببعض أحياء العرب، فرأيتُ صبيَّة معها قِربة فيها ماء وقد انحلّ وِكاءُ فمها.فقالت:يا عمّ،أدرك فاها ،قد غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها. فأعنتها، وقلت:يا جارية، ما أفصحك..فقالت يا عمّ، وهل تَركَ القرآنُ لأحدٍ فصاحةً؟ وفيه آيةٌ فيها خَبران وأمران ونَهيان وبشارَتان..قلت:وما هي؟ قالت:قوله تبارك وتعالى(وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)(الآية٧ من سورة القصص).

الأصمعي والعاشق

روى الأصمعي أنه بينما كان يقطع البادية ذات يوم عثر على حجر عليه هذا البيت:

أيا معشر العشاق بالله خبروا إذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فكتب الأصمعي على الحجر تحت هذا البيت:

يــداري هواه ثم يكتم سره ويخشع في كل الأمور و يخضع

فجاء الشاب في اليوم التالي فكتب:

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى وفي كـل يوم قلبه يتقطع

فكتب الأصمعي تحت البيت:

إذا لم يجد صبرا لكتمان سـره فليس له شيء سوى الموت انفع

ثم عاد الأصمعي في اليوم التالي فوجد عند الحجر شابا ميتا، وقد كتب على الحجر:

سمعنا، ثم أطعنا، متنا، فبلغوا سلامي إلى من كان للوصل يمنع

صوت صفير البلبل

كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور حريص على المال، فقام أبو جعفر وعمل حيلة، إذا جاءه الشاعر يشترط عليه إذا كانت القصيدة من قوله يعطيه وزن الذي كتبها عليه ذهبا،وإذا كانت من منقوله يحفظها غيره لا يعطيه شيئا،وكان الخليفة يحفظ القصيدة من أول مرة وعنده غلام وجارية،الغلام يحفظها من مرتين والجارية من ثلاث، وقد خبئهما خلف الستار، فيأتي الشاعر يقول قصيدته، يجد ثلاثة يحفظونها، فيعود حزينا، فجلس الشعراء والأدباء وجاء الأصمعي قال:مالكم؟ قالوا: نكتب القصيدة بالليل ثم نصبح الصباح فنرى غيرنا يحفظها، ثلاثة يحفظونها كيف يكون هذا؟ قال: إنها حيلة الخليفة ليحافظ على المال العام، فقام الأصمعي بنظم قصيدة متعددة الموضوعات صعبة الكلمات غريبة المعاني، وتنكر في زي أعرابي وذهب إلى الخليفة ودخل عليه وقال: أنا شاعر من أعراب الموصل ولدي قصيدة أود أن ألقيها عليك،فقال له الخليفة: أتعرف الشروط؟ قال: نعم، قال:هات ما عندك ، فألقى عليه القصيدة :

صوت صفير البلبلي هيج قلبي الثملي
الماء والزهر معا مع زهرِ لحظِ المُقَلي
و أنت يا سيدَ لي وسيدي ومولي لي

فكم فكم تيمني غُزَيلٌ عقيقَلي

قطَّفتَه من وجنَةٍ من لثم ورد الخجلي

فقال لا لا لا لا لا وقد غدا مهرولي

والخُوذ مالت طربا من فعل هذا الرجلِ

فولولت وولولت ولي ولي يا ويل لي

فقلت لا تولولي وبيني اللؤلؤ لي

قالت له حين كذا انهض وجد بالنقلي

وفتية سقونني قهوة كالعسل لي

شممتها بأنافي أزكى من القرنفلي

في وسط بستان حلي بالزهر والسرور لي

والعود دندن دنا لي والطبل طبطب طب لي

طب طبطب طب طبطب طب طبطب طبطب طب لي

والسقف سق سق سق لي والرقص قد طاب لي

شوى شوى وشاهش على ورق سفرجلي

وغرد القمري يصيح ملل في مللي

ولو تراني راكبا على حمار اهزلي

يمشي على ثلاثة كمشية العرنجلي

والناس ترجم جملي في السوق بالقلقللي

والكل كعكع كعِكَع خلفي ومن حويللي

لكن مشيت هاربا من خشية العقنقلي

إلى لقاء ملك معظم مبجلي

يأمر لي بخلعة حمراء كالدم دملي

أجر فيها ماشيا مبغددا للذيلي

أنا الأديب الألمعي من حي أرض الموصلي

نظمت قطعا زخرفت يعجز عنها الأدبولي

أقول في مطلعها صوت صفير البلبلي

حينها أسقط في يد الخليفة فقال: عليّ بالغلام، أتحفظها يا غلام؟ قال: ما سمعت به قط، قال: عليّ بالجارية، أتحفظين صوت صفير البليل؟ قالت: لا ما سمعت بها يا أمير المؤمنين. فقال الخليفة: أحضر يا أعربي ما كتبتها عليه فنزنه ونعطيك وزنه ذهبا. قال: ورثت عمود رخام من أبي وقد كتبتها عليه ،هو على ظهر الناقة لا أستطيع حمله، أرسل معي من الجنود والخدم يحملونه فإصفر وجه الخليفة، ولما أحضروه ووضعوه في الميزان فأخذ كل الذي معه. عند ذلك علم الخليفة أن الأمر فيه مكيدة، فقال: قف، أمط لثامك عن وجهك. فأزال الأعرابي لثامه فإذا به الأصمعي. فقال الخليفة: الأصمعي، قال نعم: يا أمير المؤمنين. قال: ويحك، أعد المال. قال:

إذا جاءك شاعر فاعطيه على قوله فإنهم أصحاب عيال، قطعت أرزاقهم بحاف ذاكرتك.قال قبلت الشرط،أعد المال.

العاشق الشهم

حُكِي عن الأصمعي،أنه قال:دخلت البصرة أريد بادية بني سعد،وكان حاكم البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القسري،فدخلت عليه يوماً فوجدت قومًا يمسكون بشاب ذي جمال وكمال وأدب ظاهر بوجه زاهر حسن الصورة طيب الرائحة جميل البزة (الهندام) عليه سكينة ووقار فقدموه إلى خالد فسألهم عن قصته فقالوا: هذا لص أصبناه البارحة في منازلنا فنظر إليه فأعجبه حسن هيئته ونظافته فقال:خلوا عنه،ثم أدناه منه وسأله عن قصته،فقال:إن القول ما قالوه والأمر على ما ذكروه،فقال له:ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة ؟ قال:حملني الشر في الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى. فقال له خالد:ثكلتك أمك أما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن أدبك زاجر لك عن السرقة؟!قال:دع عنك هذا أيها الأمير وأنفذ ما أمرك الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة يفكر في أمر الفتى ثم أدناه منه وقال له:إن اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقاً وإن لك قصة غير السرقة فأخبرني بها،فقال:أيها الأمير،لا يقع في نفسك سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة أشرحها لك إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها

مالاً فأدركوني وأخذوه مني وحملوني إليك فأمر خالد بحبسه وأمر منادياً ينادي في البصرة: ألا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد ، فلما استقر الفتى في الحبس ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعداء ثم أنشد يقول:

هددني خالد بقطع يدي إن لم أبح عنده بقصتها

فقلت: هيهات أن أبوح بما تضمن القلب من محبتها

قطع يدي بالذي اعترفت به أهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون به فأتوا خالداً وأخبروه بذلك فلما جن الليل أمر بإحضاره عنده فلما حضر أستنطقه فرآه أديبًا عاقلًالبيبًا ظريفًا فأعجب به فأمر بطعام فأكلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد: قد علمت أن لك قصة غير السرقة ،فإذا كان غداً وحضر الناس والقضاة وسألتك عن السرقة فأنكرها وأذكر فيها شبهاتٍ تدرأ عنك القطع ثم أمر به إلى السجن فلما أصبح الناس لم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة إلا حضر ليرى عقوبة ذلك الفتى،وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيره ثم دعا بالقضاة وأمر بإحضار الفتى فأقبل يحجل في قيوده ولم يبق أحد من النساء إلا بكى عليه وأرتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب فأمر بتسكيت الناس ثم قال له خالد: إن هؤلاء القوم يزعمون أنك دخلت دارهم وسرقت مالهم فما تقول ؟

قال: صدقوا أيها الأمير دخلت دارهم وسرقت مالهم، قال خالد: لعلك سرقت دون النصاب، قال: بل سرقت نصاباً كاملاً، قال خالد: فلعلك سرقته من غير حرز مثله؟ قال: بل من حرز مثله، قال خالد: فلعلك شريك القوم في شيء منه ؟ قال: بل هو جميعه لهم ولا حق لي فيه، فغضب خالد وقام إليه بنفسه وضربه على وجهه بالسوط وقال متمثلًا بهذا البيت:

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا

ثم دعا بالجلاد ليقطع يده، فحضر وأخرج السكين ومد يده ووضع عليها السكين ، فبرزت فتاة من صف النساء فصرخت ورمت بنفسها عليه ثم أسفرت عن وجه كأنه البدر و ارتفع للناس ضجة عظيمة كاد أن تقع منه فتنة ثم نادت بأعلى صوتها:

إليه رقعة (رسالة مطوية) ففضها خالد فإذا هي مكتوب فيها هذه الأبيات:

أخالد هذا مستهام متيمٌ رمته لحاظي من قسي الحمالق

فأصماه سهم اللحظ مني فقلبه حليف الجوى من دائه غير فائق

أقر بما لم يقترفه لأنه رأى ذاك خيراً من هتيكة عاشق

فهلا على الصب الكئيب لأنه كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرأ الأبيات تنحى و انعزل عن الناس وأحضر الفتاة ثم سألها عن القصة،فأخبرته أن هذا الفتى عاشق لها وهي عاشقة له كذلك وأنه أراد زيارتها وأن يعلمها بمكانه فرمى بحجر إلى الدار فسمع أبوها وإخوتها صوت الحجر فصعدوا إليه فلما أحس بهم جمع قماش البيت كله وجعله صرة فأخذوه،وقالوا:هذا سارق وأتوا به إليك فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك وهان عليه قطع يده لكي يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروءته وكرم نفسه فقال خالد:إنه خليق بذلك ثم استدعى الفتى إليه وقبل ما بين عينيه وأمر بإحضار أب الفتاة وقال له:يا شيخ إنا كنا عزمنا على إنفاذ الحكم في هذا الفتى بالقطع وإن الله عصمه من ذلك وقد أمرت له بعشرة آلاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك وصيانته لكما من العار،وقد أمرت لابنتك بعشرة آلاف درهم وأنا أسألك أن تأذن لي في تزويجها منه،فقال الشيخ:قد أذنت أيها الأمير بذلك.

اللص التقي

ذُكر في حكايات السلف أن شابًا فيه تقى وفيه غفلة ذهب وطلب العلم عند أحد المشايخ حتى إذا أصاب منه حظًا قال الشيخ: لا تكونوا عالة على الناس فإن العالم الذي يمد يده إلى أبناء الدنيا لا يكون فيه خير فليذهب كل واحد منكم وليشتغل بالصنعة التي كان أبوه يعمل بها وليتقي الله فيها. فذهب ذلك الشاب إلى أمه فقال لها: ما هي الصنعة التي كان أبي يعمل بها فاضطربت السيدة وقالت له إن أبوك قد ذهب إلى رحمة الله فما بالك والصنعة التي كان يشتغل بها فألح عليها وهي تهرب منه حتى اضطرها للكلام فأخبرته وهي كارهه أن أباه كان لصًا فقال لها الابن إن الشيخ أمرنا أن كل يشتغل بصنعة أباه ويتقي الله فيها قالت الأم ويحك وهل في السرقة تقوى فرد عليها قائلاً هكذا قال الشيخ. وذهب الابن فسأل وعرف الأخبار حتى عرف كيف يسرق اللصوص وقام بإعداد عدة السرقة وصلى صلاة العشاء وانتظر حتى نام الناس وخرج ليعمل بصنعة أباه كما قال له الشيخ فبدأ بدار جاره وهم أن يدخلها ولكنه تذكر أن شيخه قد أوصاه بالتقوى وليس من التقوى إزاء الجيران فتخطى دار جاره ومر بأخرى ولكنه قال لنفسه هذه دار أيتام وأن الله تعالى حذر من أكل أموال اليتامى ومازال يمشي حتى وصل إلى

منزل تاجر غني والمنزل ليس فيه حرس والجميع يعلم أن لديه من الأموال التي تزيد عن حاجته فقال اللص: ها هنا. وفتح الباب بالمفاتيح التي أعدها فتح الباب ودخل فوجد منزل واسع وغرف كثيرة فمشى فيها حتى اهتدى لمكان المال وفتح الصندوق فوجد الكثير من الذهب والفضة والمال ثم قال لا يؤدي زكاة أمواله لنخرج الزكاة أولاً وأخذ الدفاتر وأشعل فانوس صغير جاء به معه وبدأ يراجع الدفاتر ويحسب وكان ماهر في الحساب وخبير في إمساك الدفاتر فأحصى الأموال وحسب الزكاة ونحى مقدار الزكاة جانبًا واستغرق في الحساب حتى مضت ساعات فنظر فإذا هو الفجر ثم قال تقوى الله تقضي بالصلاة أولًا. فخرج إلى صحن الدار فتوضأ من البركة وأقام الصلاة فسمع رب البيت فنظر فرأى شيء عجيب فانوس مضيء وصندوق أمواله مفتوح ورجل يقيم الصلاة فقالت له زوجته ما هذا فقال لها ما أدري ونزل إليه فقال له: من أنت ؟ وما هذا فقال اللص له: الصلاة أولًا ثم الكلام فتوضأ ثم تقدم وصلي بنا فإن الإمامة لصاحب الدار فخاف صاحب الدار أن يكون مع الرجل سلاح ولكنه لا يعرف كيف صلى فلما قضيت الصلاة قال له أخبرني من أنت ؟ وما هو شأنك فقال له لص فقال وما تصنع بدفاتري فقال أحسب الزكاة التي

لم تخرجها من ستة سنوات وقد حسبتها لتضعها في مصارفها.فكاد التاجر يجن من العجب فقال له ويلك من أخبرك هل أنت مجنون فأخبره بأمره كله فلما سمعه التاجر ورأى كيف ضبط حسابه ذهب إلى زوجته فكلمها وكان له بنت ثم رجع إليه فقال له ما رأيك لو زوجتك ابنتي وجعلتك كاتب وحاسب عندي وأسكنتك أنت وأمك في منزلي ثم جعلتك شريكي فقال له أقبل ولما أصبح الصباح دعا الشهود والمأذون وتم عقد الزواج.

الفي والفيافي

يقال أن رجلا من أهل فارس كان يجيد اللغة العربية بطلاقة حتى أن العرب عندما يكلمهم يسألونه من أي قبائل العرب أنت فيضحك ويقول: أنا فارسي وأجيد العربية أكثر من العرب، فذات يوم وكعادته وجد مجلس قوم من العرب فجلس عندهم وتكلم معهم.. وسألوه: من أي قبائل العرب أنت؟فضحك وقال: أنا من فارس وأجيد العربية خيراً منكم..فقام أحد الجلوس وقال له: اذهب إلى فلان بن فلان رجل من الأعراب وكلمه فإن لم يعرف أنك من العجم فقد نجحت وغلبتنا كما زعمت.

وكان ذلك الأعرابي ذا فراسة شديدة..فذهب الفارسي إلى بيت الأعرابي وطرق الباب فإذا ابنة الأعرابي وراء الباب، تقول: من بالباب؟فرد الفارسي: أنا رجل من العرب وأريد أباك، فقالت: أبي فاء إلى الفيافي فإذا فاء الفي أفى، هي تعني أن أباها ذهب إلى الصحراء فإذا حل الظلام أتى، فقال لها: إلى أين ذهب؟ فردت عليه: أبي فاء إلى الفيافي فإذا فاء الفي أفى، فأخذ الفارسي يراجع الصبية ويسأل هي تجيب من ورء الباب حتى سألتها أمها: يا ابنتي من بالباب فردت الصبية: أعجمي على الباب يريد أبي..

القاضي ابن أبي ليلى والسيدتين

يُحكى أن سيدتين دخلتا على القاضي ابن أبي ليلى وكان من القضاة المعروفين وله شهر واسعة في زمانه فقال لهن القاضي من تبدأ فيكن فقال إحداهن ابدئي أنت ، فقالت أيها القاضي مات أبي وتلك هي عمتي وأقول لها يا أمي لأنها قد ربتني وقد كفلتني حتى كبرت فرد القاضي وبعد ذلك فقالت المرأة جاء ابن عم لي فخطبي منها فزوجتي إياه وكانت عندها بنت فكبرت البنت فعرضت عمتي على زوجي أن تزوجه البنت بعدما رأت بعد ثلاث سنوات خلق زوجي معي وقامت بتزين ابنتها لزوجي لكي يراها فلما رأى زوجي الفتاة أعجبته فقالت العمة له أزوجك البنت على شرط واحد أن تجعل أمر ابنة أخي إليّ،فوافق زوجي على شرط العمة وفي يوم زفاف ابنتها جاءتني عمتي وقالي لي إن زوجك قد تزوج ابنتي وجعل أمرك بيدي فأنت طالق فأصبحت أنا بين ليلة وضحاها مطلقة من زوجي وبعد فترة من الزمن ليست ببعيدة جاء زوج عمتي من سفر طويل فقلت له يا زوج عمتي تتزوجني وكان زوج عمتي شاعر كبير فوافق على الزواج ولكني قلت له بشرط أن تجعل أمر عمتي إلي فوافق على ذلك الشرط. وحينها أرسلت لعمتي وقلت لها قد جعل زوجك أمرك إلي وأنت طالق وتزوجته فأصبحت العمة مطلقة وواحدة بواحدة أطال الله في

عمرك ، فوقف القاضي عندما سمع الكلام فقال يا ربي فقال السيدة اجلس إن القصة لم تبدأ بعد ، فقالت وبعد مدة مات هذا الرجل الشاعر فجاءت عمتي تطالب بالميراث من طليقها فقلت لها هذا زوجي وما علاقتك بالميراث وبعد انقضاء عدتي جاءت العمة بابنتها وزوج ابنتها الذي هو طلقي ليحكم بينا في أمر الميراث فلما رأني تذكر أيامه معي وحنّ إلي فقلت له تعدني فقال نعم فقلت له شرط أن تجعل أمر زوجتك لي فوافق الزوج فقلت لزوجتك أنت طالق فوضع القاضي يده على رأسه وقال أين السؤال إذن ، فقالت العمة أليس من العدل أن أُطلق أنا وابنتي وتأخذ هي الزوجين والميراث فقال لا أرى في ذلك حرمة وما الحرام في رجل تزوج مرتين وطلق وأعطى وكالة. فلما ذهب القاضي للخليفة المنصور وحكى له القصة فضحك الخليفة حتى تخبطت قدماه في الأرض ثم قال قاتل الله تلك العجوز فمن حفر حفرة لأخيه وقع فيها أما هي فقد وقعت في البحر.

الخليفة المهدي والأعرابي

خرج الخليفة المهدي يتصيّد ، فغار به فرسه حتى وقع في خباء أعرابي فقال: يا أعرابي هل من قرى (أي طعام الضيف) ، فأخرج له قرص شعير،فأكلهه ثمّ أتاه بلبن في ركوة فسقاه،فلما شرب قال: أتدري من أنا ؟ قال: لا،قال: أنا من جندي من جنود أمير المؤمنين،قال: بارك الله لك في موضعك ، ثمّ سقاه مرة أخرى فشرب فقال: يا أعرابي أتدري من أنا ؟ قال: زعمت أنك من أحد جنود أمير المؤمنين، قال: لا أنا قائد من قوّاد أمير المؤمنين ، قال: رحبت بلادك وطاب مرادك ،ثمّ سقاه الثالثة،فلما فرغ قال: يا أعرابي أتدري من أنا ؟ قال: زعمت ا

أنك من قوّاد أمير المؤمنين، قال: لا ، ولكني أمير المؤمنين.

قال: فأخذ الأعرابي الركوة فوكأها وقال: إليك عني ، فوالله لو شربت الرابعة لادعيت إنّك رسول الله ، فضحك المهدي حتى غشي عليه ثمّ أحاطت به الخيل،ونزلت إليه الملوك والأشراف فطار قلب الأعرابي فقال له: لا بأس عليك ولا خوف ، ثمّ أمر له بكسوة ومال جزيل.

الخليفة هارون الرشيد والمرأة البرمكية

دخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت: يا أمير المؤمنين: أقر الله عينك، وفرحك بما آتاك، وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت، فقال لها: من تكونين أيتها المرأة. فقالت: من آل برمك ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم..فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره وأما المال فمردود إليك، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه ،فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة، فقالوا: ما نراها قالت إلا خيراً..قال: ما أظنكم فهمتم ذلك، أما قولها أقر الله عينك، أي أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت، وأما قولها: وفرحك بما آتاك، فأخذته من قوله تعالى (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) وأما قولها(وأتم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر: إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل تم..

وأما قولها لقد حكمت فقسطت، فأخذته من قوله تعالى: (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)، فتعجبوا من ذلك.

الخليفة المأمون والنضر بن شميل

يقول النضر بن شميل: كنت أدخل على المأمون في سمره، فدخلت ذات ليلة وعلي ثوب مرقوع، فقال: يا نضر، ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين في هذه الخلقان؟ قلت: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ ضعيف وحر مرو شديد، فأتبرد بهذه الخلقان، قال: لا، ولكنك قشف، ثم أجرينا الحديث، فأجرى هو ذكر النساء فقال: حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز)(فأورده بفتح السين)، قال: فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم، حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسل: (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز)..قال: وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً..وقال: يا نضر، كيف؟قلت: سداد لأن السداد ها هنا لحن..قال: أو تلحنني؟ قلت: إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه، قال فما الفرق بينهما؟ قلت: السداد، بالفتح، القصد في الدين والسبيل، والسداد بالكسر، البلغة، وكل ما سددت به شيئاً فهو سدا، قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم، هذا العرجي

يقول:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ..ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون: قبح الله من لا أدب له، وأطرق ملياً ثم قال: ما مالك يا نضر؟قلت: أريضة لي بمرو أتصابها وأتمززها..قال: أفلا نفيدك مالا معها؟..قلت: إني إلى ذلك لمحتاج، قال: فأخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب.ثم قال: كيف يقول إذا أمرت أن يترب؟ قلت: أتربه قال: فهو ماذا؟قلت: مترب، قال: فمن الطين قلت: طنه.. قال: فهو ماذا؟..قلت: مطين، هذه أحسن من الأولى..ثم قال: يا غلام، أتربه وطنه، ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه: تبلغ معه إلى الفضل بن سهل؛ قال: فلما قرأ الفضل الكتاب قال: يا نضر، إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم، فما كان السبب فيه؟ فأخبرته ولم أكذبه، فقال: لحنت أمير المؤمنين؟فقلت: كلا إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه، وقد تتبع ألفاظ الفقهاء ورواة الآثار،فقال: والله لأجلعنها لك ثمانين.. ثم أمر لي بثلاثين ألف درهم أخري فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني.

الخليفة الأمين والجارية

بينما الخليفة محمد بن زبيدة الأمين يطوف في قصره له، اذ بجارية له سَكْرى، وعليها كساء خز تسحب أذياله، فراودها عن نفسها، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا على ما ترى، ولكن اذا كان في غد ان شاء الله!

فلما كان من الغد مضى اليها فقال لها: الوعد! فقالت: يا أمير المؤمنين،أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار؟ فضحك وخرج الى مجلسه فقال: من بالباب من شعراء الكوفة؟ فقيل له: مصعب، والرقاشي،أبو نواس. فأمر بهم فأدخلوا عليه. فلما جلسوا بين يديه قال: ليقل كل واحد منكم شعرا يكون آخره(كلام الليل يمحوه النهار).

فتقدم الرقاشي وأنشد:

متى تصحو وقلبك مستطار وقد منع القرار فلا قرار

وقد تركتك صبّا مستهاما فتاة لا تزور ولا تُزار

اذا استنجزت منها الوعد قالت كلام الليل يمحوه النهار

وقال مصعب:

أتعذلني وقلبك مستطار كئيب لا يقر له قرار

بحبّ مليحة صادت فؤادي بألحاظ يخالطها احورار

ولما أن مددت يدي اليها لألمسها بد منها نفار

فقلت لها عديني منك وعدا فقالت: في غد منك المزار

فلما جئت مقتضيا أجابت: كلام الليل يمحوه النهار

وبعدهما تقدم أبو نواس فأنشد:

وخود أقبلت في القصر سكرى وزيّن ذلك السكر الوقار

وهزّ المشي أردافا ثـــقالا وغصنا فيه رمان صغار

و قد سقط الرّدا عن منكبيها من التخميش وانحلّ الإزار

فقلت الوعـد سيّدتي فقالت: كلام الليل يمحوه النهار

فضحك الخليفة الأمين وقال: أخزاك الله يا أبا نواس! أكنت معنا ومطلعا علينا؟فقال أبو نواس يا أمير المؤمنين، عرفت ما في نفسك فأعربت عما في ضميرك. فأمر له بأربعة آلاف درهم، ولصاحبيه بمثلهما.

عبدالله يرث وعبد الله لا يرث

يُحكى أنه كان هناك قبيلة يشتهر رجالها بشدة الذكاء ، وكان فيهم رجل حكيم يشع من وجهه نور الحكمة والمعرفة ، وكان قد رزقه الله بثلاثة من الذكور أسماهم كلهم بنفس الاسم (عبد الله)لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، ولما اشتد به المرض مات بعد أن ترك وصية كتب فيها:عبد الله يرث وعبد الله يرث وعبد الله لا يرث.فلما رأى الإخوة تلك الوصية احتاروا في أمرهم لأنهم لم يدروا لما كتب والدهم تلك الوصة، ومن هو عبد الله الذي لا يرث،وبعد المشورة والسؤال قرروا أن يذهبوا إلى أحد القضاة الذي اشتهر بالحكمة والذكاء ليبت في أمرهم ، وكان هذا القاضي يعيش بقرية بعيدة ، فشدوا رحالهم إليه.

وبينما هم سائرون ، وجدوا رجل يبحث عن بعيره الذي شرد،فقال لهم:هل رأيتم بعيرا؟ فقال عبد الله الأول:هل هو أعور ؟ فقال الرجل نعم ، فقال عبد الله الثاني: أهو أبتر ؟ فقال الرجل بلهفة:نعم فقال عبد الله الثالث:هل هو أزور؟ فقال الرجل وهو فرح:نعم ، فقد ظن أنهم وجدوه لأنهم وصفوه وصفًا دقيقًا.ولكنه حين سألهم عنه قالوا لم نره ، فاتهمهم الرجل بسرقة بعيره ، وإلا كيف عرفوه واستطاعوا وصفه بتلك الطريقة الصحيحة!فأقسم الثلاثة

أنهم لم يسرقوه ولكنه أصر على أن يشتكيهم للقاضي ، فقالوا له نحن ذاهبون إليه بالفعل فتعال معنا. وذهب الأربعة معا للقاضي ولما دخلوا عليه قص كل منهم قصته فقال القاضي للإخوة الثلاثة :كيف عرفتم أن البعير أعور: فقال عبد الله الأول: لأنه كان يأكل من جانب واحد والبعير الأعور يأكل دائمًا من جانب العين التي يرى بها.فقال القاضي :وكيف عرفتم أن ذيله أبتر؟ فقال عبد الله الثاني: لقد رأيت بعره مكوم أكوام أكوام، فعرفت أنه أبتر لو كان له ذيل لمصع بالبعر يمينًا وشمالاً،فأومأ القاضي برأسه وقال لهم: وماذا عن قولكم بأنه أزور؟ فقال عبد الله الثالث: لقد كان عمق أقدامه في الرمل من الناحية اليسري أكثر عمقا من الناحية اليمنى.وبعد أن انتهى الإخوة الثلاثة من حديثهم ، اقتنع القاضي بما قالوا وقال لصاحب البعير: انصرف إنهم ليسوا بأصحاب بعيرك. ثم التفت إليهم وقال: استريحوا الآن فأنتم قادمون من سفر طويل وتبتوا عندي الليلة،وأمر لهم بغرفة يقيمون فيها ووليمة يتناولونها ، وأمر أحد الخدم بمراقبتهم أثناء ذلك ، فقال أحدهم: احذروا إن عينا تتجسوا علينا (أي أن هنالك من يراقبهم). وحينما دخل الخادم ومعه الغداء ومن ثم انصرف،قال الأول: احذروا هذه لحم كلاب وقال الثاني: إن المرأة التي أعدت الغذاء حامل في شهرها التاسع ، وقال الثالث: إن

هذا القاضي ليس ابن أبيه. وكان الخادم حينها يتلصص عليهم ، فسمع كل ما قالوه ونقله إلى القاضي في الصباح حيث قال له إن أحدهم يقول أن اللحم الذي قدم إليهم لحم كلاب،فاستدعى القاضي الطباخ على الفور وبعد ضغط شديد عليه أقر بأنه ذبح كلب القطيع حينما أمر القاضي بالطعام ولم يكن قطيع الشاه قد وصل بعد.وأما الثاني الذي قال إن من أعدت الخبز امرأة حامل في شهرها التاسع ، فقد تأكد القاضي من صدق ما قال حينما استدعى القاضي المرأة وسألها ، وأما الثالث الذي قال عنه أنه ليس ابن أبيه فقد تمنى لو أنه كاذب ودخل على أمه ليتيقن منها فنفت الأمر ولكنه شعر أنها تخفي شيئًا ، فأصر عليها ولم يبرح غرفتها حتى قررها فأقرت.فبهت القاضي وانصرف على الفور ليبت في أمرهم ؛ وهو مندهش كيف علموا عنه ما لم يعلمه عن نفسه! ثم توجه إليهم بالسؤال عن تلك الأشياء التي قالوها، فقال لهم: كيف عرفتم أن اللحم الذي قدم لكم لحم كلاب؟ فقال عبد الله الأول: إن لحم ما يؤكل من الأنعام كالشاه يكون فيه الشحم كاسي اللحم والعظم،أما في لحم السباع كالكلاب فاللحم يكسو الشح والعظم،لهذا عرفت أنه لحم كلاب. ثم قال: وكيف عرفتم أن من أعدت لكم الطعام امرأة حامل في شهرها التاسع ؟ فقال عبد الله الثاني: لأن الخبز الذي قدم

لنا كان منتفخا من ناحية وملتصق من الناحية الأخرى ، وهذا لا يحدث إلا إذا كان هناك شيء يعيق وصول المرأة للطرف الأخر من الخبز وهي البطن الكبيرة،لذا عرفت أن من خبزته حامل في شهرها التاسع ،ثم حان دور عبد الله الثالث وكان القاضي ينتظر تلك اللحظة الحاسمة ،فسأله :كيف عرفت أني ليس ابن أبي؟فقال: لأنك أرسلت من يتجسس علينا،وهذا لا من الكرم العربي ولا الخلق العربي ولا من شيم المسلمين.

سكت القاضي برهة ثم نطق بالحكم قائلا:

من قال لحم كلاب؟،قال عبد الله الأول:أنا، قال: أنت ترث، ثم قال:ومن قال الخبز خبزته امرأة حامل في شهرها التاسع؟ قال عبد الله الثاني:أنا، قال: أنت ترث، ثم قال للثالث: أنت لا ترلث،قال له:لماذا؟ قال القاضي: لأنه لا يعرف من يجهل أباه إلا من كان مثله وأنت لست بابن أبيك.

فرجع عبد الله الأول والاثنين إلى أمهما وقالا لها: من عبد الله هذا؟ فقالت الأم: أصدقكما القول أن أباكما رحمه الله وجده أمام المسجد ملقى فأخذه وأتى به فربيناه وسطكما وسميناه عبد الله.

حُسن الوفاء

يحكى أن شاب ثري ثراءً عظيمًا ،وكان والده يعمل بتجارة الجواهر والياقوت .وكان الشاب يؤثر على نفسه أصدقائه أيما إيثار ، وهم بدورهم يجلّونه ويحترمونه،ثم دارت الأيام دورتها، ومات والد الشاب، وافتقر العائلة افتقاراً شديداً،فبدأ الشاب يبحث عن أصدقاء الماضي (أيام رخائه)فعلم أن أعز صديق كان يكرمه ويؤثر عليه أكثرهم مودةً وقرباً منه قد أثرى ثراءً لا يوصف وأصبح من أصحاب القصور والأملاك والأموال،فتوجه إليه عسى أن يجد عنده عملاً أو سبيلاً لإصلاح حاله.فلما وصل باب القصر استقبله الخدم والحشم.فذكر لهم صلته بصاحب الدار وما كان بينهما من مودة قديمة.فذهب الخدم فأخبروا صديقه بذلك..فنظر إليه من خلف ستار ليراه وقد بدا شخصا رث الثياب عليه آثار الفقر فلم يرض بلقائه.. وأمر الخدم بأن يخبروه أن صاحب الدار لا يمكنه استقبال أحد..فذهب الرجل والدهشة تأخذ منه مأخذها ، وهو يتألم على الصداقة ،كيف ماتت وعلى القيم كيف تذهب بصاحبها بعيدًا عن الوفاء ..وتساءل عن الضمير ، كيف يمكن أن يموت ، وكيف للمروءة أن لا تجد سبيلها في نفوس البعض ..ومهما يكن من أمر فقد ذهب بعيدًا،وقريباً من دياره صادف ثلاثة من الرجال عليهم أثر

الحيرة،وكأنهم يبحثون عن شيء.فقال لهم:ما أمر القوم ؟..قالوا له: نبحث عن رجل يدعى فلان بن فلان وذكروا اسم والده.

فقال لهم:إنه أبي ، وقد مات منذ زمن ، فحوقل الرجال وتأسفوا وذكروا أباه بكل خير وقالوا له: إن أباك كان يتاجر بالجواهر ،وله عندنا قطع نفيسة من المرجان كان قد تركها عندنا أمانة ،فاخرجوا كيسا كبيراً قد مُلئ مرجانًا ، فدفعوه إليه ورحلوا. والدهشة تعلوه وهو لا يصدق ما يرى ويسمع..ولكن تساءل أين اليوم من يشتري المرجان، فإن عملية بيعه تحتاج إلى أثرياء، والناس في بلدته، ليس فيهم من يملك ثمن قطعة واحدة..مضى في طريقه وبعد برهة من الوقت صادف امرأةً كبيرةً في السن عليها آثار النعمة والخير.فقالت له:يا بني أين أجد مجوهرات للبيع في بلدتكم، فتسمر الرجل في مكانه ليسألها عن أي نوع من المجوهرات تبحث،فقالت:أريد أحجارا كريمة رائعة الشكل ومهما كان ثمنها،فسألها إن كان يعجبها المرجان فقالت له:نعم المطلب،فأخرج بضع قطع من الكيس فاندهشت المرأة لما رأت،فابتاعت منه قطعا ، ووعـــدته بأن تعود لتشتري منه المزيد وهكذا عادت الحال إلى يسر بعد عسر ، وعادت تجارته تنشط بشكل كبير..فتذكر بعد حين من الزمن ذلك الصديق الذي ما أدى حــق الصداقة ، فـــبعث له ببــيتين من الشعر جاء

فيهما :

صحبت قومًا لئامًا لا وفاء لهم يدعون بين الورى بالمكر والحيل

كانوا يجلونني مذ كنت رب غنى وحين أفلست عدوني من الجهل

فلما قرأ ذلك الصديق هذه الأبيات :

كتب على ورقة ثلاثة أبيات وبعث بها إليه جاء فيها :

أما الثلاثة قد وافوك من قِبَلي ولم تكن سببا لا من الحِيل

أما من ابتاعت المرجان والدتي وأنت أنت أخي بل منتهى أملي

وما طردناك من بخل ومن قِللٍ لكن خشينا عليك وقفة الخجل

دع عنك الكتابة

نظر جعفر بن محمد إلى فتى على ثيابه أثر مداد فأنبه على ذلك، فقال الفتى:

لا تجزعن من المداد فإنه عطر الرجال وحلية الكتاب

فأجابه جعفر:

دخيل في الكتابة يدعيها كدعوى آل حرب في زياد

يشبه ثوبه للمحو فيه إذا أبصرته ثوب الحداد

فدع عنك الكتابة لست منها ولو لطخت وجهك بالمداد

الفصل الرابع

لطائف الألغاز

ألغاز

١.أسود في حـصة أبيض

وأبيض في حـــصة أسود

ما افترقا قط ولا انعدما

كلاهما من ضــده يولد

٢. وآكــلة بلا فم وناب

لها الحيوان قوت والنبات

فما أكلت به تحيا وتبقى

وإن شربت تفارقها الحياة

٣.حـلوة الريق حلال

دمها في كـل ملـــــه

نصـــفها بـــدر وإن

قسمتها صارت أهله

٤.مفتولة مجدولة

تحكي لنا قد الأسل

كأنها عمر الفتى

والنار فيها كالأجل

٥.مهــفهفة الأذيال عذب مذاقها

تحاكي القنا لكن بغير سنان

ويرجى لكل الناس فيها منافع

وتؤكل قبل العصر في رمضان

٦.وطائــرة تحوي لأربع أحرف

وعظم ولحم والدماء وريش

فيؤكل منها البعض والبعض ضده

ويحرق منها البعض وهي تعيش

٧. يقــوم ويمشي صامتا متكلما

ويرجع للرمس الذي منه قاما

فلا هو حي يستحق الكرامة

ولا هو ميت يستحق التـراحما

٨.مـوردة الخدين مسودة الدم

ومحمرة الآذان مفتوحة الفم

لها سهم كالديك ينقر جوفها

تساوى إذا قومتها نصف درهم

٩.ألا بينوا لي أي شـيء رأيتموه

من الطير في أرض الأعاجم والعرب

فيؤكل مطبـوخا لذيذا وتارة

يؤكـــل مشويا إذا حط في اللهب

وليــس له لحم و ليس له دم

وليس لــه عرق وليس له عصب

ولــيس له شعر على الجلد واضح

وليس له ريش وليس له زغب

ولــيس له رجل و ليس له يد

ولــيس له رأس و ليس له ذنب

وهــذا له لونان لون كفضة

ولون صقل حاله يشــبه الـذهب

ولا هــو ذو روح ولا هو ميت

ألا فأخبروني إن هذا هو العجـب

١٠.حليــلان ممنوعان من كل لذة

يبيتان طول الليل يتعانقان

هما يحفظان الأهل من كل آفة

وعند طلوع الشمس يفترقان

١١. وذوات ذوائب خطرت بقد

سقيم لا يحزن واكـــــتئاب

بعـين لم تذق للنوم طعما

ولا ذرفت لدمع ذي انســـكاب

ولا لبست مدى الأيام ثوبا

وتكسو الناس أنواع الثيـــاب

١٢.كائنـــة من العود لها رزق

ولحـم ناعم لها وعظام

لها عينان تبصر من يـــراها

ولها أذنان سامعة الكلام

١٣.ألا رب مـولود وليس له أب

وذو ولد لم يلده أبوان

وذي عـــدد يمتد غير آخر

وذي حق ليـس له كيان

ويكمل في تسع وخمس شبابه

ويهرم في سبع معا وثمان

١٤. ظـمآن تورده الحياة سرابها

والجيل كل الجيـل من رواده

ويكاد يقتله و أسرته الطوى

وتراه يغذو الناس أكرم زاده

المجـــد والشرف الرفيع طريقه

وخلائق العظماء كل تلاده

مــتواضع في غرفة مغمورة

ومواكب العظماء من أولاده

ويصون ماء الوجه رغم رواجه

ويبيع نور العلم رغم كساده

١٥.فماجوا فاثنوا بالذي أنت أهله

ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

١٦.مستنبح أهل الثرى يطلب القرى

وممـساه من الأرض نازح

١٧.شتى مطالبه ، بعيد همه

جواب أودية، برود المضجع

١٨.له نار تشب بكل ريع

إذا الظلماء جللت اليفاعا

وما كان أكثرهم سواما

ولكن أرحبهم ذراعـا

١٩.يحب الخمر من مال الندامى

ويكره أن يفارقه الفلوس

٢٠.تراه يختال و هو معني

حيث يجري على صفاء البـحور

ذيله يرسم المجرة عجبا

بين موج يضيء مثل الـــبدور

٢١.في ظلام الليل يتخفى

وفي ضوء النهار يتجلي

ماشيا جنبي وحينا

سائرا قربي وقبـلي

٢٢.ما إن تمس الأرض حتى ترتقي

صعدا بضربة حاذق يقـــظان

كل لها مترقب متربـــص

كالقط يرصد سانج الجـــرذان

٢٣.يخطط الأرض في نظم وإتقان

كأنه ريشة في كف فنـــان

يخطط الأرض لكن لا يلونهـا

فان نما زرعها ازدانت بألـوان

ما يقلقل الأرض إلا زاد غلتها

ضعفين فأعجب لهذا الهادم البانـي

٢٤. هو من مدت العليا إليه يمينها

فأكبر إنسان لديه صغيـــــر

٢٥.لاح منها حاجب للناظرين

فنسوا الليل وضاح الجبيـــــن

ومحت آيتها آيتـــــه

وتبدت فتنة للعالميـــــن

هي أم النار والنور معـــا

وهي أم الريح والماء المعيـــــن

٢٦.نصفه طير ونصف بشـر

يا لها إحدى أعاجيب القضـــاء

حمل الفولاذ ريشا وجرى

في عنانين له : نار ومـــــاء

يتراءى كوكبا ذا ذنـب

فإذا جد فسهما ذا مضـــــاء

٢٧.هو نعم المحدث و الرفيق

تلهو به إن خانك الأصحاب

لا مفشيا سرا إذا استودعته

وتنال منه حكمة و صواب

٢٨.باك إذا عق زهر الروض والده

مــن الغمام غدا فيه أبا حدبا

مشمر في مسير ليس يبعـده

عــن المحل و لا يبـدي له تعبا

مازال يطلب رفد البحر مجتهدا

للبر حتى ارتدى النوار والعشبا

٢٩.هي الدار ما الآمال إلا فجائع

عليها ولا اللذات إلا مصائب

فـلا تكتحل عيناك فيها بعبرة

على ذاهب منها فإنك ذاهب

٣٠.وأدهم كالغراب سواد لون

يطير مع الرياح ولا جناح

كــساه الليل شملته وولى

فـقبل بين عينيه الصباح

٣١. هو أجمل بالفتى مـــن منطق في غير حينه

لا خير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى عيونه

٣٢.و ما آكل في قعدة ألف لقمة

ولقمته أضعاف أضعاف وزنه

إذا نزل المأكول جنبيه لم يقم

سوي لحظة أو لحظتين ببطنه

٣٣.وصاحب لا أملّ الدهر صحبته

يشقى لنفعي ويسعى سعي مجتهد

لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ

وقعت عليه افترقنا فرقة الأبد

٣٤.معشوقة لذوات العزّ قد صنعت

حزينة ما تراها قطّ تبتسم

كأنها من صروف الدهر خائفة

تبكي دماء على ما سطّر القلم

٣٥.ومنتصب الجيد ضخم الوريد

مع الجوع يحضرنا والشبع

فيقرن باليأس في حالة

ويقرن في حالة بالطّمع

وتحضره لحضور الصّلاة

فيسفح عبرته ما ركع

له صاحب من كرام الصّحاب

يفرّق من وقته ما جمع

٣٦.ومقربة يناط بها زمام

كما نيط الأزمة بالنّواجي

تقابل ناظريك بلون ليل

ولكن جسمها في لون عاج

لها سرّ كسرّ القلب يبدي

بأطراف الأسنة و الزّجاج

٣٧.راجل يمتطي إلى السبع سبعا

وهو في ذاك ليس يجهد نفسه

إن صفا موردا فرده برفق

وتجنب إذا تكدّر لمسه

٣٨.وحسناء خرساء لا تنطق

يروقك ملبسها الأزرق

وأحسن من كل مستحسن

عيون لها في الدّجى تبرق

٣٩.ومسرعة في سيرها طول دهرها

تراها مدى الأيام تمشي ولا تتعب

و في سيرها ما تقطع الأكل ساعة

وتأكل مع طول المدى ولا تشرب

و ما قطعت في السّير خمسة أذرع

و لا ثلث ثمن من ذراع و لا أقرب

٤٠.وما شيء له حدّ وخدّ

يكلّم من يلامسه بحقّه

وكلّ حلقه من تحت رأس

وهذا الرأس صارت تحت حلقه

٤١.أراك تجول في حلّ المعاني

وتزعم أنّ عندك منه فهما

فما شيء له طعم وريح

وذاك الشّيء في شعري مسمّى

٤٢.وممدودة كيد المُجتدي

بكفّ على ساعد مُسعد

ترى بعضها في فمي كاللّسان

وجملتها في يدي كاليد

٤٣.وما حيوان عكسه مثل طرده

له جسد سبط و ليس له قلب

ضعيف وكم أغنت مجاجة ريقه

فقيرا به أمسى و مربعه خصب

يُرى من خشاش الأرض طورا و تارة

من الطيّر لكن دونه تسبل الحجب

شقيّ لنفع الغير يسجن نفسه

وليس في السّجن أكل ولا شرب

٤٤.أيا شمس بل يا وبل هل أنت منقذي

ومنقذ صحبي من يد الشمّس والوبل

بحدباء إن نَوّخت خرّت لدى الفتى

صريعا و إن ثَوّرت قامت على رِجل

وليست بفتلاء اليدين على السُّرى

ولكنّها من نسج مستحكم الفتل

من البلق يعلو ظهرها هام أهلها

وفي السّير تعلو أظهر الخيل و الإبل

٤٥.ومعشوقٌ يرقص كل يوم

ترى في وجهه أبداً كلام

إذا فارقته أجداك خيراً

و لا يُجدي عليك إذا أقاما

٤٦.خرساء لم ينطق بحرف لسانها

سوى صوت عرق نابض لِمشاها

جرت حركات الدّهر في ضرباتها

وباتت مواقيت الورى بضَناها

مشت بين أنّات الزّمان تقيسه

وما هو إلا مشيها و خُطاها

٤٧.قالوا من الأطيار حقّا أصله

أكرم به لغز يروقك طعمه

لكنّه ما حاز منقارا ولا

ريشا وأجنحة ولست أذمّه

من أين يعرف ما اسم شيء ربّما

أكلته في بعض المجاعة أمّه

٤٨.وما شيء له في الرّاس رجل

وموضع وجهه منه قفاه

إذا غمّضت عينك أبصرته

وان فتّحت عينك لا تراه

٤٩.ما اسم طير إذا نطقت بحرف

منه مبداه كان ماضي فعله

وإذا ما قلبته فهو فعلي

طربا أن أخذت لغزي بحَلّه

٥٠.وجار وهو تيّار

ضعيف العقل خوّار

بلا لحم ولا ريش

وهو في الرّمز طيّار

بطبع بارد جدّا

ولكن كلّه نار

٥١.أيّ شيء لدى السّموات يُلفي

وهو في الأرض بالجراءة يسعى

ذو ثلاث وأربع إن عددنا

وتراه إذا تحقّقت سبعا

٥٢.وناطقة بأفواه ثمان

تميل بعقل ذي اللُّبّ العفيف

لكلِّ فم لسان مستعار

يخالف بين تقطيع الحروف

تُخاطبنا بلفظ لا يعيه

سوى من كان ذا طبع لطيف

نصيحةُ عاشقٍ ونديم راعٍ

وعزّةُ موكبٍ و مُدام صوفي

٥٣.أيّ شيء إذا تفكّرت فيه

تمّ معناه حين ينقص حرفا

وهو حلو وإن مضى منه حرف

صار مرّا ولم يكن قطّ يخفى

رُمت عكس اسمه فعاد جليّا

بيّنا ثمّ زاده العكس كشفا

٥٤.وما اسم بلا جسم ويهواه كلّ ذي

حياة ومع ذا فهو يأخذه جبرا

ويُلفي إذا صحّفته شرّا طائر

وإن شئت تلقى فيه من عمرنا شطرا

وأحرفه كلّ إذا ما عكسته

ترى قلبه يبقى على حاله الدّهرا

٥٥.ما اسم لشيء مرتقّي

في مغرب أو مشرق

إذا حذفت فاءه

كان لك الّذي بقي

٥٦.ماذا ترى يا هذا في

قوس بلا سهم و لا وتر

تلقاه في بعض النّهار ولا

يبقى له في اللّيل من أثر

٥٧.و ما اسم تراه في البروج وإنما

يحلّ به المرّيخ دون الكواكب

إذا قدّر الباري عليه مصيبة

عَدتْه و حلّت في الصدور الكتائب

ولا جسم إلا فيه يُدرك قلبه

ويَدركه في قلبه كلّ طالب

٥٨.وأهيف منسوب إلى التّرك أصله

رشيق يراه صاحبه و هو راشق

يبيت عديم النّفع و هو مواصل

ويرضيك في الأفعال و هو مفارق

إذا اعتبروا أفعاله فهو طائر

وإن نسبوه فهو بالنّبت لاحق

٥٩.ومحبوس بلا جرم جناه

له في السجن ثوب من زجاج

إذا أطلقته ثب ارتفاعا

يقبّل فاك في فرح المناجي

٦٠.فتية من بني الآداب ما خُلقوا

إلا من الظرف والتهذيب والكرم

فصفوا صفوفا راق منظرها

تركا زنحما على أرض من الأدم

رخ طرفا وفيل تابع لهما

والغرز والشات ملك صار إليهم

ويقوم الجيش أجناد مجندة

من البلاد ولا يلقون للسلم

تحاربوا فإذا بالعراك قد هدموا

بحسن ريح وجيش غير منهزم

ثم استعلى رجال الترك وارتجفوا

وحاربوا حرب أنجاد ذوي همم

الحرب تبكي عيون الناظرين

وما في هذه الحرب من ثغر غير مبتسم

٦١.ما طائر في قَلْبه

يلوح للنّاس عجب

منقاره في بطنه

والعين منه في الذّنب

٦٢.وما بدن لا رأس يحمل جسمه

له إن تأمّلت الغداة يدان

يسير بلا رجلين في كل بلدة

ويعرفه ما بيننا الثّقلان

٦٣.شيخ رأي آدم في عصره

وهو إلى الآن بخدّ نقي

هذا ويمشي الأرض في ليلة

فأعجب له من مُوثق مُطلقٍ

فتارة ينزل تحت الثرّى

وتارة وسط السمّاء يرتقي

وتارة يُبصر في مغرب

وتارة يُبصر في مشرق

٦٤.ومضروب بلا جرم

مليح اللّون معشوق

له قدّ الهلال على

مليح القدّ ممشوق

وأكثر ما يُرى أبدا

على الأمْشاط في السُّوق

٦٥.وقد رأيت قوايرا تكلّمنا

بألسن ما بها عي و لا حصر

ورامح في السماء ليس له

رمح وقوس لديه ماله وتر

وطائر ماله ريش ولا زغب

وعشه عُنق ما إن له وكر

٦٦.ما اسم بلا جسم وتمسكه يد

وأصغر شيء فيه أشرف ما فيه

يُقابله بالكَسْر من رام جبره

و يُضْعفه بالضرّب حين يُقوّيه

٦٧.ألا قل للّذي يسأل

عن قومي وعن أهلي

لقد تسأل عن قوم

كرام الفرع والأصل

يُريقون دم الأنعام

في حزن وفي سهل

وما زالوا لما يبدون

من بأس ومن بذل

يُرجيّهم بنو كلب

ويخشاهم بنو عِجل

٦٨.تميّزت في الطير بالبيان

عن كلّ مخلوق سوى الإنسان

تحكي الّذي تسمعه بلا كذب

من غير تغيير لجدّ أو لعب

٦٩.اسم من هاج خاطري

أربع في صُنوفه

فإذا زال رُبْعُه

زال باقي حُروفه

٧٠.ما اسم ثُلاُّثي به اجتمعت

كلُّ المقاطع غير ذي جسم

مهما تقلَّبْت الحروف به

يأتي بمعنى صادق الرّسم

وإذا نظرت إليه مُنتبها

فجميعُ ذلك تراه في الحُلم

٧١.أنَحويّ هذا العَصْر ما هي لفظة

جرت على لساني جرهم وثمود

إن اسْتُعملت في موضع الجَحد أثْبتت

وإن أثْبتت قامت مقام جحود

٧٢.فما صفراء تكنى أمّ عوف

كأنّ سويقتيها منجلان

٧٣.وأبيض أما جسمه فمدور

نقيّ وأمّا رأسه فمعار

ولم يكتسب إلا ليسكن وسْطه

مؤنثة لم تُكس قطّ خمار

لها أخوات أربع هنّ مثلُها

ولكنها الصّغرى وهن كبار

٧٤.لهوْت بذات رأس والتِياثِ

كرفع الإصبَعْينِ على الثلاث

إِذا السّبّابة ارتفعت مع الخِنصر

اجتَمع الثلاثُ بلا انتكاث

لهوْت بها تطير بلا جناح

وتُنسب في الذُّكورِ و في الاناثِ

٧٥.أتعرف شيئا في السّماء نظيره

إذا سار سار النّاس حيث يسير

فتلقاه مركوبا و تلقاه راكبا

وكل أمير يعتليه أسير

يحضّ على التقوى ويُكره قربه

وتنفر منه النّفس وهو نذير

ولم يُسْتزر عن رغبة في زيارة

ولكن على رغم المزور يزور

الخاتمة

تم بحمد الله وتوفيقه كتاب (من أجمل ما قرأت) وقد حوي أربعة فصول، فصل القصص ،وفصل قصص الأمثال، وفصل الطرائف والنوادر وفصل الألغاز ، ونأمل أن يلبي هذا الجهد المتواضع بعض أشواق القارئ الكريم في بحثه عن ضروب المعرفة والأدب..

والله ولي التوفيق والسداد.

المؤلف

قلع النحل

١٥ مارس ٢٠٠٥م

حلول الألغاز

١.الليل والنهار

٢.النار

٣.البطيخة

٤.الشمعة

٥.قصبة السكر

٦.النحلة

٧.القلم

٨.الدواية(العمارة)

٩.البيض

١٠.مصرعا الباب

١١.الإبرة

١٢.عصا سيدنا موسى عليه السلام

١٣.سيدنا عيسى وأبونا آدم عليهما السلام والصفر والقمر

١٤.المعلم

١٥. الغني

١٦. الضيف

١٧.الهمام النشط

١٨.الكريم

١٩.البخيل

٢٠.السفينة

٢١.الظل

٢٢.الكرة

٢٣.المحراث

٢٤.الحاكم

٢٥.الشمس

٢٦.الطائرة

٢٧.الكتاب

٢٨.الدولاب(الساقية)

٢٩.الدنيا

٣٠.الجواد الأسود ذو الغرة البيضاء بين أذنيه

٣١.الصمت

٣٢.قالب الطوب

٣٣.الضرس

٣٤.المرملة:(و هي حق به ثقوب عديدة مملوء بالرمل لتجفيف الحبر)

٣٥.الإبريق (و الصاحب مقصود به الطست)

٣٦.المكحلة

٣٧.العين

٣٨.السماء والنجوم

٣٩.الطاحونة

٤٠.الموس (و التكليم يعني الجرح و الحلق يعني إزالة الشعر)

٤١.أراك (مسواك)

٤٢.المعلقة

٤٣.دودة القز

٤٤.الخيمة

٤٥.العملة (الدرهم_دينار_جنيه_ريال).

٤٦.الساعة

٤٧.العسل

٤٨.الطيف

٤٩.الصقر

٥٠.الزئبق

٥١.الأسد

٥٢.المزمار

٥٣.التمر

٥٤.النوم

٥٥.الفلك

٥٦.قوس قزح

٥٧.القوس

٥٨.السهم

٥٩.كأس الشرب

٦٠.الشطرنج

٦١.البجع

٦٢.الثوب (القميص)

٦٣.القمر

٦٤.الخلخال

٦٥.القوارير (كناية عن النساء و صفة لهن، و منه في الحديث الشريف: (**عَنْ** أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَادٍ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، وَكَانَ حَسَنَ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ، لاَ تَكْسِرِ القَوَارِيرَ). قَالَ قَتَادَةُ: يَعْنِي ضَعَفَةَ النِّسَاءِ.

وفي روية (عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي سَفَرٍ، وَكَانَ غُلاَمٌ يَحْدُو بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ أَنْجَشَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُوَيْدَكَ يَا أَنْجَشَةُ سَوْقَكَ بِالقَوَارِيرِ» قَالَ أَبُو قِلاَبَةَ: يَعْنِي النِّسَاءَ). (صحيح البخاري)

–الرامح (النجم الذي يقال له السماك الأعزل، وهو حد ما بين الكواكب اليمنية و الشامية، و سمى أعزلا لأنه لا سلاح معه. والقوس هو قوس قزح.

–الطائر (هو الحظ و النصيب، قال تعالى: (وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ فِي عُنُقِهِ(١٣)) سورة الإسراء.

٦٦.العدد

٦٧.القصاب (جمعه قصابون و هم الجزارون)

٦٨.الببغاء

٦٩.الغزال

٧٠.الحلم

٧١.ما كادوا يفعلون (أي فعلوا) و كادوا أن يفعلوا (أي أنهم لم يفعلوا)

٧٢.زرارة

٧٣.الخاتم

٧٤.الأرنب

٧٥.النعش

مصادر وتراجم

***مصادر:**

١.(بنات النعمان) مجلة الدوحة القطرية_ هكذا تكلم الرجل الذي حمي بنات النعمان_ الكاتب عبد الوهاب الأسواني_ الدوحة (قطر)_ يونيو ١٩٨٦م.

٢.(حسن البصري)_كتاب ألف ليلةوليلة_دار صادر_بيروت (لبنان) _١٩٩٩م.

٣.(سرالكوخ العجيب) من كتب المطالعة العربية_بالمدارس الأولية_ السودان.

٤.(أبو محمد الكسلان)_ كتاب ألف ليلة وليلة.

٥.(عمر بم يربوع والسعلاة) _ الملحق الأول للمدارس الوسطى_ شعبة اللغة العربية بمعهد التربية (بخت الرضا) السودان_ ط١ _١٩٥٤م.

٦.(سيف الملوك وبديعة الجمال)_كتاب ألف ليلة وليلة.

٧.(سوء العاقبة)_التراث العربي القديم.

٨.(طبيب الأميرة)_من كتب المطالعة العربية.

٩.(فراسة البدوي)_من كتب المطالعة العربية.

١٠.(صاحب شرطة)_من التراث العباسي.

١١.(قصص الأمثال)من كتاب الأدب_المدارس الوسطى_السودان.. وكتاب العقد الفريد (كتاب الجوهرة في الأمثال) للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة٣٢٨هـ_تحقيق.د.عبد المجيد الترحيني_الجزء الثالث_دار الكتب العلمية_بيروت (لبنان)_الطبعة الأولى ١٩٨٣م...وكتاب (مجمع الأمثال)لأبي الفضل النيسابوري..وكتاب المثَل السائر في أدبِ الكاتبِ والشاعر_للعلاّمة ضياء الدين ابن الأثير ،المعروف بابن الأثير الكاتب.

**أبيت اللعن:كلام وتحية تقال لملوك العرب في الجاهلية معناها الدعاء بالبراءة من النقائص أي لا فعلت ما تلعنك الناس.

١٢.(الطرائف والنوادر والألغاز)كتاب التيجان، والتفسير الكبير للرازي١٧٢/٢٤..والعقد الفريد (كتاب اللؤلوة الثانية في الفكاهَات وَالمَلح) للفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة٣٢٨هـ_تحقيق.د.عبد المجيد الترحيني_الجزء الثامن_دار الكتب العلمية_بيروت (لبنان)_الطبعة الأولى ١٩٨٣م..وموسوعة قصص العرب لابراهيم شمس الدين_دار الكتب العلمية_ بيروت (لبنان_٢٠٠٢م...وكتاب درة الغواص في أوهام الخواص للحريري...وكتاب تأريخ بغداد للخطيب البغداد...وكتاب قصة تودد الجارية وصاحبها بدر الزمان أيام الخليفة العباسي هارون

الرشيد...وكتاب الأحاجي والألغاز الأدبية لعبد الحي بن حسن كمال_نادي الطائف الأدبي(المملكة العربيةالسعودية)_١٤٠١هـ ...وكتاب البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين_دار الفكر(مصر).

***تراجم:**

١.عمرو بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان اللخمي المشهور بع(مرو بن هند)الملقب بـ(مُضَرِّط الحجارة)أو (المحرق الثاني)(٥٥٤م _٥٦٩م) سمي بالمحرق لأنه حرق بني تميم بالنار وكان بنو دارم من تميم قد قتلوا أخاه أسعد بن المنذر، فحلف أن يقتل منهم مائة بالنار، فهجم عليهم يوم أوارة الثاني، وحمل له تسعة وتسعون فرماهم في النار، فعلا لهبهاودخانها، فرأى ذلك أحد البراجم، فظن أنها قرى، فأقبل إليها،فجيء به إلى عمرو فقال له:من تكون؟ فانتسب له، فقال عمرو:إن الشقي وافد البراجم..ثم تمم به المائة ورمى به في النار.وأمه هي هند بنت آكل المرار الكندي. يصفه الأخباريون بأنه شديد وصارم وكان لا يبتسم ولا يضحك وقد وصفه الشاعر سويد بن حذّاق بأنه يعتدي ويجور.بدأ حياته السياسية كرئيس على قبائل معد بمنازلها بنجد في حياة والده وكان الحِمْيَريون ينافسونهم على تلك المناطق وحلفاء الحِمْيَريين هم مذحج وكندة بينما

كان حلفاء المناذرة هم معد ومن بعد الحِميَّريين تولى أبرهة الأشرم منافسة المناذرة.وقعت عدة صدامات بين المناذرة وجيش أبرهة الذي سجل حربه في نقشين في موقع (مريغان)،في سنة ٥٥٢م هاجم أبرهة بنفسه معد وهزمها وأخذ من أبنائها رهائن لئلا يثوروا عليه إلا أن عمرو بن هند كفلهم عنده فأقره أبرهة عليهم، وقيل أن عمرو بن هند عمراً كان قد أغار على بلاد الشام في سنة٥٦٣م ، وكان على عربها الحارث بن جبلة.والظاهر أن الباعث على ذلك كان امتناع الروم عن دفع ما كانوا يدفعونه سابقاً لعرب الفرس مقابل إسكاتهم عن مهاجمة الحدود.فلما عقد الصلح بين الفرس والروم سنة ٥٦٢م، وهدأت الأحوال، لم يدفعوا لابن هند ما تعودوا دفعه لوالده، فأثر امتناعهم هذا في نفسه، وطلب من الفرس مساعدته في ذلك.فلما طالت الوساطة، ولم تأت بنتيجة، هاجم تلك المنطقة، ثم أعاد الغارة في سنة ٥٦٦م وسنة ٥٦٧م على التوالي. وقد تولى قيادة هاتين الغارتين أخوه قابوس بن المنذر.وقد عزت أسباب تلك الغارة إلى سوء الأدب الذي أبداه الروم تجاه رسول ملك الحيرة الذي ذهب إلى القيصر جستن الثاني لمفاوضته على دفع المال.وكان الروم قد أرسلوا رسولين قبل ذلك إلى الفرس للبحث في هذا الموضوع، أحدهما اسمه بطرس، والآخر اسمه يوحنا، غير أنهما أنكرا للفرس حق ملك

الحيرة في أخذ إتاوة سنوية من الروم. فلما عومل رسول ملك الحيرة معاملة غير لائقة قام قابوس شقيق عمرو بتلك الغارتين.ويذكر أن عمرو بن هند جعل أخاه قابوس بن المنذر على البادية، ولم يعط أخاه عمرو ابن أمامة شيئاً، وكان مغاضبًا له، فخرج عمرو ابن أمامة إلى اليمن،فأطاعته مراد، وأقبل بها يقودها نحو العراق، ولكنها ثارت عليه، ثار عليه المكشوح وهو هبيرة بن يغوث فلما أحيط به ضاربهم بسيفه حتى قتل.وفد عليه من الشعراء المتلمس وأوس بن حجر وطرفة بن العبد.

أما قصة مقتل ملك العرب عمرو بن هند على يد عمرو بن كلثوم كما يرويها أبو عبيدة التيمي من كتاب (أيام العرب قبل الإسلام): فذكروا أن عمرو بن هند،وأمه هند بنت الحارث بن حجر بن آكل المرار الكندي.قال ذات يوم لجلسائه:هل تعلمون أن أحداً من أهل مملكتي يأنف أن تخدم أمه أمي؟ فقالوا:لا ما خلا عمرو بن كلثوم فإن أمه ليلى بنت المهلهل أخي الملك كليب، وعمها الملك كليب،وهو وائل بن ربيعة وزوجها كلثوم.فسكت عمرو على ما في نفسه.ثم بعث عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم يستزيره وأن تزور ليلى هنداً.فقدم عمرو من البحرين في فرسان تغلب، ومعه أمه ليلى، فنزل شاطئ الفرات وبلغ عمرو بن هند قدومه.فأمر بخيمة فضربت

بين الحيرة والفرات وأرسل إلى وجوه مملكته فصنع لهم طعاماً ثم دعا الناس إليه فقرب إليهم الطعام على باب السرادق وهو وعمرو بن كلثوم وخواص من الناس في السرادق، ولأمه هند في جانب السرادق قبة وأم عمرو بن كلثوم معها في القبة.وقد قال عمرو بن هند لأمه: إذا فرغ الناس من الطعام فلم يبق إلا الطُرَف فنحّي خدمك عنك، فإذا دعوت بالطرف فاستخدمي ليلى ومريها فلتناولك الشيء بعد الشيء يريد طرف الفواكه وغير ذلك من الطعام.ففعلت هند ما أمرها ابنها حتى إذا دعا بالطرف قالت هند لليلى: ناوليني ذلك الطبق..قالت: لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها. فقالت: ناوليني وألحت عليها.فقالت ليلى: واذلاه..يا لتغلب.

فسمعها ابنها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه والقوم يشربون.ونظر عمرو بن هند إلى عمرو بن كلثوم، فعرف الشر في وجهه، وقد سمع قول أمه: واذلاه يا لتغلب،ونظر إلى سيف عمرو بن هند، وهو معلق بالسُّرادق ولم يكن بالسرادق سيفٍ غيره فثار إلى السيف مصلتاً فضرب به رأس عمرو بن هند فقتله ثم خرج فنادى :يا لتغلب.فانتهبوا ماله وخيله وسبوا النساء ولحقوا بالجزيرة.وقد كان المهلهل بن ربيعة وكلثوم بن عتاب أبو عمرو بن كلثوم اجتمعوا في بيت كلثوم على شراب، قال وعمرو يومئذ غلام وليلى أم عمرو

تسقيهم فبدأت بأبيها المهلهل ثم سقت زوجها كلثوم بن عتاب ثم ردت الكأس على أبيها وابنها عمرو عن يمينها فغضب عمرو من صنيعها وقال:

صَبَنْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليَمِيْنَا

وَمَا شَرُّ الثَّلاَثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الذِي لا تَصْبَحِيْنَا

فلطمه أبوه وقال: يا لكع (أي يا أحمق) بلى والله شر الثلاثة. أتجتري أن تتكلم بهذا الكلام بين يديّ؟..فلما قتل عمرو بن هند قالت له أمه: بأبي أنت وأمي، أنت والله خيرُ الثلاثة اليوم.

٢. المتلمِّس ويسمّى المتلمّس الضبعي، شاعر جاهلي، واسمه جرير بن عبدالمسيح الضبعي وقيل جرير بن عبد العزى، من قبيلة ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ، إحدى قبائل بكر بن وائل. لقّب بالمتلمّس لبيت من شعره يقول فيه:

وذاك أوان العرْض حيَّ ذبابه زنابيره والأزرق المتلمّسُ

وهو خال طرفة بن العبد ويروون أنه كان بصحبته حين أتاهما الكتاب من ملك الحيرة بقتلهما، ففتحه المتلمّس ونجا ولم يفتحه طرفة فقُتل. وقد عدّه ابن سلام الجمحي في (طبقات فحول الشعراء من شعراء) الطبقة السابعة لكونه من المقلّين. ومما يعرف عنه أنه كان

مولعاً بالصيد كثيراً،وغير مبالٍ بالأصنام والأوثان حتى أنه يستهزئ بها وبمن يسجد لها لذلك لاقى معاداة من بعض القوم واتهموه بالمس والسحر.

٣.طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد أبو عمرو لُقّب بطَرَفَة، وهو من بني قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل،ولد حوالي سنة ٥٤٣م من أبوين شريفين وكان له من نسبه العالي ما يحقق له هذه الشاعرية فجده وأبوه وعماه المرقشان وخاله المتلمس كلهم شعراء مات أبوه وهو بعد حدث فكفله أعمامه إلا أنهم أساؤوا تربيته وضيقوا عليه فهضموا حقوق أمه وما كاد طرفة يفتح عينيه على الحياة حتى قذف بذاته في أحضانها يستمتع بملذاتها فلها وسكر ولعب وبذر وأسرف فعاش طفولة مهملة لاهية طريدة راح يضرب في البلاد حتى بلغ أطراف جزيرة العرب ثم عاد إلى قومه يرعى إبل معبد أخيه ثم عاد إلى حياة اللهو بلغ في تجواله بلاط الحيرة واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعُمان يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شاباً دون الثلاثين من عمره سنة ٥٦٩م.

٤.الملك النعمان هو النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي، الملقب بأبي قابوس (٥٨٢م_٦٠٩م) تسلم مقاليد الحكم بعد

أبيه،وهو من أشهر ملوك المناذرة قبل الإسلام.كان داهية مقداما.وهو ممدوح.وهو باني مدينة النعمانية على ضفة دجلة اليمنى، وصاحب يوم البؤس والنعيم؛ وقاتل عبيد بن الأبرص الشاعر، في يوم بؤسه؛ وقاتل عدي بن زيد وغازي قرقيسيا (بين الخابور والفرات).وفي صحاح الجوهري..قال أبو عبيدة: إن العرب كانت تسمى ملوك الحيرة أي كل من ملكها (النعمان) لأنه كان آخرهم..كان أبرش أحمر الشعر قصيرا وكانت أمه يهودية من خيبر. ومن وفد عليه من الشخصيات:المنخل اليشكري والمثقب العبدي والأسود بن يعفر وحاتم الطائي وإبراهيم الكشكري وحسان بن ثابت وسرجيوس والنابغة الذبياني. من هجاه من الشعراء:عنترة بن شداد وهو الذي أغار على إبل النعمان ليأخذها مهرا لعبلة...أما شقائق النعمان هي الزهور التي وأولع بها وأمر بحمايتها وبزراعتها حول قصره الخورنق الذي بناه الرومي سنمار فكافأه بأن قتله حتى لايبني مثله لأحد غيره وصارت تلك الحادثة مثلا يقولهم (جزاء سنمار)، وبحسب أسطورة يقال أن زهور شقائق النعمان نبتت لأول مرة على قبره بعد أن داسته الفيلة على يد علوج كسرى فعرفت باسمه. وكان النعمان أيضا يعتني بتربية الخيل والإبل والماشية، فكان يشتري خير فصائلها ويحميها لنفسه، ولا يسمح لأحد بالحصول عليها أو تلقيح

نعمهم أو خيولهم منها إلا بإذنه.وقد اشتهرت اليحموم والدُّفوف من جملة خيوله. أما أبناءه فالمنذر بن النعمان، وهو من البلغاء..ماوية بنت النعمان وهند بنت النعمان والتي كانت سبب في معركة ذي قار..استمر النعمان ملك الحيرة إرثا عن أبيه حتى نقم عليه كسرى خسرو الملقب (برويز) بسبب مكيدة دبرها له زيد بن عدي العبادي وهو ابن عدي بن زيد العبادي زوج ابنته هند وكان له من البنات غيرها وذلك بعد أن طلب كسرى خسرو من النعمان أن يزوجه ابنته فرفض النعمان فأوغل زيد قلب كسرى فدعى كسرى النعمان إلى المدائن لوليمة فأهانه ثم اعتقله وقد فعلها زيد انتقاما لوالده عدي بن زيد الذي قتل على يد النعمان واختلف في كيفية قتله فطبقا لرواية سريانية إن كسرى بعد أن قبض على النعمان بن المنذر وأولاده سقاهم سماً فماتوا، وعصى عندئذ العرب الفرس وأخذوا يهاجمونهم .فأرسل كسرى قائداً سمته الرواية بـ(بولر) تولى أمر الحيرة، ولكنه لم يتمكن من ضبط أمورها، لشدة أهلها، فانصرف عنها وترك أمرها لمرزبان اسمه (رزوبى مرزوق) أقام في برية الحيرة في حصن حفنة، وأخذ يقاتل منه الأعراب. وقيل مات بالطاعون في السجن في خانقين، وقيل: ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته، فهلك.وكانت هذه الحادثة هي الشرارة التي أدت لاشتعال الحرب

بين العرب والفرس في معركة ذي قار والتي انتصر فيها العرب انتصارا كبيرا.حاول ابنه المنذر بن النعمان الملقب بالمغرور إحياء مملكة اللخميين لكن كان الوقت قد فات.

٥.كعب بن سور بن بكر بن الأذدي من أهل اليمن و كبار التابعين مكث في القضاء اثني عشرة سنة ،فقد استقضاه سيدنا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه قاضيا على البصرة منذ سنة ١٨هـ و لم يزل كعب قاضيا لعمر حتى استشهد عمر رضي اللّه عنه في سنة ٢٣هـ وفي سنة ٢٩هـ ولى سيدنا عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي اللّه عنه عبد اللّه بن عامر على البصرة، فأعاد ابن عامر كعبا على القضاء فلم يزل حتى استشهد في موقعة الجمل في سنة ٣٦هـ و هو أول شهيد بين يدي أم المؤمنين السيدة عائشة رضي اللّه عنها (كان في أنصارها) وأهل الكوفة.

٦.أبو مُلَيْكة جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بالحطيئة. شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وأسلم في زمن أبي بكر .ولد في بني عبس من أَمةٍ اسمها (الضراء) دعِيًّا لا يُعرفُ له نسب فشبّ محروما مظلوما، لا يجد مددا من أهله ولا سندا من قومه فاضطر إلى قرض الشعر يجلب به القوت، ويدفع به العدوان، وينقم به لنفسه من بيئةٍ

ظلمته، ولعل هذا هو السبب في أنه اشتد في هجاء الناس، ولم يكن يسلم أحد من لسانه فقد هجا أمّه وأباه حتى إنّه هجا نفسه.

٧.الحجاج بن يوسف الثقفي هو أبو محمد الحجاج كليب بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن مُنبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.. وُلِدَ في منازلِ ثقيف بمدينة الطائف، في عام الجماعة٤١ هـ.وكان اسمه كُليب ثم أبدَلَهُ بالحجَّاج.وأمُّه الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي الصحابي الشهيد .نشأ في الطائف، وتعلَّم القرآن والحديث والفصاحة، ثم عمل في مطلع شبابه معلم صبيان مع أبيه،يعلم الفتية القرآن والحديث، ويفقههم في الدين، لكنه لم يكن راضياً بعمله هذا، على الرغم من تأثيره الكبير عليه، فقد اشتُهِر بتعظيمه للقرآن.كانت الطائف تلك الأيام بين ولاية عبد الله بن الزبير،وبين وِلاية الأمويين، لكن أصحاب عبد الله بن الزبير تجبَّرُوا على أهل الطائف، فقرَّر الحجاج الانطلاق إلى الشام حاضرة الخلافة الأموية المتعثرة، التي تركها مروان بن الحكم نهباً بين المتحاربين. قد تختلف الأسباب التي دفعت الحجاج إلى اختيار الشام مكاناً ليبدأ طموحه السياسي منه رغم بُعدِ المسافة بينها وبين

الطائف، وقرب مكة إليه، لكن يُعتقد أن السَّبب الأكبر كراهته لولاية عبد الله بن الزبير.في الشامالتحق بشرطة الإمارة التي كانت تعاني من مشاكل جمة، منها سوء التنظيم، واستخفاف أفراد الشرطة بالنظام، وقلة المجندين.فأبدى حماسةً وانضباطاً، وسارع إلى تنبيه أولياء الأمر لكل خطأ أو خلل،وأخذ نفسه بالشدة، فقربه روح بن زنباع قائد الشرطة إليه،ورفع مكانته، ورقاه فوق أصحابه، فأخذهم بالشدة، وعاقبهم لأدنى خلل،فضبطهم، وسير أمورهم بالطاعة المطلقة لأولياء الأمر.رأى فيه روح بن زنباع العزيمة والقوة الماضية، فقدمه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان داهية مقداماً، جمع الدولة الأموية وحماها من السقوط،فأسسها من جديد.إذ أن الشرطة كانت في حالة سيئة، وقد استهون جند الإمارة عملهم فتهاونوا، فأهم أمرهم عبد الملك بن مروان، وعندها أشار عليه روح بن زنباع بتعيين الحجاج عليهم، فلما عينه،أسرف في عقوبة المخالفين، وضبط أمور الشرطة، فما عاد منهم تراخ ولا لهو إلا جماعة روح بن زنباع، فجاء الحجاج يوماً على رؤوسهم وهم يأكلون، فنهاهم عن ذلك في عملهم، لكنهم لم ينتهوا،ودعوه معهم إلى طعامهم، فأمر بهم، فحبسوا، وأحرقت سرادقهم.فشكاه روح بن زنباع إلى الخليفة، فدعا الحجاج وسأله عما حمله على فعله هذا،

فقال إنما أنت من فعل يا أمير المؤمنين، فأنا يدك وسوطك، وأشار عليه بتعويض روح بن زنباع دون كسر أمره.وكان عبد الملك بن مروان قد قرر تسيير الجيوش لمحاربة الخارجين على الدولة، فضم الحجاج إلى الجيش الذي قاده بنفسه لحرب مصعب بن الزبير.ولم يكن أهل الشام يخرجون في الجيوش، فطلب الحجاج من الخليفة أن يسلطه عليهم، ففعل.فأعلن الحجاج أن أيما رجل قدر على حمل السلاح ولم يخرج معه، أمهله ثلاثاً، ثم قتله وأحرق داره وانتهب ماله، ثم طاف بالبيوت باحثاً عن المتخلفين.وبدأ الحجاج بقتل أحد المعترضين عليه، فأطاعه الجميع، وخرجوا معه بالجبر لا الاختيار.ذُكر أن الحجاج كان فصيحاً وبليغاً وخطيبا، وكان جبارا عنيدا مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة، وكان سياسيا محنّكاً وقائداً مدبراً، وكثيراً ما استخدم المكر والخداع لكي ينتصر في حروبه.

قرر عبد الملك بن مروان التخلص من عبد الله بن الزبير، فجهز جيشاً ضخماً لمنازلة ابن الزبير في مكة، وأمر عليه الحجاج بن يوسف،فخرج بجيشه إلى الطائف، وانتظر الخليفة ليزوده بمزيد من الجيوش،فتوالت الجيوش إليه حتى تقوى تماماً، فسار إلى مكة وحاصر ابن الزبير فيها، حتى قت وصلبه، وأرسل إلى أمه (أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها) أن تأتيه،فأبت فأرسل إليها لتأتين أو

لأبعثن من يسحبك بقرونك، فأرسلت إليه: والله لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني.فلما رأى ذلك أتى إليها فقال: كيف رأيتني صنعت بعبد الله.. قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه، وأفسد عليك آخرتك، وقد بلغني أنك كنت تعيره بابن ذات النطاقين، فقد كان لي نطاق أغطي به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم من النمل ونطاق لا بد للنساء منه فانصرف ولم يراجعها.

بعد أن انتصر الحجاج في حربه، أقره عبد الملك بن مروان على ولاية مكة وأهل مكة. وكان وإياهم وأهل المدينة على خلاف كبير، وفي ٧٥هـ قدم عبد الملك بن مروان المدينة، وخطب على منبر النبي صلى الله عليه وسلم، فعزل الحجاج عن الحجاز لكثرة الشكايات فيه،وأقره على العراق.

دامت ولاية الحجاج على العراق عشرين عاماً، وفيها مات.وكانت العراق عراقين، عراق العرب وعراق العجم، فنزل الحجاج بالكوفة وكان قد أرسل من أمر الناس بالاجتماع في المسجد، ثم دخل المسجد ملثماً بعمامة حمراء، واعتلى المنبر فجلس وأصبعه على فمه ناظراً إلى المجتمعين في المسجد فلما ضجوا من سكوته خلع عمامته فجأة وقال خطبته المشهورة التي بدأها بقول:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني..

مات الحجاج بن يوسف الثقفي في رمضان سنة خمس وتسعين كهلا وكان قد استمر وليا للعراق منذ أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وأبنيه الوليد وسليمان من بعده.

٨.هند بنت المهلب بن أبي صفرة اليمن..والدها المهلب حارب على الجبهة الشرقيى أيام معاوية رضي الله عنه، كما حارب مع عبد الله بن الزبير الخوارج الأزارقة وانتصر عليهم، وحاربهم في أيام عبد الملك بن مروان ثم توجه إلى الشرق.كانت هناك حزازات بين الحجاج وبين يزيد بن المهلب أخو هند بعد أن خلف والده المهلب أدت إلى عزله عن ولاية خراسان.ثم أعيد إلى حكم العراق والشرق في عهد سليمان بن عبد الملك.وفي عهد عمر بن عبد العزيز تم عزله لتناقض سياسة بني المهلب التي تقوم على الأرستقراطية العربية مع نهج عمر بن عبد العزيز .وقد فر يزيد من سجنه في أواخر عهد عمر، واستولى على البصرة وبدأ في إثارة القلاقل، كما رفض أن يخرج إلى خراسان كما نصحه أخوه حبيب بن المهلب.ثم استفحل أمره وساد الكوفة وفارس والأهواز وكاد أن يسيطر على كل العراق ورفع شعار الجهاد ضد أهل الشام (أصحاب الحجاج) ولم يتمكن يزيد بن المهلب من السيطرة على خراسان لعدم مناصرة قبيلته الأزد له لرضائهم عن سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز واعتقادهم أن يزيد

بن عبد الملك سيسير فيهم بسيرته.أرسل الخليفة مسلمة بن عبد الملك فواجه يزيد بن المهلب في مكان يقال له العقر بجنود لا قبل له بها وقتله ثم تحرك معاوية بن يزيد بن المهلب لّما سمع بمقتل أبيه فقتل عددا من أسراه فيهم عدي بن أرطأة ،فجمع بقية أهل المهلب وفيهم المضل بن المهلب عمه وخرج بهم إلى كرمان ثم تقاتلوا مع جيش أرسله مسلمة وقتلوا وقضى على الحرآة.وتولى مسلمة العراق وخراسان لأخيه يزيد.

٩.الامام أبو حنيفة هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفيّ(٨٠هـ _١٥٠هـ) الفقيه العالم وأول الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنفي في الفقه الإسلامي.اشتهر بعلمه الغزير وأخلاقه الحسنة، حتى قال فيه الإمام الشافعي:(من أراد أن يتبحَّر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة)،ويُعد أبو حنيفة من التابعين، فقد لقي عدداً من الصحابة منهم أنس بن مالك، وكان معروفاً بالورع وكثرة العبادة والوقار والإخلاص وقوة الشخصية.كان أبو حنيفة يعتمد في فقهه على ستة مصادر هي:القرآن الكريم،والسنة النبوية ،والإجماع والقياس والاستحسان والعُرف.

١٠. العرجي هو عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن أبي عبد شمس ، ولقب بالعرجي نسبة إلى واد

بالحجاز ذي نخل كثير يقال له العرج، وكان يسكنه ، وقد جاء ذكره مرارا في شعره ، كان من أسرة غنية ، وكان مترفا ومنعما ،وكان جوادا وكريما على الفقراء والمحتاجين ، وعرف عنه أيضا الهجاء،وكانت له خصومات مع والي مكة في عصره محمد بن هشام وهجاه ، ثم شبب لنساء الوالي وأمه ، وزوجته ،فأضمر عداوته الوالي حتى وجد عليه تهمة دم فحبسه ، ثم أقسم ألا يخرجه ،وفعلا مات الشاعر في سجنه ، عن عمر ٤٥ عاما ، والبيت من قصيدة منها بعض هذه الأبيات:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ..ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

وصبر عنه معترك المنايا ..وقد شرعت أسنتها لنحري

أجرر في الجوامع كل يوم ..فيا الله مظلمتي وقسري

كأني لم أكن فيهم وسيطاً..ولم تك نسبتي في آل عمرو

عسى الملك المجيب لمن دعاه..سينجيني فيعلم كيف شكري

فأجزي بالكرامة أهل ودي..وأجزي بالضغائن أهل وتري

والعرجي: بفتح العين وسكون الراء وفي آخرها جيم، هذه النسبة إلى العرج، وهو موضع بمكة سمي به؛ وقال ابن الأثير في كتاب (تهذيب النسب) العرج بين مكة والمدينة، وليس بمكة، والله أعلم.

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: لما حبس المنصور عند الله بن علي كان يكثر التمثل بقول العرجي: أضاعوني وأي فتى أضاعوا فبلغ ذلك المنصور فقال: هو أضاع نفسه بسوء فعله، فكانت أنفسنا عندنا أبر من نفسه .قال إسحاق، وقال الأصمعي:

مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني:

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا

ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فقلت: أما سداد الكنيف فأنت ملي به، وأما الثغر فلا لنا كيف أنت فيه، وكنت حديث السن وأردت العبث به، فأعرض عني ملياً، ثم أقبل علي متمثلاً يقول:

وأكرم نفسي إنني إن أهنتها

وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت: والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له فقال لي: والله إن من الهوان لشراً مما أنا فيه، فقلت: وما هو؟ قال:

الحاجة إليك وإلى أمثالك وكان سبب عمله هذه الأبيات أن محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك لما كان والي مكة حبس العرجي المذكور لأنه كان يشبب بأمه جيداء، وهي من بني الحارث بن كعب، ولم يكن ذلك لمحبته إياها، بل يفضح ولدها

المذكور، وأقام في حبسه تسع سنين، ثم مات فيه بعد أن ضربه بالسياط وسهره بالأسواق، فعمل هذه الأبيات في السجن قال إسحاق: وكان الوليد بن يزيد مضغطاً على محمد بن هشام أشياء كانت تبلغه عنه في هشام، فلما ولي الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأشخاص الشام، ثم دعا بالسياط، فقال له محمد: أسألك بالقرابة، فقال: وأي قرابة بيني وبينك، هل أنت من أشجع؟ قال: فأسألك بصهر عند الملك، قال: فلم تحفظه؛ قال: يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تضرب قريش بالسياط إلا في حد، قال: ففي حد أضربك وقود، (أنت ممن سن) ذلك على العرجي وهو ابن عمي وابن أمير المؤمنين عثمان فما راعيت حق جده ولا نسبته إلى هشام، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، وأنا ولي ثأره، اضرب يا غلام، فضربهما ضرباً مبرحاً وأثقلا بالحديد ووجهها إلى يوسف بن عمرو بالكوفة وأمر باستقصائهما وتعذيبهما حتى يتلفا، وكتب إليه: احتبسهما مع ابن النصرانية، يعني خالداً القسري، إن عاش أحد منهما؛ فعذبهما عذاباً شديداً وأخذ منهما مالاً عظيماً، حتى لم يبق فيهما موضع للضرب، وكان محمد بن هشام مطروحاً فإذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته فجذبوها بها، ولما اشتد الحال بهما تحامل إبراهيم لينظر في وجه محمد فوقع عليه فماتا

جميعاً ومات خالد القسري معهما في يومٍ واحد قال إسحاق: غنيت الرشيد يوماً في عرض الغناء:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا..ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فقال لي: ما كان سبب العرجي حتى قال الشعر؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى آخره إلى أن مات فرأيته يتغير كلما مر به شيء، فأتبعه بحديث مقتل ابني هشام، فجعل وجهه يسفر وغضبه يسكن، فلما انقضى الحديث قال: يا إسحاق والله لولا ما حدثتني به من فعل الوليد لما تركت أحداً من بني مخزوم إلا قتلته في العرجي.

١١.الأصمعي هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، ولد و مات بالبصرة ، وهو راوية العرب و أحد أئمة العلم باللغة و الشعر.

١٢.الخليفة عبد الله أبو جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله هو الخليفة العباسي الثاني (١٣٢هـ الى١٥٨هـ) ولد في الحميمة موطن أبيه محمد بن علي، وقد كانت أمه سلامة عربية الأصل، وقد حظي بالعلم وكان أديبا فصيحا عالما. وقد عرف بالشدة والحزم وعدم التردد والإهتمام بالرعية والثبات عند الشدائد.وحكم فترة طويلة ٢٦ عاما توطدت فيها دولة بني العباس فكان هو مؤسسها الحقيقي.

١٣.الخليفة محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن

عبد الله الخليفة العباسي الثالث(١٥٨هـ الى١٦٩هـ)،أمه أروى بنت منصور الحميرية.ولد بالحميمة عام١٢٦هـ أخذ المنصور له البيعة عام١٤٧هـ بعد أن هذبه وعلّمه فنون الحكم والحرب.تزوج من بنت عمه ريطة بنت أبو العباس السفاح. وكان كريما ذكيا يراعي أحوال الرعية وينفي المظالم شديدا على أهل الإلحاد.بويع له بعد وفاة والده على يد الربيع بن يونس الحاجب.تميز عهده بالإصلاح إذ اتخذ سياسة اللين بعد سنوات العنف التي سادت عهد من قبله.وكان اعتناؤه بالعدل غاية في الحسن.

١٤. الخليفة هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله تولى الحكم خلفا لأخيه موسى الهادي من عام ١٧٠هـ إلى ١٩٣هـ..وهو الخليفة العباسي الخامس،وتعتبر فترة حكمه نادرة في التاريخ الإسلامي، واختلطت الحقائق فيه بالأساطير والقصص، وذاع صيته في الآفاق وتقرب إليه الغربيون وكان ذو شخصية متناقضة هي السمة العامة للشخصية القوية الوثابة الذكية فقد عرفت عنه الشدة والقسوة في الإنتقام وحدة المزاج، وعرف عنه التأثر الشديد وسرعة البكاء والرحمة والعطف،وهذا ليس غريبا في عالم النفس، فإن النفس تحتاج إلى موازنة لعواطفها ومزاجها، فإن كان فيها إفراط في أمر من الأمور يعتريها في وقت من الأوقات

احتاجت أن تعالجه بضده في وقت آخر، فترى العنيف رحيما يذوب رحمة، وترى القاسي شفيقا يبكى لأقل الأمور وهذه هي سنّة الله في خلقه، وهكذا كان الرشيد.

البرامكة: جعفر بن يحيى: كان قمة أبناء برمك، وكانت له منزلة عظيمة عند الرشيد تحكيها كتب السير إذ كان لا يجلس لسمر أو حديث إلا ومعه جعفر وأخته العباسة بنت المهدي حتى شاع أنه زوجها له سرا حتى يمكن أن يدخل عليها في حضرة الرشيد بلا مانع، وهو أمر أنكره العارفون بالسير وإن كان في كتب الأدب.وكان جوادا فصيحا بليغا سخيا أكثر مما يحتمله الوصف.وقد ولاه الرشيد مصر عام١٧٦ هـ. ثم ولاه الشام بعد أن خرجت عليه فاستطاع إخضاعها ثم استشفع الرشيد في أهلها أن لا ينـــتقم منهم.وقد جعله معلما لإبنه المأمون وتنضح كتب الأدب مثل الأغاني وعيون الأخبار والأمالي بأخبار جعفر والعباسة والرشيد ولياليهم وقصصهم..أما موسى بن يحيى: كان قائدا محنكا وشجاعا استطاع أن يخمد ثورة الشاميين مع أخيه جعفر..أمامحمد بن يحيى: وكان بعيد الهمة مقداما إلا أنه لم يكن مشهورا كإخوته.

نكبة البرامكة: وطبيعة الملك الإستبداد كما وصفه بن خلدون، والمَلك لا يقبل الشركة ولا يحتمل القرين مهما كان له عليه من فضل فهو

يخشى قوة من ساعده أن تنقلب عليه في يوم من الأيام، وقليل من الوزراء والمساعدين من وعى هذا الدرس فقلّص نفوذه طواعية ولم يوغر صدر الملك عليه، مثل معاوية بن يسار مع المهدي، إلا أنه لم ينج من بلاء في قتل المهدي لإبنه على الزندقة كما قيل له.وقد كانت العلاقة بين الرشيد وبين عائلة يحيى بن خالد من القوة بمكان عظيم، فالخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل بن يحيى، كما كان يحيى بن خالد قائما بأمر الرشيد فكان الرشيد يدعوه أبي، ولكن الفضل كان متشبها بأبيه في فضله فلم يكن يشرب النبيذ مع الرشيد وقال:لو أعلم أن الماء ينقص من مروءتي ما شربته. وكان جعفر أقربهم ودا ومنادمة للرشيد.وكان أبوه يحيى ينهاه عن مجالسة الرشيد إلى هذه الدرجة فهو يعلم طبع الملوك، ولكن دون جدوى.وقد احتار الناس في السبب الذي أوقع البرامكة في النكبة المشؤومة،فظنوا أنها وليدة حادثة بعينها، إلا أنها وليدة أمور تراكمت، فقيل هي بسبب حادثة يحيى بن عبد الله بن الحسن الذي أمر الرشيد بحبسه بعد أن استطاع الفضل أن يثنيه عن القتال، ثم أخرجه جعفر دون إذن الرشيد الذي أعلمه بذلك الفضل بن الربيع بن يونس.والربيع بن يونس كان حاجبا للمنصور كما سبق وكذلك للمهدي وهو والذي دبر موضوع ابن يعقوب بن داود وجعل المهدي يقتله وسبب خلعه من

الوزارة، وابنه الفضل بن الربيع من موالي العباسيين وكان ممن تطلع إلى القوة والسيطرة إلا أن الخيزران لم تمكنه إلى أن ماتت عام١٨٠ هـ فعينه الرشيد حاملا للخاتم وكان يحقد على آل برمك لمكانتهم .وقد وقر في نفس الرشيد أن البرامكة يقفون في صفّ العلويين ويفضلونهم عليه من هذه الواقعة .وقال البعض أنه مجرد الملل يصيب الملوك من طول العشرة فيريدون التغيير .وبدأت معاملة الرشيد تتغير ويلقي كلاما لا يرضاه يحيى بن خالد ويجعله يستأذن عليه بعد أن كان يدخل عليه بلا استئذان، فعلم يحيى أن امرهم تغيّر.وقد آانت كذلك زبيدة زوج الرشيد تكره جعفر لأنه كان يحسن له أمر المأمون دون ولدها الأمين، فخافت إن مات الرشيد أن يوقع جعفر بين الأخوين. وفي عام١٨٦ هـ .وبعد أن حج الرشيد، أمر فقتل جعفر وحبس يحيى بن خالد وابنيه الفضل وموسى، وأطلق محمد .وعن هذه الأخبار يحكى الأغاني عن المفضّل الضبيّ الشاعر حين أتاه رسول المهدي فامتقع وجهه وتطهر ولبس ثوبين للموت، فلما دخل عليه سأله عن عدة أبيات شعرية ثم سأله عن حاجة له وأمر له بثلاثين ألف درهم لقضاء دينه وقال العتابي حين سأله البعض: لم لا تتقرب من السلطان بأدبك؟ لأني رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شيئ، ويرمي من السور

في غير شئ، فلا أدرى أي الرجلين أكون! وقد عيّن الرشيد الفضل بن الربيع بن يونس وزيرا بعد البرامكة حتى مات الرشيد.

١٥.الخليفة محمد (الأمين) بن هارون الرشيد بن محمد المهدي.. الخليفة العباسي السادس تمت البيعة له بعد وفاة والده هارون الرشيد، وأمه زبيدة ابنة عم الرشيد، وهو عربي أصيل.وقد استمر في الخلافة خمس سنوات كانت كلها حرب بينه وبين أخيه المأمون حتى قتل الأخير وعمره لا يتعدى ٢٨ عاما..وذلك في عام ١٩٨هـ.

١٦.أبو نواس هو الحسن بن هانئ الحكمي شاعر من أشهر شعراء عصر الدولة العباسية.ويكنى بأبي علي وأبي نؤاس والنؤاسي.وعرف أبو نواس بشاعر الخمر.ولكنه تاب عما كان فيه وأتجه إلى الزهد وقد أنشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك.

١٧.الخليفة المأمون هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد وأمه مراجل الفارسية ..ولي العهد عام ١٨٣ ثم بويع بالخلافة عام ١٩٨ بعد مقتل أخيه الأمين.وكان محبا للعلم والعلماء، ولكن يجب التنويه بخلفيته التي تربى فيها لمعرفة الأسباب التي أدت إلى ما دار في زمانه.فقد كان الرشيد قد وضع المأمون في حجر جعفر البرمكي يربيه وير

عاه، فلما مات تولاه الفضل بن سهل ولازمه ووجهه.وقد كان كلا من جعفر والفضل من المتشيعين (أنصار العلويين). وكان هذا هو الجو الذي أحاط بالمأمون فكان متشيعا رغم أنه عباسيّ.وكان لذلك أكبر الأثر على مجريات الأحداث في عهده.

١٨.النضر بن شميل هو أبو الحسن النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم بن عبدة بن زهير السكب، الشاعر، ابن عروة بن حليمة بن حجر خزاعي بن مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم، التميمي المازني النحوي البصري؛ كان عالماً بفنون من العلم صدوقاً ثقة، صاحب غريب وفقه وشعر ومعرفة بأيام العرب ورواية الحديث، وهو من أصحاب الخليل بن أحمد؛ذكره أبو عبيدة في كتاب(مثالب أهل البصرة)فقال:ضاقت المعيشة على النضر بن شميل البصري بالبصرة فخرج يريد خراسان، فشيعه من أهل البصرة نحو من ثلاثة آلاف رجل، ما فيهم إلا محدث أو نحوي أو لغوي أو عروضي أو أخباري، فلما صار بالمربد جلس فقال:يا أهل البصرة، يعز علي فراقكم، ووالله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلى ما فارقتكم، قال:فلم يكن أحداً فيهم يتكلف له ذلك، فسار حتى وصل خراسان فأفاد بها مالاً عظيماً، وكانت إقامته بمرو.وقد سبق في أخبار القاضي عند الوهاب المالكي نظير هذه الحكاية لما خرج من بغداد.وسمع بن

هشام بن عروة وإسماعيل بن أبي خالد وحميد الطويل وعبد الله ابن عون وهشام بن حسان وغيرهم من التابعين، وروى عنه يحيى بن معين وعلي ابن المديني وكل من أدركه من أئمة عصره،ودخل نيسابور غير مرة وأقام بها زماناً وسمع منه أهلها.وله مع المأمون بن هارون الرشيد لما كان مقيماً بمرو حكايات ونوادر، لأنه كان يجالسه.

المحتويات

١.الإهداء.

٢.المقدمة.

الفصل الأول (جواهر القصص):

٣.بنات النعمان.....١٠

٤.حسن البصري.....٣٠

٥.سر الكوخ العجيب.....٥٢

٦.أبو محمد الكسلان.....٥٦

٧.عمرو بن يربوع والسعلاة.....٧٤

٨.سيف الملوك وبديعة الجمال.....٨٠

٩.فراسة البدوي.....١٥٣

١٠.صاحب شرطة.....١٥٦

١١.سوء العاقبة.....١٥٩

١٢.طبيب الأميرة.....١٦٥

الفصل الثاني(قصص الأمثال):

١٣.العصا من العصية.....١٧٣

١٤.طارت بهم العنقاء.....١٧٦

١٥.كل شاة معلقة برجلها.....١٧٧

١٦.حديث خرافة.....١٧٨
١٧.زرقاء اليمامة.....١٧٩
١٨. شن وطبقة.....١٨١
١٩. إن غدا لناظره قريب.....١٨٣
٢٠.يا أبو زيد ما غزيت.....١٨٧
٢١.العرق دساس.....١٨٩
٢٢.النصيحة بجمل.....١٩٤
٢٣.الحديث ذو شجون.....١٩٨
٢٤.خالف تذكر.....١٩٩
٢٥. الموضوع فيه إنَّ.....٢٠١
٢٦. ولّا اشتدَّ ساعده رماني.....٢٠٣
الفصل الثالث(الطرائف والنوادر):
٢٧. حكاية النُّورَة.....٢٠٧
٢٨. قصة سيدنا سليمان مع النمل.....٢٠٩
٢٩.قصة سيدنا سليمان مع الهدهد.....٢١٣
٣٠.شعر الجن.....٢١٦
٣١.صحيفة المتلمّس.....٢١٧
٣٢. شكوى امرأة.....٢١٩

٣٣.الحطيئة.....٢٢١
٣٤.الحجاج وغلام من بني هاشم.....٢٢٣
٣٥.الحجاج وأهل العراق.....٢٣٦
٣٦. الحجاج وهند بن المهلب.....٢٣٩
٣٧.الحجاج والغضبان.....٢٤٣
٣٨.أسد عليّ وفي الحروب نعامة.....٢٤٩
٣٩.غلامي الحجاج ٢٥١
٤٠.الحجاج والغلمان الثلاثة.....٢٥٢
٤١.كيف رأيتم فراستي في الأعرابي.....٢٥٤
٤٢.الإمام أبو حنيفة النعمان والفتى الجار.....٢٥٧
٤٣.واصل بن عطاء والخوارج.....٢٥٩
٤٤.فراسة أعرابي.....٢٦١
٤٥.اللّص الفقيه.....٢٦٣
٤٦.الأصمعي والأعرابي.....٢٦٥
٤٧. الأصمعي وأحد الأعراب.....٢٦٨
٤٨.الأصمعي والأعرابي.....٢٧٠
٤٩.الأصمعي والجارية.....٢٧٢
٥٠.الأصمعي والشاب العاشق.....٢٧٣

٥١. صوت صفير البلبل.....٢٧٤
٥٢.العاشق الشهم.....٢٧٨
٥٣.اللّص التقي.....٢٨٢
٥٤.الفي والفيافي.....٢٨٥
٥٥.القاضي ابن أبي ليلى والسيدتين.....٢٨٦
٥٦.الخليفة المهدي والأعرابي.....٢٨٨
٥٧.الخليفة هارون الرشيد والمرأة البرمكية.....٢٨٩
٥٨. الخليفة المأمون والنضر بن شميل.....٢٩٠
٥٩.الخليفة الأمين والجارية.....٢٩٢
٦٠.عبد الله يرث وعبد الله لا يرث.....٢٩٤
٦١.حُسن الوفاء.....٢٩٨
٦٢.دع عنك الكتابة.....٣٠١
الفصل الرابع (الألغاز):
٥٧. الألغاز.....٣٠٥
٥٨.الخاتمة.....٣٢٨
٥٩.حلول الألغاز.....٣٣٠
٦٠.مصادر وتراجم.....٣٣٧

رقم الإيداع: ١٠-١٦ ٢٥-١٢-٢٠٢٠